س

سـيرة



دار سعاد الصباح

مذكرات إنجى افلاطون

تحرير وتقديم : سعيد خيال

حلمى التونى



إنجى افلاطون

س

سيرة

مذكرات
إنجي افلاطون

تحرير وتقديم : سعيد خيال



دار سعاد الصباح

دار سعاد الصباح

ص . ب : ٢٧٢٨٠

الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت

ص . ب . ١٣ المقطم - القاهرة

فاكس : ٥٠٦١٠٣٠

٣٥ ش محى الدين أبو العز

ت ٣٤٩٧٧٧٩ - ٣٤٩١٧٢٧

رقم الايداع ٣٠٨٥ / ١٩٩٣

I.S.B.N. 977 - 5344 - 90 - 5

الطبعة الأولى

١٩٩٣

الاشراف الفنى : حلمى التونى

شكر واجب

تتقدم أسرة الفنانة انجى أفلاطونى بالشكر لكل أصدقائها الذين ساهموا بصور شتى فى أعداد هذا الكتاب للطباعة والذين لولا جهدهم لما كان اعداده ، وفى مقدمتهم السيدة عزة شلبى .

وتخص الأسرة بأجذل الشكر الصديق الوفى الأستاذ سعيد خيال الذى عاون الفقيدة منذ الصياغة الأولى لقصة حياتها وتولى توثيق النص وضبط ما به من تواريخ ووقائع ، واستمر فى مراجعة المتوالية حتى أصبح النص كتابا مفيدا للقارىء وهذا الشكر أبسط تعبير عن عرفانى بفضله – الذى لن تنساه أسرة الفقيدة .



الطبعة الأولى



الإشراف الفني : حلمي التوني

حكايــة هــذة المذكـرات

هـذه المذكرات كانت فى البداية تسـجيلا على اشـرطه الكاسـيت وكانت انچى تقوم بتفريغ الأشـرطة فى كراسات وكنت استلم الكراسـات تباعاً . وكثيرا ما كانت تعيد الكتابة وصـولا للوضـوح وكيما تسـهل عملية الصياغة والتحرير . وفى احدى الأجزاء اعادت الكتابة ثلاث مرات ، رغم الحاحى بأن هـذا لا لزوم له . اشـفقت عليها وحـدث أن كان عتابى غاضبـا . فاختارت حلاً مريحا لى ولها . استجابت لرجائى وفى الوقت نفسة ظلت ترضـى قيمها المتوهـجة على الدوام ولذلك استعانت بالسيدة عزة شلبى - وتعمل حاليـا بالصحافة . وقد ساعدتها عـزة فى عملية التفـريغ والنسـخ وخاصـة فيما ورد تحـت عنـوان عـالم لم اكـن أعرفة .

لقد بلغ عدد كراسـات هذة المذكرات ثلاثة عشـر كراسـة. فى بعضـها صفحات كثيرة خالية . ومن هذة الكراسـات أخرجت هـذا الكتاب . وكانت انچى تراجع وتضـيف المعلومات والأفكار التى ترد

على خاطرها وتطالبنى بأن اضعها (فى المكان المناسب) . وطبعا استلزم العمل تعديلات واعادة صياغة واعمال قواعد اللغة . واحيانا بعض التوسع المستوحى من الظروف والملابسات كلما اقتضى الحال .

وقد راعيت ان تكون العناوين الفرعية لما يستحق الأولوية كما اضفت الهوامش . ولست فى حاجة للتأكيد بانى التزمت تماما بأسلوب انجى فى التعبير وطريقتها فى الحديث ومنهجها فى التفكير.

وبعد رحيل صاحبة المذكرات يوم ١٧ / ٤ / ١٩٨٩ أستعنت بالسيدة ثريا أدهم صديقة أنجى وزميلتها فى كل مراحل الكفاح . كنت أسألها عن الشخصيات وعن تفاصيل وقائع وحوادث وتواريخ فكانت خير معين .

أما الخطابات التى أرسلتها أنجى من السجن لشقيقتها جولبرى فقد أطلعت عليها بعد رحيلها وأخترت منها ثلاثة عشر خطابا ومن كل خطاب اوردت فقرات تكشف عن جوانب من شخصية صاحبة المذكرات وهى خلف القضبان .

وأهم مايلفت النظر أهتمامها بالرسم والفن والأدب وحرصها على تقوية الروح المعنوية بين أهلها.

كذلك تبين هذه الخطابات الجهود التى بذلتها الشقيقة جولبرى لمساعدة أنجى ولقد نجحت هذه الجهود فاسعدت انچى كثيراً .

وأخيرا بدأت عملية الطبع والنشر فقمت بأعمال التصحيح والمراجعة .

وطبعا يسعدنى جدا إخراج هذا الكتاب .

لقد نفذت وصية أنجى ووفيت حق الزمالة والصداقة . صداقتنا عمرها قرابة النصف قرن . جمعنا منذ اوائل الاربعينات طريق النضال الوطنى والديمرقراطى بآفاقه التقدمية والانسانية . انطلاقا من القناعة بأن التحرر والعدالة الاشتراكية يتحققان بالكفاح لأسعاد الناس . كما جمعنا النضال من أجل السلام فى عضوية المجلس العالمى للسلام وفى الامانة العامة للمجلس المصرى .

لاخلاف ان أنچى فنانة صاحبة مدرسة متميزة فى الرسم أساسها الطبيعة والانسان ، الحقل والفلاح وكما قالت فإن القرية هى المدرسة الكبرى .. رغبتى الأساسية هى ان اعبر عن الانسان المصرى .. الرسم ليس إلا التعبير الصادق عن المجتمع والذات .

أنچى هى المناضلة الاشتراكية وكانت دائما فى الطليعة

والمراكز القيادية . وأنچى كانت بحق رائدة وزعيمة الحركة النسائية الحديثة . لقد ضحت كثيرا فى خدمة مصر وشعبها .

كما أسهمت بأقتدار عظيم فى النضال الانسانى العالمى أنتصاراً لأنبل الاهداف والمثل .

ان مذاكراتها ليست سيرة ذاتية فقط . فحين تذوب الأنا وتتوحد الذات فى المجتمع وتنحاز الشخصية بكليتها لجماهير الشعب ، حينئذ تكون السيرة فى الحقيقة وطنية أجتماعية وشعبية أنسانية . وهكذا كانت أنچى أفلاطون .

مذكراتها تعتبر مرجعا تاريخيا صادقا وتجسد قدوة رائعة ومثلا يحتذى فى العمل والتضحية من أجل الوطن والشعب والانسانية جمعاء .

فى بداية مرض الموت جمعت مابقى عندها من أوراق وقصاصات وسلتمها لى . قبلت جبيتها الشاحب متمنيا السلامة والشفاء . لكن الدنيا كانت غائمة والنظرات كانت حزينة . وهكذا كانت وصيتها وكان الوداع .

أيتها العزيزة . يشرفنى الوفاء بالوعد وسلام على روحك الطاهرة فى رحاب الخلود

سعيد خيال

أفـلاطـون جـدى الأكبر.

نبذة عن العائلة .

حكاية تناقلتهـا الأسرة جيـلاً بعد جـيل ، سمعـتها مـنذ الطفولة . قالوا كان محمد على باشا الكبير يراجع كشفا باسماء طلبة المدرسة العسكرية فاستوقفه اسم حسن الكاشف لما لاحظ من أن كلمة افلاطون مضافة لهذا الأسم ومكتوبة بين قوسين .

استغرب الباشا متسائلا ، أفلاطون ؟ ! فقالوا له هو اسم الشهرة يا إفنديـنا . أطلقه الطلبة على حسن الكاشف لكثرة اسئلته ومناقشاته .

فابتسم الباشا وقال لا بإس إن يكون عندنا أفلاطون فصار لقبا رسميا للعائلة . حسن الكاشف افلاطون هو جدنا الأكبر. وهو شخصية معروفة فى تاريخ العسكرية المصرية.(١)

---

(١) فى ٢٢ / ٣ / ١٨٧٩ أصدر الخديوى إسماعيل فرمانا بأن يؤلف ولى العهد محمد توفيق ـ الخديوى فيما بعد ـ النظارة التوفيقية وجاء فى هذا الأمر ما نصه : وجهت نظارة الجهادية والبحرية إلى حضرة سعاد تلو أفلاطون باشا ولم تستمر هذه الوزارة سوى بضعة أيام إذ صدر فى ١٨ / ٤ / ١٨٧٩ الفرمان بان يؤلف محمد شريف باشا النظارة واسندت نظارة الجهادية لحضرة سعاد تلو شاهين باشا .
راجع كتاب الوزارات المصرية فى ظل حكم الأسرة العلوية ـ المؤلف حسن محمد درويش .

وقد توفى عن تركة واسعة من الاطيان الزراعية . كما خلف عائلة كبيرة من الاقطاعين. لكنهم ينتسبون للفئة المستنيرة المتفتحة على الحضارة الأوربية .

أبى والعلم حمل ابى الدكتور حسن محمد افلاطون اسم جدثا. وقد درس ابى العلوم فى جامعات سويسرا وانجلترا وعاد لمصر مدرسا فى كلية الطب .

ثم انتقل لكلية العلوم عند انشا ئها حيث أسس بها قسم الحشرات عام ١٩٣٠ .

وقد شغل ابى منصب العمادة بهذه الكلية لعدة سنوات.

والد أبى هو محمد باشا افلاطون وهو اخ شقيق لوالد أمى أحمد بك أفلاطون . أبى وأمى اولاد عم وتم زواجهما عقب عودة أبى من دراستة فى اوربا . تزوجت امى وعمرها ١٤ سنة وبضعة شهور . وبعد سنة من زواجهما ولدت اختى جولبرى . اسم تركى غريب ولذلك غلب اسم الشهرة (بولى) ويعرفها بهذا الاسم كل الناس .

أما أنا فقد ولدت فى بيتنا بحى شبرا بالقاهرة . وهو بيت كبير تحيط به حديقة . ولايزال المبنى قائما وتشغله بطريق الإيجار مدرسة ثانوية .

كان مولدى فى يوم ١٩٢٤/٤/١٦ . وسنة مولدى هى سنة اشداد الخلاف بين أمى وأبى . فكانت هى سنة الطلاق .

حاولت امى فى ذلك الوقت التخلص من حملها . كانت تقوم برياضة صعبة وحركات عنيفة – ورغم هذا لم يحدث سقوط الحمل .

وكان هذا من حسن حظى طبعا.

لم يكن الطلاق سهلاً كان أبى يرفضة لكن أمى أصرت علية بعد استحالة الحياة المشتركة . ولم يستجب ابى لطلب الطلاق إلا بعد أن أيدها جدى لأبى محمد باشا افلاطون . وكان رجلاً محبوبا يتمتع بالحكمة .

غادرت امى بيت الزوجية وهى فى التاسعة عشر من غمرها . وتحمل طفلتين انا إحداهما ولم يتجاوز عمرى بضعة شهور . أمى أصبحت مسئولة عن حياتها واسرتها الصغيرة فى هذه السن المبكرة . كان عليها مواجهة الحياة فى ظروف مادية صعبة نسبيا فهى لم تكن قد ورثت بعد ولأن إبى الذى كان غاضبا من الطلاق كان يدفع نفقة محدودة لاتتناسب مع مكانتة الاجتماعية وامكانياتة المادية. ولهذا فضلت أمى ان تسكن فى بيت جدتها أم والدتى التى توفيت وأمى طفلة صغيرة .

عشنا فى بيت جولبرى ثابت جدة أمى وحرم صالح باشا الوجيه الكبير كان البيت فخما يقع فى حى الزمالك وله حديقة جميلة خاصة به فلما توفيت جولبرى هانم جدة أمى عشنا مع عمة أمي ثم مع اخت أمى الصغرى انچى التى سمونى على اسمها

والمشكلة الحقيقة كانت هى :

كيف تواجه أمى وهى المطلقة الشابة الجميلة مجتمع الاثارة والمغامرات ، وهى السمة الغالبة بين الطبقات العليا .

لقد تحملت أمى بشجاعة فائقة ، لم نكن نستطيع أن نقدرها الا بعد مرور وقت طويل ، تحملت الوانا شاقة من المعاناة.

نظمت حياتها بمقايسها هى واقتناعها الخاص آخذة فى الأعتبار فى الوقت نفسه أحترام التقاليد والظروف السائدة.

وسارت فى الطريق الذى أختارته بارادتها هى . ورفضت الزواج بالرغم من صغر سنها حرصا على حضانتها لنا وخوفا من أن ينتزعنا منها أبى الذى كان يهدد بذلك تحت تأثير زوجته الجديدة.

لكن أمى لم تستطع أن تستقر أستقرارا كاملاً ليكون لنا

بيت مستقل إلا حينما نزلت ميدان العمل وأستقلت أقتصاديا

كان ذلك فى عام ١٩٣٦ . فى ذلك الوقت كانت الاحداث تموج فى مصر . فكان الحديث عن الوطينية والاستقلال بالغ الذروة وبخاصة بعد . توقيع معاهدة ١٩٣٦ المشهورة مع بريطانيا . وكانت المناقشة حول مايستطيعه المصريون والمقارنة مع الاوربين محل أهتمام الجميع .

فى هذا الجو قررت أمى أن تدخل لميدان العمل فى مجال الأزياء. وشجعها طلعت حرب . وبمساعدة بنك مصر أفتتحت محل الأزياء الرفيعة والتفصيل الراقى وكان يحمل اسم محل صالحة وكان فى شارع الشواربى فكانت أول مصرية تعمل فى هذا المجال الذى كان يحتكره الاجانب واليهود . وبهذا النشاط أصبحت أمى تسافر كثيرا الى الخارج وبخاصة فرنسا تتابع تطور الموضة وتختار موديلات محلات الازياء الكبيرة المشهورة مثل كارفن وديور . وكانت أمى تأخذنا معها أنا وبولى . كانت هى تعمل وكنا نفوز بالمتعة وقد نجح المشروع نجاحا كبيرا .

وما أتذكره من طفولتى فى تلك الأيام هو الشعور بالسعادة الغامرة كنت أعشق أمى ولازلت .. كنت أخشاها لأنها كانت حازمة فى معاملتها لنا وأسلوب تربيتنا . وفى نفس

الوقت كانت حبيبة للغاية وتفيض حنانا . كنت أحترمها لشجاعتها وقوة شخصيتها وأحاول أن أقلدها .

كنت فخورة بجمالها وراغبة أن يعلم الجميع أنها أمى . وكنت لا أخشى إلا شيئا واحداً هو الابتعاد عنها . ربما تحت تأثير تهديد أبى الذى لم يغفر لأمى أنها تحدته بالطلاق ونالت ما أرادت أوتحت تأثير هذا الشىء الذى يسمونة الموت مفرق الاحباب وكان هذا يرعبنى .

كذلك اتذكر شقاوتنا أنا واختى فى تلك السن . كنا منطلقتين فى لعبنا فى حديقة منزلنا فى شبرا ثم فى حديقة بيت الزمالك حيث اقمنا مع جدة أمى لقد تعودنا أنا واختى منذ الطفولة على الاختلاط مع البنات والصبيان ، أولاد الاقارب واولاد اصدقاء العائلة ، بشكل صحى وطبيعى جداً وعلى اساس المساوة . وبذلك نجونا من العقد فلم نعرفها فى حياتنا

الطبيعة الساحرة .

كان ابى يسكن فى فيلاجميلة بالمعادى وكنا انا واختى نذهب لزيارتة بانتظام . كنت احبه كثيرا وان كنا لم نعش معه تكونت لنا معه ذكريات حلوه تركت آثارها على واهمها رحلاتنا معه فى

الصحراء الممتدة من المعادى وكذلك فى المناطق المتاخمه للبحر الأحمر كان ابى يعشق الرحلات ويهتم بها اهتمام العالم الباحث فى دنيا الحشرات والنبات . وكان لذلك كثير السفريات المليئه بالمخاطر وكان من أوائل المصريين الذين ترددوا على واحة سيوة واستطاع أن يصل ال جبل علبة على حدود السودان . ولما اصبح السفر للخارج مستحيلا بسبب الحرب العالمية الثانية كان ابى يقضى اجازة الصيف فى جبل سيناء فى منطقة دير سانت كاترين ولا أنسى صيف عام ١٩٣٥ حين رأس رحلة دراسية إلى مدينة الغردقة على البحر الاحمر لتأسيس أول حوض مائى للأسماك والنباتات المائية . ضمت الرحلة عدداً كبيراً من الاستاذة والمعيدين والطلاب الذين صاروا فيما بعد شخصيات علمية مرموقة أذكر منهم حامد جوهر ومحمود حافظ . كنا أنا وأختى بولى ضمن من ضمتهم هذه الرحلة الطويلة. واشتركنا فى رحلات بحرية لصيد الأسماك النادرة والمتوحشة أيضا فى جزر المرجان وتحت الماء . وكنت أسجل وأرسم هذه الأسماك العجيبة الساحرة الملونة . وما انتهت الرحلة إلاوقد تركت بيننا ذكريات شائقة . لكن ذلك لم يستمر كثيرا فى علاقتنا بأبى . كان بعد انفصاله عن أمى قد تزوج من رقية شاكر بنت خالتة وأنجب منها طفلتين توفيت احداهما وعاشت الثانية (زهرة) ثم طلق بنت

خالته «رقية شاكر» التى تزوجت بعده حسين صبحى راعى الحركة الفنية بالأسكندرية وعاشت اختى زهرة معها وتزوج أبى بعد ذلك من فرنسية تدعى «ليلى» لم تكن تميل الى حياة الضواحى فانتقل بها الى قلب مدينة القاهرة وشيئا فشيئا تخلى هو أيضا عن الرحلات الطويلة ، واقتصرت علاقتنا معه بمرور الوقت على زيارة اسبوعية للغذاء أوالعشاء فى منزله . وظل الحال كذلك حتى وفاتة فى مايو ١٩٥٧ بعد مرض قصير . وقد اجمعت الأسرة على اهداء كلية العلوم مجموعة الحشرات النادرة التى جمعها ابى طوال حياته وخصصت لها الكلية معرضا خاصا يحمل اسمة تخليد لذكراه.

المدرســـــة

«من مصنع الزوجات الصالحات الى الحرية »

كانت مدرسة القلب المقدس الكائنة بحى مصر الجديدة احدى مدارس «بنات الذوات » التى تديرها الأرسليات الأجنبية . وكانت مشهورة بالتزمت الشديد ، فهى المدرسة التى تخرج أفضل الفتيات المثاليات فى الطاعة للاسرة والزوج وفى الرضى بكل ما يأتى به القدر للمرأة . وكانت شهرة فتيات القلب المقدس فى المجتمعات الراقية انهن الزوجات النموذجيات .

باختصار كانت المدرسة مشهورة بقدرتها على التهذيب وتكوين الفتاة لتصبح فى الصورة التى يرغبها مجتمع الرجال التقليدى ، وتلك الصورة لم تكن تزيد عن المرأة الطيعة والمعتمدة فى حياتها على الرجل وكانت خريجات تلك المدرسة يحظين بهذه الشهرة فعلا.

أصــر أبى على ادخالـنا أنا وأخــتى بولى – هذه المدرسة . لماذا ؟ . . . . لأنه – كما أعلن – يخاف أن ننشأ مثل أمنا ونسير على دربها فى الاستقلال والعناد وأن نتعود الترف و «الدلال » مثل باقى بنات الذوات . .

أول التساؤلات

كانت الأغلبية بين تلميذات المدرسة من المسيحيات . وأكثرهن من الأسر القبطية الكبيرة ، وأيضاً من الطبقة المتوسطة ذات التطلعات الجاده .

كن يتفاخرن بالحديث بالفرنسية ، ويتبارين فى ازدراء كل ما هو مصرى أو عربى أو يمت لذلك بأى صلة من قريب أو بعيد . وكانت الفتيات المسلمات أقلية تعد على الأصابع ، ومقبولات من الأغلبية المسيحية التى تتسامح فى وجودهن . لكن الصراع كان عنيفا ضد الاقلية الاخرى من الفتيات اليهوديات . وكان ذلك من أول الاشياء التى أثارت دهشتى ثم أستنكارى فى تلك السن المبكرة .

كنت سعيدة جدا بوجودى كتلميذة مسلمة فى القسم الداخلى لان ذلك يعفينى من عدد ثقيل من الالتزامات التى تقع على المسيحيات والتى أولها الصلوات التى تستهلك وقتا طويلا من النهار والليل بينما يتوفر لنا نحن المسلمات الوقت للقراءة ومراجعة دروسنا .

فى الخامسة صباحا ، فى البرد القارس ، كان على المسحيات أن يذهبن يوميا الى الكنيسة ، وقبل بداية الحصة

الاولى ، وأيضا فى المطعم قبل الغذاء والعشاء ، كان على المسيحيات أن يصلين لمدة عشر دقائق . أما نحن المسلمات فقليلا ما فرض علينا أن نستمع خلال درس الخياطه الى قراءة شىء من الانجيل أو من تعليقات الراهبات على مايتنظرنا من عذاب وآلام يوم القيامه مع وصف مفصل لهذا العذاب الذى سيلاقيه غير المسيحى الذاهب بالضرورة الى جهنم .

ترسبت فى نفسى تلك القصص الرهيبة وسببت لى قلقا فظيعا وتساؤلات كثيرة عن صحة تلك التعليقات . أننا مسلمات ومسيحيات ويهوديات ، كلنا شريكات فى كل شئ ، فى الفصل وفى المطعم . فى المدرسة نلبس الزى الموحد . نلعب معا . نذاكر معا ، نأكل معا ، وتجمعنا زماله وصداقه وبراءة . الاطفال وأحلام الصبا . فلماذا يفرقون بيننا هكذا ويخيفوننا بهذه القسوة من عذاب النار ؟ أن الكل يحب الله سبحانه وتعالى ويتوجه له بالدعاء . ويقدم الصدقات التى تطلبها المير لتوزيعها على الفقراء والمساكين .

مدرس اللغة العربية والدين . فى مدرسة القلب المقدس لم تكن اللغة العربية تدرس لنا بشكل جيد . وكانت أمى قلقة من هذه الناحية . ولذلك أتفقت مع مدرس ليحضر ليعلمنى فى منزلنا اللغة والدين . كان يحضر بأنتظام ولكنه

كان كالانسان الالى كان يشرح بسرعة . ولم يكن يطلب منى أن أنتبه اليه . ولم يكن يبالى ما إذا كنت فهمت أم لا .

ومن الطريف ماحدث بعد ذلك بسنوات طويلة . فقد قابلنى المدرس صدفة فى حى الحلمية . فاستوقفنى سعيدا وهو يقول أرايت كيف أفادتك دروسى العربية ؟ وهنأنى على مقالاتى التى قرأها لى منشورة فى جريدة المصرى . لم يكن هذا المدرس الطيب يعلم حجم المعاناه التى تحملتها والجهد الشاق الذى بذلته لاكون مصرية حقيقة تتحدث وتكتب بالعربية.

وأول التحديات :

١- ممنوع النظر فى المرآة.

٢ - ممنوع أن تنظر الفتاة الى جسمها أثناء الاستحمام أو أن تتبادل الفتيات النظر الى أجسادهن ولابد أن ترتدى الفتاه جلبابا تحت الماء .

٣ - ممنوع الصداقات بين الفتيات ، وتعاقب بشدة كل من تدخل فى علاقة صداقة مع زميلتها ولا يجب أن تنفرد واحدة بأخرى .

٤- ممنوع القراءة على انفراد أواقتناء كتب خاصة ومن ثم فالتفتيش مستمر على أشيائنا .

هذه نماذج من قائمة الممنوعات فى مدرسة القلب المقدس ذات النظام الصارم .

وكانت مخالفه أى منها تحسب كنقطة سوداء فى سجل الدراسة تؤثر على مجموع التلميذة وترتيبها فى النجاح فى نهاية العام . كانت هناك شرائط تضعها الراهبة المير على صدر التلميذة الطيبة شريط بمبى أو أخضر والشقية شريط أسود والشريط الأسود كان يلاحقنى باستمرار . ورغم أهتمامى بالدراسة نفسها وحبى لها كان دفترى الدراسى يفيض بالنقط السوداء .. ولم أستطيع الاستمرار. أعلنت ثورتى على هذا النظام الصارم فرفضت أولا لبس الجلباب عند الاستحمام وتشبثت بقراءة الروايات حتى وقع فى يدى جاك لندن كنت أخفى رواية «الذئب الابيض » وأنفرد بقراءتها بشغف فى سريرى . ويوم أن ضبطتنى الراهبة صادرت الكتاب وحدثت ضجه كبرى فى المدرسة . قدمت لمجلس تأديب قرر لفت نظرى تمهيدا لطردى اذا فعلت مخالفة أخرى . لقد أردت بعد سنوات طويلة أن أكتشف سر خطورة هذه الراوية فقرأتها من جديد . أدركت الاسباب العميقة لخطرها . انها قصة ذئب حاولت عائلة من المدينة استئناسه. استخدمت معه شتى الطرق وفشلت . ظل الذئب مشتاقا الى الحرية يحاول أن يعود الى الغابة ليعيش مع الحيوانات

الاخرى . من هناك أتى وهناك يسترد حريتة . الحرية اذن كانت عدوة الراهبات الاولى .

أن النموذج المثالى للتلميذة فى مدرسة القلب المقدس كان هو البنت الطيعة سلسة القيادة واستخدمت ادارة المدرسة قائمة الممنوعات لاذابة شخصية البنت تحقيقا لذلك النموذج . وفوق هذا سلطت الراهبات كل القسوة فيهم على التلميذات لدرجة أعتبار الصداقة بين التلميذات خطرا يفتح الباب للشذوذ والانحراف .

ان هذا التأويل وحده لقيمة الصداقة يكشف فى الحقيقة عن تركيب عقلى ونفسى من نوع خاص عند الراهبات . وهو تركيب ملئ بالعقد .

لم أتحمل هذه القيود . فكان طبيعيا أن أتمرد عليها . وأن أتحايل لحماية صداقاتى مع زميلاتى .

وأشتدت حملة الراهبات علينا . وتتبعننا فى كل مكان لدرجة أنهن كن يحرمن علينا التحدث مع بعضنا فى فناء المدرسة أثناء الفسحة .

لكن صداقتنا كانت تزداد متانة وأرتباطا

ركبنى الشيطان :

من أشد ما أثار دهشتى واشمئزازى أيضاً فى تلك المدرسة

التفرقة فى المعاملة بين الراهبات أنفسهن . كانت هناك « الراهبة الأم » التى تنتمى – قبل دخولها الدير – الى عالم الأثرياء ، وكانت هناك « الراهبة الأخت » القادمة من عالم الفقراء .

تمتعت الراهبة الأم بأمتيازات كبيرة ، وأحتلت مكانة الحاكم فى قلب المدرسة . تأمر وتنهى وترتدى ملابس أنيقة ولها أكل نظيف خاص . والراهبة الأخت هى التى تقوم بالخدمة والأعمال الدون مثل غسيل الأرض ومسح دورات المياة والمطبخ .

كان بالمدرسة إذن نفس النظام غير العادل الموجود فى الخارج ، أعنى فى المجتمع والذى سأثور عليه فيما بعد . نفس الظلم ونفس التفرقة ، لكن هنا تزداد بشاعته اذا فكرنا أن الراهبات جميعاً دخلن الدير للزهد والعبادة لا للتمتع بامتيازات المجتمع المادى خارج الأسوار .

لقد كرهت بكل شعورى ووجدانى تلك المدرسة . شعرت أنها أقرب الى السجن . كرهت القيود على حريتى ، والعيون التى ترصد حركاتى وسكناتى ، وتدين كل ما أفعله ، وأدركت لأول مرة ، ولم أكن قد تجاوزت الثانية عشر ربيعاً ، أن التمرد حالة ضرورية للتصدى للظلم الواقع علىّ . وقررت أن أبدأ . ومن هنا أستطيع أن أقرر دون فخر ، وأيضاً دون تواضع ، أن التمرد كان السمة التى لازمت حياتى فيما بعد .

فى ذلك الوقت كانت أسلحتى ضعيفة ، وتركزت حياتى فى هدف واحد هو أقناع أمى بأخراجى من هذا الجحيم . أستخدمت الوسائل العادية كما لجأت للتحايل لتحقيق هدفى . أخذت أحكى أمام أصدقاء أمى قصصاً رهيبة عما يجرى خلف أسوار المدرسة ورحت أسأل بسذاجة مصطنعة عن معنى بعض الكلمات المستخدمة معنا ، وهى غالباً كلمات من غير اللائق أن تقال أمام أطفال ، وفى النهاية ، وأنا فى الفصل الرابع ، وكنت على وشك أن يصدر قرار بفصلى نهائيا من المدرسة ، تم أنقاذى نهائيا .. لقد أخرجتنى أمى من المدرسة بعد أن أختلت بها رئيسة الراهبات « الأم بارتلو » وأَسَرَّت فى أذنها مشيرة الى بحذر وقالت .

« أبنتك هذه يركبها الشيطان . إنى أحذرك من أنها قد تصبح عنصراً خطراً فى المجتمع !

حرية من نوع جديد :

انتصرت فى أول معارك حياتى . أنتقلت من كابوس الراهبات الى مدرسة الليسية الفرنسية . وكان الفارق كبيراً فى مستوى التعليم بين المدرستين . وصار على أن أبذل مجهوداً مضاعفاً لألحق بالمستوى المرتفع للسنة الثالثة التى بعدها أتقدم لامتحانات الثانوية العامة تمهيداً لدراسة الفلسفة .

لم يثقل على هذا المجهود غير العادى الذى كان على أن أبذله خاصة فى هذا الجو الجديد من الحرية والمنافسة والأنطلاق . لقد وجدت أن الطالبات تقررن أوضاعهن بأنفسهن دون تدخل من الاساتذة أو وصاية من الأدارة . ومن الطريف أن الطالبات القدامى كن يعقدن أختباراً قاسياً وصعباً للطالبة الجديدة وحسب نتيجة هذا الأختبار تحتل الجديدة وضعها المناسب بينهن . تحوز الفائزة لقب Lycénne . أى الجديرة بهذه المدرسة وهو لقب مُشَرِّف جداً لأى طالبة ، ولقد فزت أنا باللقب بأختصار شعرت كما لو كنت سمكة أعيدت طليقة ألى بحرها . كانت هذه أول مرة فى حياتى أجد الفرصة كاملة فى الحركة والسلوك بكامل حريتى بين زميلاتى وعلى قدم المساواة معهن . وتعلمت كيف أجعلهن يحترمننى ويحببنى . كيف أقنعهن بأرائى وأكتسب ثقتهن . وكنت أتساءل أليس هذا المجتمع صورة صغيرة مما ينتظرنى فى المستقبل حين أتخرج وأصبح مواطنة صالحة عليها واجبات ولها حقوق ويجب أن تتعلم كيف تدافع عن نفسها ؟ . وأعجبنى جداً هذا المنطق الذى أتخذته لنفسى .

أنا أفكر إذن أنا موجودة :

فى الفصل الثانى بمدرسة الليسية تشبعت بأفكار الفلاسفة الفرنسيين من رجال القرن الثامن عشر وكتاب ما قبل الثورة

الفرنسية . فوليتر وروسوو ديدرو وسان سيمون . لقد هزتنى قراءاتى للعديد من كتاب الثورة الفرنسية هزة عنيفه وعميقه أثرت على تفكيرى بقوه ، وكان الفصل خلال الدراسة ينقسم الى فـرقتين . فـرقه «الثـوريين» التى أتزعمـها بحمـاس وفرقة «الملكيين» .

وتندلع بيننا المناقشات والحجج ويمتد الحوار المفتوح الخصب مع الاساتذه أنفسهم . كانت هذه مرحلة غنية بحق . مرحلة التفكير والتساؤل والشك .« أنا أفكر أذن أنا موجود » مقولة فلسفـية شهيرة لديكارت صارت بمعناها المباشر شعارا لى . لقد دخلت فى مرحلة التهام الكتب والاراء والنظريات وكان ذلك ايذانا ببدء انطلاق كامل .

**** أنسانية من نوع أخر :**

فى عام ١٩٣٨ أنتقلنا - « أنا وأمى وأختى » الى شقة فى شارع شامبليون فى قلب القاهرة لاتبعد كثيرا عن مدرسة الليسية . لقد قضينا فى هذه الشقة سنوات طويلة أمتدت حتى عام ١٩٥٧ . فى ذلك الوقت كانت صداقاتى قد توثقت جدا مع زميلاتى بمدرسة الليسية وطبعا وسط الليسة غير ارستقراطى بل ويختلف كثيرا عن وسط القلب المقدس وكنت ابتعد رويدا عن

صديقات الطفولة فى بيئتى الاصليه . لم تعد همومى هى همومهن . وازدادت تساولاتى عن الفروق بين دنيا الاثرياء ودنيا الفقراء . بين البذخ المبتذل الذى يعيش فيه الفريق الاول والفقر الذى يغرق فيه الفريق الثانى . وألح على سؤال كبير . كيف يقبل انسان عاقل هذا الوضع الظالم ؟

ازداد هذا السؤال الحاحا على مع حضورى عددا من الحفلات الارستقراطية الضخمه التى كانت تنظمها الاميره شويكار الزوجة الاولى للملك فؤاد والتى تزوجت بعد طلاقها من مغامر تركى يدعى الهامى حسين . كانت هذه الحفلات تقام فى قصر محمد على الكبير بشبرا . وتجتمع فيها العائله المالكه ممثلة فى بعض الامراء والاميرات وضباط الحرس الملكى ، والعائلات الكبيرة مع بناتها اللاتى يبحثن عن أزواج ويتمخطرن حول الموائد الحافلة بالمأكولات الشهية من كل لون وصنف وهن لابسات الفساتين والجواهر الجميلة . كانت الاوركسترا تعزف موسيقى الرقص بينما تقف الفتيات فى أنتظار من يتقدم من الشباب لاختيار من تراقصه وتلهو معه . كنت أرى اسرافا شديدا فى البذخ فيقابله غضب وقلق شديد فى نفسى ، فأولئك الشباب لم يكونوا يتميزون بغير السطحية فى الفكر مع الاستهتار وعدم المبالاه . شباب يتميز بجهل عنيد ومعظم أفراده لم يكملوا

تعليمهم أعتمادا على المال والسلطة ولكن المـال والسلطة والابهة لا تغنى ابدا عن التعليم والثقافه . جمال الحياة وبهجتها لا تكتمل الا بالمعرفة . وكنت أنا لا أرى الا التفاهة فى هذا الشباب المظهرى البراق . وكان ينتابنى شعور بالخوف من أن يكون مصيرى أن أعيش حياتى بين هؤلاء الضائعين . وكنت أحلم بالانسانية العادلة لسعادة البشر .

* * خطوة فى الفن . . قفزة الى الحياة * *

كامل التلمسانى . الفن والحرية :

هويت الرسم منذ طفولتى . وكنت أرسم اسكتشات صغيرة لبعض ما أشاهده فى رحلاتى مع ابى وكانت عائلتى على دراية بموهبتى الفنية وتحاول أن توفر لى دروسا فى هذا الميدان . الا أن هذه الدروس لم تخرج عن تكبير بعض البطاقات البريدية أو النقل السطحى من الطبيعة مما نفرنى منها – من هذه الدروس – وجعلنى أتمرد عليها .

كانت سعادتى الحقيقية تتحقق حين أرسم القصص الخيالية التى تؤلفها أختى «بولى» – الموهوبة فى الكتابة الادبية وكان الشاعر أحمد راسم زوج خالتى يساعدنا بأن يأخذ قصص أختى ورسوماتى لها وينشرها فى مجلة مصرية تصدر بالفرنسية .

فيضيف الى سعادتى أفتخارى . لكن ذلك كله لم يزد عن هواية كان يمكن أن تطول لولا أن القدر كان يرتب لى لقاء مفاجئا من نوع غريب مع فنان أختلف تماما عن نوعية المدرسين الخصوصين الذين كانت العائلة تستقدمهم لتعليمى الرسم .

كان كامل التلمسانى فنانا تشكيليا طليعيا ، بعد بلا جدال من ابرز فنانى جيل الاربعينات وأكثرهم جرأه .

فى ذلك الزمن كان من الصعب أن يعيش الفنان من عائد لوحاته فكان التلمسانى كغيره من الفنانين يجد صعوبة مادية فى حياتة .

وكانت أحدى صديقات امى تعرف الفنان كامل التلمسانى عرفت هذه السيدة أنى احتاج لدروس فى الرسم اقترحت على امى اسم الفنان كامل التلمسانى فلما وافقت امى اتفقت صديقتنا هذه معه على ذلك نظير جنيهين فى الشهر . ولا أنس ماقاله لى كامل فيما بعد من أنه قبل هذا العمل يائسا من أى نتيجة ، بل وأعتبره مضيعة للوقت وتنازلا عن مبادئه لانه لا فائده يمكن أن ترجى من احدى بنات البورجوازية الكبيرة التى لا شك ترغب فى تعلم الرسم كما تتعلم الطبخ والحياكة والبيانو أى كنوع من الديكور الضرورى لها . لقد خاب ظن كامل التلمسانى وبقدر ماخاب ظنه كان تقدمى وانطلاقى ... لم يكن قد مضى وقت

طويل حتى ادركت أن دروس التلمسانى ليست دروسا فى الرسم فقط ، بل نافذة ساحرة على الحياة وعلى مصر الحقيقية . نافذة على المعنى الحقيقى للفن ... الرسم ليس إلا التعبير الصادق عن المجتمع والذات . هكذا تعلمت من التلمسانى .

لقد طلب منى نسيان كل القواعد المدرسية الجامدة. وكانت درووسه محاضرات مفتوحة عن تاريخ الفن والانسان عبر العصور مع ابراز نضال الانسان من أجل التقدم .

اندفعت أرسم بحماس وانطلاق أول لوحة زيتيه فى حياتى . كنت لازلت طالبة فى الليسيه . وكانت اللوحة تصور فتاة تحاول الهرب من لهيب النار والثعابين التى تحاول التهامها .. ثم كانت اللوحة الزيتية الثانية لفتاة تجرى مذعورة فوق الصخور محاطة بالأمواج العاصفة يطاردها طائر متوحش . ثم تتابع انتاجى الغزير من اللوحات ذات الألوان الصارخة والجريئة تتحطم فيها الصخور وتتحرر فيها الأشجار المقيدة بسلاسل خيالية . شجرة مقتولة بيد الإنسان الظالم يزحف دمها على القاتل ليخنقه ويثأر منه .

عناصر الطبيعة كلها مجسمة بأشكال انسانية تتعذب وتتألم وفى النهاية تنطلق .

لقد رفع التلمسانى عنى حجرا ثقيلا ، و ازاح من أمامى سداً قويا كان يخنق تفكيرى ويئد شعورى . وكانت مفاجأة للتلمسانى .. ماهذه الشحنة القوية من التمرد والرغبة العارمة الصادقة فى التعبير بالرسم التى تكمن فى فتاة تنتمى الى البورجوازية ؟ تحمس التلمسانى . ازداد اهتمامه بى وتشجيعه لى . بل جعلنى أشارك فى المعارض الطليعية الجماعية لجماعة الفن والحرية رغم صغر سنى وكونى لازلت طالبة فى الليسيه.

لقد كانت جماعة «الفن والحرية» من اهم الجماعات الفنية التى ظهرت فى الأربعينات أثارت قضايا كبرى فى الأدب والسياسة والفكر عموما إلى جانب قضايا الفن التشكيلى . كانت تسعى الى تحرير الانسان من القيود الاكاديمية والأشكال التقليدية الجامدة المنقولة من الخارج ولقد ضمت الجماعة نخبة من الفنانين الطليعيين الذين أصبحوا فيما بعد على قمة الحركة الفنية فى مصر مثل رمسيس يونان وفؤاد كامل ومحمود سعيد . كانت أيضا تضم نقادا وأدباء بارزين مثل البير قصيرى الذى عاش بعد ذلك فى باريس ، وجورج حينين وأتين ميربيل ومارسيل بيا جينى

لقد أقامت جماعة الفن والحرية عدة معارض هزت شعور الجمهور التقليدى وسعت الى صدام مع ذوقة المتبلد بتقديم كافة

المدارس الفنية الحديثة لأول مرة وعلى رأسها السيريالية والتكعيبية والتعبيرية .. لكن ذلك كله لم يكن يكفينى .. أوبمعنى أدق لم يعد يكفينى .

التحول الكبير :

انتقلت بالرسم الى الدخول فى دائرة المثقفين المصريين . فى ذلك الوقت كان للتحالف بين الاتحاد السوفيتى- الدولة الاشتراكية الوحيدة - وبين الدول الاستعمارية فى مواجهة دول المحور أثره فى تغيير مجرى الحرب العالمية الثانية ، وأثره فى كثير من المثقفين المصريين ، وبالطبع على أنا أيضا .

لقد ساعد هذا التحالف على وصول بعض المطبوعات والكتب الماركسية باللغة الانجليزية الى القاهرة والاسكندرية لأول مرة . وهكذا وجد العديد من الشباب المصرى المثقف الفرصة فى الاطلاع على المفاهيم العلمية للإشتراكية . ولقد وقع فى يدى بعض من هذه الكتب . كنت أندهش من التحليل العلمى المتكامل الذى تقدمه هذه الكتب ، والنظرة الانسانية الشاملة لجميع قضايا المجتمع . الفقر والاستغلال الطبقى والاستغلال المزدوج للمرأة فى المجتمعات الرأسمالية وقضايا الاستعمار والتحرر الوطنى ... الخ لقد وجدت فى هذه الكتب حلولاً حاسمة للقضاء على هذه

المشاكل من جذورهاوحلولا مبهرة جذابة لفتاة مثلى كانت من الأصل متمرده على طبقتها وزاهدة فى رخاوة تلك الطبقة. . فضلا عن أن ذلك كله لم يكن بعيدا عما تعلمته فى الفن من كامل التلمسانى . وجدت نفسى اقتنع بعمق وبصدق بالاشتراكية العلمية وبالعمل الوطنى من أجل تحرير بلادى من وطأة المستعمر وتحكم الاقطاع والطبقة البورجوازية المتعاونة مع المستعمر .

لقد زاد فى حماسى واقتناعى بالاشتراكية العلمية تركيزها على ارتباط التحرر الوطنى بالتحرر الاجتماعى ، ونظرتها لقضية تحرير المرأة فى ارتباطها بتحرير المجتمع نفسه . لقد كانت هاتان النقطتان تجذبانى بشكل خاص . ولا غرابة فى ذلك ! فقد كنت ادرس الفلسفة بمدرسة الليسية . وأستطيع أن أقول أنه باتخاذى ذلك الموقف الايديولوجى اكتسبت حياتى بعدا جديدا هو الكفاح السياسى .

الآن تم أنتقالى باختيارى الواعى من معسكر « الاغنياء» الى معسكر « الفقراء » . ماذا عساى أفعل الان ؟ لقد حصلت على شهاده البكالوريا قسم الفلسفه . أنتهت مرحلة الدراسة الثانوية كان ذلك عام ١٩٤٤ وهتفت وداعا مدرسة الليسية الفرنسية .

والآن ما العمـــل ؟

حاولت والدتى أقناعى بالسفر الى فرنسا لاستكمال دراساتى الفنية ، والالتحاق باحدى الكليات أو المراسم الفنية المشهورة فى باريس . وكذلك حاول كل أفراد العائله . كانوا يضغطون على فى هذا الاتجاه ويستخدمون كل وسائل الاغراء التى أقلها الشهرة التى سوف اكتسبها حين أذهب الى باريس وأنمى موهبتى الفنية .

لكنى رفضت ... باصرار وعزم رفضت ..

كان قرارى بالرفض منسجما مع ما أستعد له من حياة جديدة . حياة يقتسمها النشاط السياسى الاجتماعى أن لم يشغلها لابعد مدى . لم يكن مقبولا ولا معقولاً أن أترك مصر وأذهب لعدة سنوات الى بلاد « الخواجات » وأنا أفكر بكل وجدانى فى عملية تمصير طويلة وقاسية للنفس . لى شخصيا . أنا التى أتكلم الفرنسية ضاعت من عمرى ثمانى عشرة سنة فى هذا المجتمع المغلف بالسيلوفان . حتى السابعة عشر كانت لغتى هى الفرنسية وحين بدأت احتك بالناس لم أستطع أن أحلل العقدة من لسانى ! مقطوعة أنا من شجرة أذن ؟

وها أنذا أدرك ذلك كله فيجن جنونى ..

**** المجتمع يقبلنى على استحياء.. كيف تخطيت العتبة ؟**

أتساقا مع تفكيرى واقتناعى كان لا بد أن أعمل . العمل يضمن لى حرية الحركة والاستقلال الاقتصادى . فاستقر فكرى على العمل ورفض السفر . لكن ذلك لا شك أمر مزعج للعائلة رغم أن أمى سبقتنى اليه . لجأت الى اسلوب الحيلة وصولا لهدفى ادعيت دعوى لا أعرف كيف توصلت اليها . قلت أننى موهوبة جدا فى علم « الكيمياء» ولذلك عرض على استاذى فى هذا العلم الدكتور ريمون جابيس العمل معه فى معملٍ له يملكه فى القاهرة كى يساعدنى على إنماء موهبتى الفذة فى ذلك العلم ! صدقتنى أمى وصدقنى جدى لأبى محمد باشا افلاطون –

الذى كنت أخشى رفضه لكنه كان لطيفا وواسع الأفق .. وبالفعل عملت مع الدكتور جابيس مقابل ستة جنيهات شهريا . كنت أعمل مدة سبع ساعات يوميا فى كتابة نتائج التحاليل على الآله الكاتبة . كان عملا مملاً مرهقا للغاية لكنه مكننى من الوصول الى هدفى إن مجرد خروجى فى الصباح وعودتى فى المساء وكسبى هذا المبلغ الذى كان تافها بالطبع بالنسبة إلى حالتى يشعرنى بالحرية والاستقلال . أستطيع الآن أن أخرج من البيت دون إذنٍ من والدتى .حصلت إذن على « حقى فى العمل » يمكن أيضا أن أترك معمل جابيس وأبحث عن عمل يناسبنى وحدث

فيما بعد أن وجدت استعداداً طيبا لدى مدير مدرسة الليسيه « مسيو جوسار » كان الرجل يقدرنى من قبل كتلميذة فعرض على أن أقوم بتدريس الرسم فى فصول الصغار إلى جانب تدريس اللغة الفرنسية - كان هذا عملا مناسبا جداً لى .

فها انذا أعود الى المدرسة التى كانت فيها البداية للحرية والانطلاق . لقد احببت هذا العمل فلم أتركه إلا بعد أن تزوجت عام ١٩٤٨ . خلال تلك الفترة كنت أحاول بقوة الاقتراب من هذا الوطن . الوطن الذى أنتمى إليه ولا أعرفه تماما بعد والذى تقف اللغة حا ئلا بينى وبينه . كان احساسى بهذه المسألة كالطفل الذى بدأ يحبو لابد أن يأخذ أحد بيده ليساعده . كنت أنا فى حاجة الى هذا الأحد . إلى من يقول له بصوت الأم الحنون الدافىء تخطى العتبة .

فى ذلك الوقت ، وبرغم وجود دستور يكفل عدداً من الحريات ووجود برلمان وأحزاب وصحافة ، فإن حرية تكوين حزب شيوعى يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون بأحكام صارمة تتراوح بين سنة وعشر سنوات من السجن والأشغال الشاقة .

كانت الصورة العامة لمصر وقتئذ أنها مجتمع شبه مستعمر وشبه إقطاعى يتحكم فيه كبار الملاك وكبار الرأسماليين

المتعاونين مع قوات الاحتلال . كان هناك حلف مقدس بين قوات الاحتلال والسرايا والاقطاع لقمع الحركة الوطنية الديمقراطية التى اشتدت بعد الاستقطاب العنيف الذى حدث فى مصر فى الاربعينات خلال الحرب العالمية فازداد الاغنياء غنى وتدهور الفقراء وتراجعت الدول الاستعمارية عن وعودها للمستعمرات بالاستقلال .

كانت الحكومة تعطل الدستور وتعلن الاحكام العرفية تحت أى حجة وتفتح المعتقلات وتمنع الاجتماعات وتغلق النقابات والهيئات بهدف تحطيم الحركه الشعبية .

وفى هذا الوقت أيضا تأسس أكثر من تنظيم شيوعى سرى . وكنت أنا أبحث تائهة عن أى أنتماء . ذلك مايتفق مع أقتناعى بالاشتراكيه العلمية ، وهو سبيل جهادى فى حقيق مبادئى .

وأخذت قرارى بالعمل السرى والعمل السرى ليس هو الطريق المختار للاحزاب الشيوعية أنما هو الطريق الذى تفرضه عليها البورجوازية اذ تمنع أى مظهر من مظاهر النشاط الشيوعى الديمقراطى .

التنظيمات الشيوعية اذن ممنوعة من مزاولة نشاطها بحكم

الصراع بينها وبين البورجوازية الحاكمة التى لا تسمح لها بالحركة فى العلن ، وفى مصر قانون بذلك كان قرارى بالعمل الثورى قد تم بوعى وبمسئوليه وكنت أعرف تماما كل الاحتمالات التى يمكن ان تترتب عليه .

وهكذا أنضممت لمنظمة اسكرا عام ١٩٤٤ .. كنت مندفعة متحمسة وكان الامر رغم كل الصعوبات جميلا . لقد أخذت موقفى الايد يولوجى وموقفى العملى وبدأت فى حياتى فترة من النشاط السياسى الذى هو مزيج من العمل السرى الضيق والعمل العلنى الجماهيرى الواسع. وشرعت فى تعلم اللغه العربيه بأقصى سرعة. لبس أمامى وقت طويل . العمل السياسى يستغرقنى وأنا فى أشد الحاجة الى اللغة . وبهذه المناسبه أتذكر حكاية مع الشاعر فؤاد حداد . كان قد تطوع ليعلمنى العربية . وفى أحد الدروس عرضت كلمة الهوى وكنت أحسب أنها تعنى الهواء وفسرتها بذلك فاندهش الشاعر وقال لى (الله هو انت ما جبتيش أبدا بالعربى)

وكان على أن أعتمد على قاموس صغير .

قاموس ملأته أنا بالكلمات التى اسمعها والتى قد أحتاج اليها فى المناقشات كان بحق قاموساً صغيراً ولكنه عندى لا يقدر بثمن

ولايفارقنى .

ومع أن اللغه كانت أكبر المشاكل الا أنها لم تكن المشكلة الوحيدة . كانت أمامى صعوبات كبيرة . لم يكن المجتمع الذى تزلت اليه يقبل با لاختلاط بين الجنسين الا فى حدود ضيقه للغاية . وكان عملنا السياسى سريا فكيف أذن بضم تنظيم سرى فتيات وسيدات جنبا إلى جنب مع الرجال ؟ .. هناك عُقد الزملاء أنفسهم وهناك عيون المجتمع المتربصة بنا وأبواق الرجعية التى تروج لإشاعات كاذبة ومشينة عن الفتيات الماركسيات بهدف تشويه سمعتهن وكفاحهن أمام الرأى العام .

فى تلك الظروف صار من الضرورى اتخاذ خطوة جريئة للتغلب على هذه المشلكة التى كانت تهدد التنظيم بالتميع وتحويل أنظاره عن المشاكل السياسية الرئيسية إلى مشاكل جزئية وعاطفية فلجأنا إلى خلق « قسم نسائى » داخل التنظيم يفصل بين الجنسين من القاعدة حتى مستوى القسم ثم يعود الأمر طبيعيا فى المستويات الاعلى .

كان ذلك قرارا حكيما وسليما لأنه ساهم كثيرا فى التغلب على مشاكل التخلف الموروثة والعقد الناتجة عنها كما أنه شجع كثيرا من المتزوجات على الانضمام الى التنظيم حيث لم يعد هناك مبرر لاعتراض الأزراج .

رأيت ان هذه الخطوة الغريبة فى شكلها ضرورة فى تلك المرحلة وأنه مع تطور ظروف المجتمع المصرى وتطور عقلية الرفاق والرفيقات ستزول أسباب هذا الفصل وسيتحتم العودة للاختلاط الطبيعى الصحى داخل التنظيم حيث لاتفرقه بين رجال ونساء .

لكن المشكلة التى أقلقتنى بحق كانت الفارق الطبقى الواضح بينى وبين غالبية الرفاق من الجنسين . هذا الفارق لم يكن واضحا فقط فى المستوى الاقتصادى بل فى العادات والتقاليد وكان على أن أبذل جهدا جبارا لِكى أتكيف مع هذا « العالم الجديد » وأجعله يثق بى ويتقبلنى . . كان هذا أصعب جزء فى عملية التمصير والتأقلم التى شغلتنى سنوات طويلة .

كم كان خجلى من الملابس الغالية التى تملأ دولاب والدتى صاحبة أكبر وأشيك محل أزياء فى القاهرة « محل صالحة » الذى هو أشهر من نار على علم . وكنت أترك جميع الفساتين الجميلة وأرتدى أبسط وأقدم ما أجده عندى حتى لا تشعر زميلاتى بالفارق أوعلى الأقل ينسين مؤقتا أننى قادمة من طبقة الأعداء .

والحقيقة أننى أنا نفسى لم أستطيع أن اتخلص من هذه

العقدة . عقدة أشبه بعقده الذنب لفتاة غنية واشتراكية معاً . لم أتخلص من هذه العقدة إلا بعد زواجي.

لقد استطاع زوجى أن يكشف لى خطورة هذا التفكير ويقنعنى بأن انضمامى أوغيرى من أفراد طبقة الأغنياء الى جبهة الشعب هوفى الحقيقة مكسب كبير يجب أن أفخربه ولا أخجل منه . وأدركت أن الأسباب الحقيقية لتفكيرى الخاطىء لا ترجع إلى وحدى بل الى موقف الزملاء والزميلات منى . كانوا أحيانا يشعروننى بأصلى الطبقى ويشكون فى مدى إخلاصى وصلابتى وقدرتى على مواصلة الطريق الصعب . كان ذلك يؤلمنى كثيرا حتى أنه زعزع ثقتى فى نفسى لفترة ليست بالقصيرة . لكنى فى النهاية جعلت من ذلك تحديا وترجمته الى مزيد من الاجتهاد فى سرعة تعلمى اللغة العربية . أذكر أنه جاء على وقت صرت أتحدث فيه بالعربى فى كل ما يخص مجال العمل السياسى . لكن تقدمى كان سريعا لما اخذت انتقل فى مختلف الأحياء الشعبية لحضور الآجتماعات فى بيوت الزميلات واللقاءات فى النوادى السياسية والاجتما عية والـرياضية . استخدمت فى ذلك المواصلات العامه من ترام وأتوبيس . وخلال هذه التنقلات والاجتماعات فى القاهرة الشعبية النابضة تعرفت حقيقة على زميلاتى وطريقة حياة البيت المصرى البسيط وجدت

نفسى أقترب من شخصية الانسان المصرى العادى .

كان اقتحامى لهذا العالم الجديد يملأنى سعادة واعتزازا وكنت أشعر بأننى سأصل أخيرا الى جذورى وأن الدم الذى يجرى فى عروقى هودم مصرى حقيقى . صار على أن أعوض بسرعة السنوات الضائعة من عمرى وأتشبع بأقصى ما أستطيع « بالشخصية المصرية » التى بها يكون اكتمالى . هكذا كنت أفكر .

وهكذا بدأت منذ الزمن البعيد ، أعنى فى عام ١٩٤٤ رحلتى الشاقة للبحث عن مصر الحقيقة ، وعن هويتى . وذلك حين انضممت الى تنظيم إسكرا الشيوعى ، لقد أصبح هذا البحث هو همى السياسى وهمى الفنى أيضا .

اننى أنظر الى تلك الأيام بامتنان . امتنان للناس الذين ساعدونى . امتنان لهذا الاختيار الذى أعطانى فرصة الاندماج التام مع الوطن والشعب فأصبحت من أكبر عشاقه .

*****

نحن نساء مصر نقسم قسما مقدسا

مهمة جديدة :

احتلت قضية المرأة مكانا أساسيا في تفكيرى .

لقد هزنى وأثار غضبى الوضع المتخلف والمهين لأقصى درجة الذى كانت تعيشه المرأة المصرية فى ذلك الوقت . لقد أذهلتنى الحكمه الشائعة فى الصعيد التى تقول ان المرأة لا تخرج من بيتها إلا مرتين ، عند زواجها وعند وفاتها .

كنت أفكر كيف يمكن تغيير هذه الأوضاع الظالمة وغير المقبولة للمراة ؟

هذا الاستغلال البشع الواقع عليها فى البيت والعمل . كيف يمكن اخراج المرأة المصرية من عزلتها وجعلها مواطنة قادرة على الدفاع عن حقوقها.

كيف ندفعها للمشاركة فى المعارك الكبرى لتحرير الوطن والمجتمع ؟

فى ذلك الوقت كانت هناك جمعيات وهيئات نسائية قائمة ولها نشاطها . كان هناك الحزب النسائى الذى تأسس عام ١٩٤٢

وكانت تتزعمه السيدة / فاطمة نعمت راشد . وكان هناك الاتحاد النسائى المصرى الذى سبق وأدى دوره فى العشرينات والثلاثينات ولكنه تحول الى نشاط صالونات وبعض الأعمال الخيرية ثم خمد وانطفأ بعد وفاة مؤسسته هدى شعراوى عام ١٩٤٧.

كان برنامج الحزب النسائى وهو الاكثر حداثة ، أكثر تقدما من برنامج الاتحاد النسائى المصرى .

تضمن برنامجه حقوق المرأة السياسية والاجتماعية كاملة مثل حق الانتخاب والتمثيل النيابى بينما حصر برنامج الاتحاد النسائى حق الانتخاب والتمثيل النيابى على المتعلمات فقط . كذلك اشتمل برنامج الحزب النسائى بينما على حق المرأة الاقتصادى فى المساواه فى الأجر مع الرجل عن العمل الواحد . والى جانب هذين التنظمين كان هناك أيضا اتحاد بنت النيل .

كان السؤال هل نعمل من خلال هذه الأطر القائمة أم نشرع فى تكوين تنظيم جديد ؟ كان الحل الأول أسهل بكثير وله ميزاته . كما أنه من الصعب الحصول على تصريح قانونى بتكوين هيئة نسائية جديدة ذات طابع ديمقراطى وأهداف تقدمية

واضحة .

وجدير بالذكر أن عدد النساء التقدميات كان قليلا جدا فى تلك الأيام .

صحيح ان زميلات كثيرات كن مشتركات فى التنظيمات الشيوعية المختلفه .

ولكن الحقيقه إن معظم الزميلات كن من الأجانب أو اليهود . ولا يعرفن اللغه العربية وغرباء على البيئة المصريه .

كانت مهمتى الأولى الاتصال بالفتاة المصرية والتعرف على الطالبات والمثقفات ومحاولة استقطابهن فى صفوف الحركة التقدميه .

نشاط الدار ليس سياسا .

اتجهت للنوادى الرياضية والثقافيه . انضممت لنادى جمعية الشبان المسحيين . ثم ترددت على دار الابحاث العلميه وكانت فى شارع نوبار . كانت الدار ناديا ثقافيا عاديا فى البدايه . لكنى اكتشقت انه يمكن تطويره حين تعرفت على شهدى عطيه الشافعى وعبد المعبود الجبيلى وهما مسئولان عن الدار ، لقد لفت

نظرى أن كلامنهما كان يحمل فى جديبة على الدوام كتيبا من السلسة التى كانت تصدرها باللغه الانجليزية دار النشر المعروفه بمكتبة لينين الصغيره فى لندن .

وعرفت بعد ان تعاونت معهما انهما فى الحركه الديمقراطية المصرية . احدى الحركات الشيوعيه السريه . بينما كنت أنا فى منظمة أسكرا . وشهدى هو الشهيد الذى توفى تحت التعذيب سنه ١٩٦٠ فى ليمان ابى زعبل . اما الدكتور الجبيلى فهو عالم الذرة المشهور قد رأس مؤسسة الطاقه الذريه كما كان وزير البحث العلمى فى الستنيات . كذلك تعرفت فى الدار على الدكتور رشدى سعيد عالم الجولجيا الذى رأس مؤسسة الجرلوجيا والمناجم .

اصبحت دار الابحاث العلمية ناديا ثقافيا وسياسيا من الدرجة الأولى .

وقيامها كان سنة ١٩٤٤ وقد اغلقت فى يوليو عام ١٩٤٦ مع غيرها فى حملة اسماعيل باشا صدقى المعروفه .

فى هذه الدار كانت تلقى فى مساء يوم الأحد من كل اسبوع

محاضرة تعقبها مناقشه . وكان يحضر هذه الاجتماعات جمهور كبير من الشباب الجامعى المتحمس . وكنا مهددين دائما بمنع الاجتماع حيث كان يتواجد بشكل دائم عملاء المباحث العامه .

ومن الطريف ان الدكتور وليم سليمان المدرس فى كلية العلوم كان يتولى الاشراف على المحاضرات بالدار . وكان دائما يفتتح الندوة او المحاضرة يقوله نشاط الدار ليس سياسيا بل علميا ، ولكن بعد خمس دقائق كنا نفرق فى السياسه .

وفى دار الابحاث تكونت أول لجنة نسائية على مستوى جيد وانضم اليها عدد من خيرة الشابات المثقفات منهن سعاد بدير وثريا أدهم ولطيفة الزيات .

كذلك كنت اتردد على لجنة نشر الثقافه الحديثه بشارع القصر العينى وبين الحين والأخر كنت احضر محاضراتهم الشيقه وكانت تلقى فى مساء يوم الخميس من كل اسبوع . وكان من رواد هذه الدار التقدميه أبوسيف يوسف وسعيد خيال ومصطفى كامل منيب وعبد الرحمن الشرقاوى ونعمان

عاشور[1] .

رابطة فتيات الجامعة . . .

فى ذلك الوقت بدأت أنا وبعض الزميلات الماركسيات محاولات جادة للعمل من خلال الجمعيات النسائية الموجودة .

بعد أن أطلعت على ما كتبته عن لجنه نشر الثقافة الحديثه راجعتها وذكرتها بحقائق غابت عن ذاكرتها . فطلبت الى إثباتها .
والحقيقه انى لما سمعت عن دار الأبحاث العلميه توجهت اليها مساء الأحد للتعرف والأستطلاع . كانت الاستاذه مفيده عبد الرحمن المحامية تلقى محاضرة عن المرأة والاسلام . ومما قالته ان الاسلام كرم المراه وعظمها . وساقت للتدليل على ذلك الواقعه المشهوره . وهى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان يخطب فى المسجد وقرر ضرورة الحد من المغالاة فى المهور تيسيراً للزواج ،
فاعترضت امرأه على ما نادى به وقال كيف والله تعالى يقول ﴿ وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا ﴾ .
الله يعطى بالقنطار وانت تبخس يا عمر فقال ابن الخطاب قولته المشهورة . أخطأ عمر وأصابت أمرأة .
علقت أنا على هذا بقولى للأستاذة المحاضرة (ابحثى عن حجة أخرى) وقلت ان سيدنا عمر عزت عليه نفسه وآلمته المفارقة ان يخطئ هو على جلال قدره وتصيب امرأة وحدث ان بكى لذلك . واذن فالمعنى واضح وهو بعيد عن التعظيم ! بعد انتهاء المحاضرة والمناقشة جاءت انجى إلى وقالت أنت ناقشت واثرت مسألة مهمة . وطلبت ان نلتقى لنتناقش فتواعدنا . كلانا لم يكن يعرف الأخر . ثم تبينت انها تسعى لتجنيدى للحركة الشيوعية . وعلمت هى انى رئيس لجنة نشر الثقافة الحديثة هكذا بدأ التعارف بيننا واخذت هى تتردد على اللجنة حتى اغلقت مع دار الأبحاث وغيرها فى يوليو سنة ١٩٤٦ .

قمنا بأول محاولة مع الحزب النسائى وفشلت جهودنا فى زحزحته عن جموده وبدأ واضحا انه غير مستعد للدخول فى معارك جدية ولاحتضان عناصر شابة جديدة . وحاولت أنا التعامل مع اتحاد بنت النيل لكن بلا فائدة أيضا . كانت السمة السائدة فى الاتحادات النسائية هى الخوف من العناصر الجديدة النشطة واليسارية بصفة خاصة .

فى ذلك الوقت كانت القوى الاستعمارية والقوى المتحالفة معها تروج بكل قوة الخوف من « بعبع الشيوعية » وترفع شعار مكافحة المبادىء الهادمة وتقصد به الحركة الوطنية على اختلاف تياراتها السياسية ، سواء كان شباب الوفد أوالحزب الوطنى أو مصر الفتاة أو التنظيمات الشيوعية .

كانت الرجعيه تعمل كل جهدها لإرهاب الناس لأبعادعم عن الكفاح السياسى وكان واضحا أن السيدات الفاضلات المشرفات على الاتحادات النسائية وجدن راحتهن فى رفع نفس الشعارات حتى يبقين فى كراسى الزعامة وينلن رضاء الحكام .

وهكذا وجدنا أنه لا مفر من تكوين جمعية نسائية مستقلة ذات طابع ديمقراطى جديد نستطيع من خلالها أن نحدد أهدافها وبرنامجها وفعلتا ذلك . أخذنا زمام المبادرة كان معنا كثير من الفتيات منهن لطيفة الزيات وفاطمة زكى وآسيا النمر وعنايات

النيرلى ، وأسميناها « رابطة فتيات الجامعة والمعاهد المصرية » وأعلنا عنها فى منتصف عام ١٩٤٥

كم كنا نرغب بحق أن يتضمن اسم الجمعية كلمة – « المرأه العاملة » لكنا رأينا من الحكمة أن نتقادى هذه الأشارة التى كانت تستفز السلطات حينئذ وقد تكون سببا فى تعطيل الرابطة ومصادرة نشاطها ، وهذا مع عزمنا أن لاتقتصر الرابطة على فتيات الجامعة والمعاهد فقط .

وضعنا برنامجا وحددنا أهدافه وطبعناه فى شكل منشور أنيق ذى ثلاثة ألوان – الأخضر والبنى والاسود – تضمن البرنامج مطالبنا ، وتضمن نداء للمثقفات وسائر نساء مصر للانضمام الى الرابطة .

جاء فى النداء أن رابطة فتيات الجامعة والمعاهد تتيح لك أن تترجمى أقوالك أفعالا وايمانك أعمالا فهى تعمل والحرية هدفها ، والاخلاص شعارها ، فهلا انضممت الى فتيات الجامعة والمعاهد ؟ تعالى معنا نحقق للمرأة أهدافها وحقوقها . تعالى نحقق مع العاملين لمص حريتها واستقلالها .

كما تضمن البرنامج القسم العظيم قسم أعضاء الجمعية للدفاع عن حقوق المرأة الاقتصادية والسياسية والقانونية

والاجتماعية وهذا نص القسم :

« نحن نساء مصر نقسم قسما مقدسا على الكفاح المستمر بمختلف أشكاله حتى نقضى على الرجعية والاستعمار قضاء تاما ، وحتى تعم بلادنا ديمقراطية حقيقة » .

لقد استقبلت الصحافة المصرية اعلان تكوين الرابطة استقبالا حارا ومتحمسا الى أقصى حد ولم يكن يمضى اسبوع دون أن تحوى الصحف خبرا أومقالة أو تحقيقا صحفيا عن الرابطة ونشاطها المكثف . بل أن جريدة الشعلة جعلت عنوان عددها الصادر فى ٢٦/٣ / ١٩٤٦ هو :

« اننا نطالب بالحرية لمصر وللمرأة المصرية – برنامج رابطة فتيات الجامعة والمعاهد المصرية ».

لقد أعلنا الرابطة ـ إذن دون انتظار ترخيص بذلك وأعطيناها صفة « المؤقتة » حتى يكون لها وضع قانونى وجعلنا لها عنونا مؤقتا هو :

« الآنسة إنجى افلاطون – ١٤ شارع شامبليون – القاهرة »

******

« مع نساء العالم »

أول طائرة لأول مؤتمر بعد الحرب العالمية :

كان أول نشاط هام تقوم به الرابطة هو قرارها بإرسال مندوبات عنها الى أول مؤتمر نسائى عالمى يقام بعد الحرب . وهو المؤتمر الذى افتتح فى باريس يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٥ .

لقد علمنا بأسماء النساء القائمات على التحضير للمؤتمر وعرفنا انهن من أبرز وألمع الشخصيات النسائية من بطلات النضال ضد الفاشية والنازية كما عرفنا أهداف المؤتمر التى تركزت على كراهية الغاشية والاستعمار وجميع صور الاستبداد الى جانب المطالبة بحقوق المرأة كاملة والدفاع عن السلام العالمى والحيلولة دون وقوع حرب عالمية جديدة .

لهذا كله تحمسنا لفكرة الاشتراك وقررت الرابطة ارسال ثلاثة من عضواتها هن :

سعاد كامل . . خريجة كلية العلوم .

صفية فاضل . . ربة بيت

وأنا .

ثم انضمت الينا الصحفيه سعاد زهير زوجة الصحفى

فتحى الرملى .

جمعنا التبرعات لتغطية بعض تكاليف الرحلة . وسافرت سعاد كامل وصفية فاضل عن طريق البحر بينما سافرت أنا على أول طائرة مدنية تقوم من القاهرة الى باريس بعد الحرب .

فى الطائرة وجدت سعاد زهير . وكان ذلك مفاجأة سارة لى. لكن المفاجأة الكبرى لنا معا هى الطائرة نفسها .

كانت بدائية الى أقصى درجة حتى أنها قطعت الرحلة من مصر الى مارسيليا فى ثلاثة أيام وليال . كانت لا تستطيع الطيران أكثر من ساعتين ثم تهبط الى الأرض للراحة ثم تنهض من جديد .

لقد قضينا أول ليلة فى معسكر بريطانى فى الصحراء الغربية ونمنا فى خيامه ، أما الليلة الثانية فقضيتها فى تونس وفى الليلة الثالثة كنا فى مرسليا .

أخيرا وصلنا فرنسا بعد رحلة المفاجأت . ومن طرائف الرحلة أن سعاد زهير كانت دائمة التأوه بسبب هذا السفر مع أنها جاهدت لكى تسافر . اذن لماذا التوجع والشكوى . كانت سعاد قد وضعت طفلها حديثا وتركته بالقاهره . وكان لبن الأم عندها حاضرا لدرجة انها كانت تضطر لتصفيته من وقت لأخر .

ولهذا كانت تندب حظ رضيعها لأن لبنها ينسكب بعيدا عن فمه .

كانت تردد فى أسى بالغ قولها يا عينى يا لينين. ياضنايا يا لينين.

واحتار ركاب الطائره من الاجانب وارتسمت على وجوههم علامات الدهشه والتساؤل فعشرات السنين مضت على وفاه لينين ولازالت هذه السيده تندبه . السيدة ليست طبيعية ولا شك : من أين لهم أن يعلموا أنها تتذكر رضيعها لينين الرملى الكاتب الروائى المشهور .

ومن الطرائف التى لاتنسى ايضا ان صديقة لوالوتى وهى لطيفه فاضل انتهزت فرصة المؤتمر للحصول على تأشيرة دخول لفرنسا لأن الحصول عليها كان صعبا فى ذلك الوقت . لم يكن للسيده لطيفة فاضل علاقه بالعمل السياسى ولم ترد على بالها ابدا فكرة حضور المؤتمر .

كانت ذاهبة لفرنسا لتقابل يوغسلافيا منشقا ربط الحب بينهما . وبالفعل تزوجته فى هذه الرحله . فلما عادت لمصر اعتبرتها مباحث امن الدولة من الخطيرات باعتبارها كانت عضوا فى المؤتمر مع انها لم تشاهده بعينها ولقد عانت لطيفة من ذلك كثيرا وظلت تلعن اليوم الذى سافرت فيه معنا الى باريس .

وأخيراً كنا متلهفتين على الوصول لباريس

فلم نقضيا الليلة فى مارسيليا بل قررت أنا وسعاد زهير ألا ننتظر قيام الطائرة وفضلنا ركوب قطار مارسيليا - باريس لنضمن الوصول فى الصباح الباكر . كانت رحلتنا بحق صعبة طويلة لكننا وصلنا . وكانت المفاجأة الأخيرة أننا وجدنا فى باريس سعاد كامل وصفيه فاضل اللتين سافرتا بالباخرة ! ! سبقت السفينة الطائرة . فتأمل !

* * *

ميلاد الاتحاد النسائى الديموقراطى العالمى

كان شاغلنا الأول هو هل ستعترف اللجنة التحضرية للمؤتمر بنا كمندوبات وتقبل أن نشترك فيه ممثلات لمصر فى الوقت الذى كنا فيه مندوبات لرابطة جديدة لايعرف عنها أحد شيئا ؟

كانت السيدة عصمت عاصم قد تقدمت للمؤتمر مندوبة عن « الاتحاد النسائى المصرى » لكنها عدلت عن ذلك حين قرأت جدول أعماله وأهدافه ووجدت من بينها . . «مكافحة الفاشية وجميع أنواع الاستبداد والاضطهاد » . كانت حجتها ان الاتحاد النسائى لايشتغل بالقضايا السياسية . وغادرت باريس عائدة إلى

مصر . لم يكن غيرنا أذن من مصر .

ولسعادتنا تم قبولنا مندوبات عن مصر فى المؤتمر . وفيما بيننا تم اختيارى رئيسة للوفد المصرى . وفى أولى جلسات المؤتمر فوجئنا بمشهد مهيب .

حشد هائل من المندوبات (٨٥٠ مندوبة) اللاتى جئن من معظم انحاء العالم رغم صعوبة المواصلات بعد الحرب مباشرة . وكان بين المحتشدات عدد كبير من بطلات العصر اللاتى خضن نضالا ضاريا أثناء الحرب من أجل تحرير بلادهن من الاحتلال الفاشى .

كانت هناك « دلوريس ايبا رورى وشهرتها » الباسيونارتا » التى تعنى الشعلة الملتهبة . الزعيمة الاسبانية المناهضة للفاشية والسكرتيرة العامة للحزب الشيوعى الأسبانى التى سجنت كثيرا وحكم عليها نظام فرانكو بالاعدام مرتين ، وكان يفرج عنها أحيانا تحت ضغط الرأى العام كما انها هربت من السجن مرات ، الباسيونارتا التى لم يتوقف نضالها ضد فرانكو من منفاها خارج أسبانيا والتى لم تعد الى وطنها الاعام ١٩٧٨ بعد وفاة فرانكو وعودة الديمقراطية .

حيث انتحبت نائبة فى البرلمان لمقاطعة قطالونيا

– وكانت هناك « أنا بوكر » الرومانية التى حازت شهرة فائقة فى مقاومة الفاشية والتى شغلت منصب وزير خارجية رومانيا فى الحكومة الجديدة بعد الحرب .

– وحضرت أيضا مارى كلود فايان كوتورييه الفرنسية . من القليلات اللاتى نجون من الموت فى معسكر الاعتقال الرهيب « أوزفيتش » والتى بقيت بالمعتقل بعد أن حرره الحلفاء لتعنى بزميلاتها ممن أصبن بالتيفوس ولم تخرج من هذا الجحيم الامعهن .

– وحضرت أنديرا غاندى ونينا بوبوفا البطلة السوفيتية وأسماء كثيرة لا تنتهى من النساء الشهيرات أصحاب البطولات والتضحيات .

كان الجو الذى ساد المؤتمر هو جو السرور والبهجة مع الشعور بالثقه فى مستقبل افضل للبشرية كلها .

وكانت الشعارات الملونة والشارات النسائية الجميلة تغطى جدران صالة المؤتمر وتزينها .

ولا أنسى حالتى حين جاء دور الوفد المصرى لا لقاء كلمته . أنى لأذكر ذلك كأنه البارحة .

كنت خائفة وأنا أصعد الى المنصة الرئسية . مشدودة

الأعصاب ترتعش الورقة التى كتبت بها الخطاب بالفرنسية فى يدى بشكل فكرت أنه لا بد سيمنعنى من الالقاء . لكن الذى حدث كان غريبا . نفس الحشد المثير المهيب هو الذى شجعنى . ما كدت أنظر أمامى وأراى هذا العدد الكبير من المندوبات وبطلات العصر الشهيرات والنياشين الذهبية تتألق على صدورهن حتى استطعت أن أتغلب على شعور الارتباك والتهيب .

وتحدثت . .

كانت كلمة حماسية ملتهبة أردتها تعكس الحماس ولالتزام الكبير بالقضايا التحريرية والوطنية الذى ميز الحركة النسائية الشابة التى رحت أتكلم باسمها . لقد سنحت الفرصة اخيرا لنتحدث امام نساء العالم قاطبه عن الاستبداد الذى تعانيه مصر منذ خمسة وستين عاما .

« اننا نستطيع الآن أن نتحدث بصراحة عن السياسة الاستعمارية الخبيثة التى تعوق دائما وباستمرار كل تقدم وارتقاء فى بلادنا » .

« ان المرأة المصرية ترفض أن تبقى كما هى الآن محرومة من كل حقوقها . انها تأبى أن تكون العاملة التى تتقاضى ثلث أجر الرجل عن نفس العمل ودون أى تأمين اجتماعى. انها تأبى

أن تكون الموظفة التى تحرم تولى المناصب الكبيرة بحكم التقاليد . »

واستمر حديثى الذى ابرزت فيه إدراك المرأة المصرية بأن السبب الأصلى لا ضطهادها وتخلفها هو الاستعمار والحكام المتعاونين معه وكيف ترتبط قضية تحرير المرأة أوثق ارتباط بقضية تحرير الوطن .

« ان نضالنا الوطنى مستمر على أشده وان الحركة القومية أيقظت فى نفوس جماهير النساء ذكرى أعوام بؤس وشقاء وأنها لمصممة على القيام بدورها فى المسيرة العامة للوطن » .

لم تكن هناك فى ذلك الوقت ترجمة فورية . وما هى الادقائق حتى اندفعت الحاضرات من المندوبات وبطلات العصر فى تصفيق جماسى حار واقبلت بعضهن تقبلننا وتهنئننا نحن الشابات عضوات الوفد المصرى .

كنا نحن أصغر الحاضرات بالمؤتمر . «junior» المؤتمر! بحق

ولقد حظينا بكثير من التعاطف والحماس الذى ضاعفه صغر سننا ، ولقد دامت أعمال المؤتمر اسبوعا أعلن فى نهايته عن ميلاد الاتحاد النسائى الدولى الديمقراطى وتم انتخابى لعضوية مجلس الاتحاد ممثلة لرابطة فتيات الجامعات والمعاهد المصرية .

خلال أيام المؤتمر كنت أقيم عند خالتى انجى التى سمونى باسمها .

وكما حدث لأمى تزوجت خالتى فى سن مبكره من عثمان صبرى وانتهى هذا الزواج سريعا بالفشل . ثم احبت شاعرا مصريا كان بكتب ايضا بالفرنسية هو احمد راسم الذى عمل محافظا لمدينة السويس .

كانت خالتى عاطفية جداً فى كل شىء . وكانت غيرتها على احمد راسم شديدة . وفى عام ١٩٣٦ تم طلاقها فأصابتها صدمه كبيرة . وهروبا من هذا الجو سافرت الى فرنسا وتاهت هناك وعاشت فى باريس ، كانت تسكن فى ستوديو عبارة عن شقه من غرفة كبيره وملحقتها .

وساعدتها موهبتها على اتقان صناعة دقيقه هى صناعة الحلى الرقيقه وكذلك تجليد الكتب النادرة وبيعها . وجدت نفسها فى هذا العمل وعاشت راضية فى فرنسا . واتذكر ان البرد كان شديداً فى ذلك الوقت . ولم يكن سهلاً تدفئة المساكن لأن الفحم والوقود كان يباع فى السوق السوداء . والذين يزورون باريس يعرفون بردها القارس فى الشتاء . إلا ان جمال مدينة النور يبعث الدفء وسحر العاصمه يغنى عن كل شىء .

كانت هذه هى المرة الأولى التى ازور فيها باريس بعد ان اصبحت فتاة ناضجة وقد عشقتها من ذلك التاريخ.

على ان الأمر لم يخل من الأثارة . ففى وسط المسرة التى عشناها لنجاح المؤتمر ونجا حنا فيه ، والبهجة التى تمتعنا بها فى باريس ، فى هذا الجو جاء من يخبرنى اننى مطلوبة فى الكى دورسيه « وزارة الخارجية الفرنسية » ، وحدد لى موعدا لذلك . فى الموعد ذهبت ومعى سعاد كامل وصفية فاضل ولم نكن نعرف السبب لكننا لم ننجح فى الوصول الى المكتب الذى حدد لى الموعد .

لقد تهنا فى طرق الوزارة فلم نعط الموضوع أهمية كبيرة وعدنا . وفيما بعد أدركنا مدى أهمية هذا الموعد الذى ضاع منا .

*** * هل انت قادم من طرف ماما؟**

قررنا أنا وصفية فاضل وسعاد كامل العودة بطريق البحر . لم أكن قد نسيت تجربة الطائرة . من ميناء طولون ركبنا الباخرة الفرنسية « شامبليون » فإذا بها مخصصة لنقل وحدات من جيش الاحتلال البريطانى لتعزيز القوة الموجودة فى مصر .

قررنا مقاطعة جنود الاحتلال طوال الرحلة واكتشفنا أن بحارة وضباط الباخرة الفرنسية متعاطفين مع القضية المصرية ،

وأنهم فى معظمهم أعضاء فى الحزب الشيوعى الفرنسى .

حدثت بيننا وبين البحارة الفرنسين مناقشات أثارت غيظ الجنود والضباط الانجليز الذين تعمدنا تجاهلهم الى درجة الاستفزاز حتى يشعروا بمدى كراهية المصريين لهم ، وكنا ، نشارك الفرنسيين مرحهم وأغنياتهم التقدميه. لكن الضباط والجنود الانجليز وجدوا فرصة التشفى فينا فى ميناء الاسكندرية لأننا ما كدنا نصل الى الميناء حتى تم القبض علينا

وارتسمت السعادة على وجوه الانجليز .

ولا أنسى الحوار الطريف الذى دار بينى وبين المكلف بالقبض على فقد سألنى . .

– حضرتك الآنسه انجى افلاطون . ؟

– نعم . من حضرتك ؟ هل أنت قادم من طرف ماما ؟

لا . فقط مطلوب القبض عليك . اين زميلاتك ؟

على الفور تداركت وقلت .

– لا أحد معى . أنا قادمة وحدى .

ولكن ذلك الإنكار كان ساذجا أيضا فبعد دقائق قليلة تم القبض علينا نحن الثلاثة

ونقلنا الى حجرة الجمرك حيث تم التفتيش الدقيق لحقائبنا .
وكم كانت دهشة ضابط المباحث حينما فتحوا حقيبتى الأولى فوجدوها مليئة بالكتب الاشتراكية والماركسية والتقارير وأناشيد المؤتمر ثم حين فتحوا الحقيبة الثانية وجدوها مليئة بالفساتين الجاهزة والموديلات الانيقة لأشهر بيوت الأزياء الفرنسية .

صادروا الكتب التى كانت نادرة جدا فى مصر ، والتى كلفنى زملائى بشرائها وكان خوفى شديدا من مصادرة حقيبة الملابس والموديلات التى كلفتنى أمى بشرائها . لم أكن أحب الصدام مع أمى . ولكنهم والحمد لله تركوا حقيبة الملابس .

وهكذا منذ ذلك الوقت البعيد ، ديسمبر ١٩٤٥ ، أصبح اسمى موضوعا على القائمة السوداء ، وخصصت أجهزة الأمن ملفا لى فى القلم السياسى .

كان الخطاب الذى القيته فى المؤتمر هو سبب هذا الاجراء البوليسى المتعسف . لقد أثار غضب الحكومة والسرايا . وحين تم القبض على أدركت سبب طلب وزارة الخارجية الفرنسية لحضورى وندمت على اهمالى المقابلة لأنها لو تمت لافادتنى وجعلتنى أكثر حذرا عند العودة للوطن . . . لكن قد تعجب أنه فى ذلك الزمن البعيد تطوع الأستاذ / زهير جرانة المحامى الوفدى للدفاع عنى ورفع قضيه مستعجلة ضد الحكوة فليس

من حقها مصادرة كتب لايوجد قانون يمنع تداولها . وحدث ما لم يتكرر فى السنين التاليه ، أعاد لى زهير جرانه جمع الكتب والمطبوعات التى صودرت .

لقد اعطتنى عملية القبض ثم الافراج عنى انا وزميلاتى ثقة كبيرة فى نفسى لمواجهة رجال الأمن . كانت تلك هى أول مرة أتعرض فيها لتفتيش واستجواب ولم أهتز . بل ازدت حماسا لافكارى ومبادئى

لقد اخفيت عن أمى تماما ما حدث فى الاسكندرية . كنت أتقادى الخلاف معها ولا أحاول أن أناقش المسائل السياسية أمامها . لم أفكر أن اقنعها بشىء مما اعتنقه وهى القادمة من جيل آخر وعالم آخر ووجدت أنه من الافضل السكوت على ما أفعله ومحاولة اخفائه عنها ، لكنها بذكاء وغريزة الأم القوية كانت تدرك التغير الذى طرأ على وبالفعل حاولت أن تمنعنى من القيام بنشاطى لكنها كانت ترى فى نفسى قوة شخصيتها هى وتخشى ما يمكن ان أفعله اذا منعتنى بالقوة .

وأذكر أنه فى احدى المرات توترت المناقشة بيننا فهددت بترك البيت وعدم العودة إليه اذا لم تترك لى حريتى كاملة . ولهذا كانت وسيلتها المناقشة مع تفادى الصدام .

وهكذا صار بيننا اتفاق غير مكتوب وغير معلن على تفادى الاصطدام .

اول مؤتمر جماهيرى لنا.

فكرت طويلا فيما يمكن أن نفعله بعد العودة من مؤتمر باريس . كيف نجعله نقطة انطلاق لنشاط الرابطة . لماذا لا نعقد اجتماعا جماهيريا كبيرا نحشد فيه أكبر عدد من الفتيات والسيدات ونقدم لهن صورة حية عن هذا المؤتمر العظيم ، وتكون فرصة أيضا لابراز مطالبنا ونشاط الرابطة .

كانت أول صعوبة هى أين نعقد المؤتمر وكيف نحصل على تصريح من « القلم السياسى » لعقد اجتماع عام . . فكرت على الفور فى مدرسة لليسية التى أعمل بها والتى تربطنى بمديرها الفرنسى « مسيوجوسار » علاقة طيبة . عرضت عليه الفكرة دون التطرق لجوانبها السياسية . قلت أن المندوبات المصريات فى المؤتمر النسائى الدولى فى باريس يرغبن اقامة حفل شاى للاحتفال بعودتهن .

وافق الرجل الكريم الطيب وصرح باعطائنا قاعة الاحتفالات . بعد ذلك تمت اتصالاتنا بالمدعوين . ولكن فى مساء الخميس ٢٨

فبراير ١٩٤٦ ، وقبل انقاد المؤتمر بساعتين فقط صدرت الأوامر من وزارة الداخلية يمنع المؤتمر وطوقت قوات البوليس مبنى الليسية لمنع الجمهور من الدخول .

امتلأ شارع الحوياتى الذى به الباب الرئيسى لمدرسة الليسية بالفتيات والنساء . جمهور غفير أتى لحضور الاجتماع وأصبح الموقف حرجا .

استسلامنا يعنى فشلنا فى أول تجربة وفقدنا لهذا الجمهور المتحمس الذى يربو على المئلت . . لكن كيف نتحدى قوات البوليس وأمر المنع ؟

خطرت فى ذهنى فكرة جهنمية هى اللجوء الى السيد / ابراهيم رشيد زوج احدى بنات صدقى باشا ومدير مكتبه فى نفس الوقت والذى تربطه بنا علاقة صداقة طيبة . وبسرعة وبعد الاتفاق مع الزميلات ، نبهنا الجمهور النسائى المحتشد ألا يتحرك لأن تصريحا بالاجتماع سيأتى . وأخذت سيارة وتوجهت إلى وزارة الداخلية حيث قابلت السيد / ابراهيم رشيد الذى لحسن الحظ لم يكن يعرف عن نشاطى شيئا .

كان يعرف فقط اننى « إنجى » ابنة « صالحة » وحصلت منه على التصريح المطلوب .

وظل بعد ذلك زمنا طويلا غاضبا منى بسبب ما لحق به وما سمعه نتيجة اعطائه هذا التصريح .

لقد عدت بالتصريح طائرة من الفرح ورأيت الشارع مسدودا من كل ناحية بمئات من النســاء والفتيـات تحيطهن قوات البوليس :

رفعت التصريح فى يدى معلنهه حصولنا على اذن بالاجتماع وانسحبت القوة البوليسية واندفعت النساء والفتيات الى داخل القاعه .

اول لجنة وطنية للعمال والطلبه

كان العام الدراسى الجديد فى اكتوبر عام ١٩٤٥ قد بدأ وحركة الطلاب السياسية والوطنية لا تهدأ فى مواجهة القصر والاحتلال وأحزاب الاقلية المتعاونة معهما . وكان الطلاب فى سائر الكليات الجامعية قد شكلوا العديد من اللجان الوطنية التى رأت أن تقوم بالتحضير للجنة وطنية عليا للطلاب تضم مندوبين من كافة الكليات وتدعو إلى انتخاب قادتها . وبالفعل تكونت اللجنة التنفذية العليا ممثلة كافة الاتجهات الوطنية بدءاً من الشباب الوفدى الى الشيوعين وتضم أيضا بعض عناصر الاخوان المسلمين . ولم تكن رابطة فتيات الجامعة والمعاهد العليا بعيدة

عن الاحداث فلقد دفعت ببعض عناصرها النسائية النشطة الى اللجنة التنفذية العليا للطلاب وتحقق لأول مرة فى تاريخ الجامعة المصرية وصول المرأة الى مركز قيادى عن طريق الانتخاب وبعدد ليس بالقليل فقد فاز من فتيات الرابطة لطيفة الزيات ونجيبة عبد الحميد وعنايات المنايرلى وآسيا النمر رآخرين وصدرت مجلة المصور ٢١/ ٣ / ١٩٤٦ تقول

« لقد لفت النظر فى هذه الانتخابات أن الجنس الناعم تجلى وبرز فنجحت اثنا عشرة آنسة من مختلف الكليات وكان نجاح مندوبات كلية الآداب الخمس أشبه بالاكتساح » .

لقد تميزت هذه الفترة التاريخية العظيمة التى عشتها بكل قلبى ووجدانى بمد ثورى متعاظم تواصلت فيه الأحداث وتزاحمت ولقد تحددت مطالب الحركة الوطنية فى الجلاء التام عن مصر والسودان دون شروط ، ورفض الاحلاف العسكرية ، ورفض معاهده الدفاع المشترك ، وقطع المفاوضات ورفضها مع المحتل .

والمطالبة بعرض القضية المصرية على مجلس الأمن .

فى هذا الجو الملتهب جاء يوم ٩ فبراير عام ١٩٤٦ الذى

حددته اللجنة التنفذية العليا لعقد المؤتمرات للطلاب لأخذ القرارات السياسية المناسبة واعلان مطالب المعارضة الشعبية .

لقد حدثت هذا اليوم مجزرة كوبرى عباس الشهيرة حيث حاصرت قوات البوليس الطلاب فوق الكبرى من الجانبين وأخذت تضربهم بوحشية تم فتح الكوبرى فمات وجرح عدد كبير من الطلاب والمتظاهرين .

لقد فجرت الجريمة البشعة ثورة الشعب بكل فئاته وعلى رأسها الطبقة العاملة المصرية فبدأت المظاهرات من جديد وانتشرت لتشمل كل انحاء مصر وتكونت اللجان الوطنية للعمال فى المصانع ثم أسفر الحوار بينها وبين الطلاب عن تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة .

كان هذا حادثا فى غاية الأهمية فهذه أول مرة تتوحد فيها قيادات الحركة الطلابية مع القيادات العمالية حول هدف بصرف النظر عن تعدد الانتماءات الحزبية . لقد أصبح الجميع يناضلون ضد الاستعمار وأعوانه .

ولقد كانت النتيجة المباشرة لمجزرة كوبرى عباس سقوط حكومة النقراشى التى عجزت عن قمع الحركة الجماهيرية والاستمرار فى المفاوضة مع الانجليز .

ثم أعقبتها وزارة اسماعيل صدقى رئيس اتحاد الصناعات المصرية والممثل لدوائر الرأسمالية الكبيره بهدف واضح هو الانتهاء من ثورة الشعب وتكبيل مصر بالدفاع المشترك أى دعم التحالف مع الاستعمار البريطانى . كان صدقى يريد خداع الشعب بتبديل الاحتلال المباشر بفكرة الاحلاف والمعاهدات لكن المظاهرت الطلابية والعمالية لم تنقطع بقيادة اللجنة الوطنية وتركزت كل بياناتها وشعاراتها فى الجلاء بغير شروط ورفض الاحلاف والدفاع المشترك ودعت اللجنة أن يكون يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ هو يوم الجلاء والاضراب العام لجميع هيئات الشعب .

فى هذا اليوم العظيم نجحت اللجنة نجاحا هائلا فى تنظيم الإضراب وتسيير المظاهرات التى اصطدمت بقوات الاحتلال فى ميدان قصر النيل - التحرير - واطلق الانجليز الرصاص على المتظاهرين الذين ردوا بكرت النار باتجاه القشلاق الانجليزى

فى هذا اليوم شملت المظاهرات كل انحاء مصر وسقط الكثير من الضحايا . لقد أصبح هذا اليوم فيما بعد رمزا لكفاح شباب الدول المستعمرة وشبه المستعمرة من أجل الحرية .

أصبح يوم الطلبة العالمى تحتفل به كل منظمات الطلاب فى جميع أنحاء العالم .

لقد تلاحقت الأحداث عام ١٩٤٦ وحياتى مليئة بالعمل من خلال الرابطة ودار الأبحاث العلمية ومنظمة اسكرا الى جانب عملى فى الصباح مدرسة بالليسية تقوم بتدريس الرسم للأطفال.

- أول مؤتمر عالمى للطلبه . اغسطس ١٩٤٦ .
- مشروع معاهدة صدقى بيفن ، ونتائج اغلاق رابطة فتيات الجامعه والمعاهد المصرية .
- المظاهرة الكبيره يوم عودة محمود فهمى النقراشى باشا من نيويورك بعد عرض القضية على مجلس الأمن - سبتمر ١٩٤٧ .
- اول مهرجان عالمى للشباب . براغ فى يوليو ١٩٤٧ ومحاولة منعى من السفر لحضوره .

أول مؤتمر عالمى للطلبة .

فى يونيو عام ١٩٤٦سافرت مع والدتى بالباخرة الى فرنسا كان هدف أمى من الرحلة زيارة بيوت الأزياء المشهورة فى باريس . وكذلك تمضية فترة من الراحة والاستجمام مع أختها –خالتى انجى ، أما أنا فكانت باريس بالنسبة لى محطه على الطريق – كنت ذاهبة اصلاً الى براغ لحضور أول مؤتمر عالمى للطلبة بعد الحرب العالمية.

على الرصيف فى ميناء السكندرية ، ودعنا عدد من أصدقاء العائلة ومنهم اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء .

وقد علمت وانا فى باريس – قبل سفرى لبراغ – بحملة الاعتقالات الواسعة لمعارضى مشروع معاهدة صدقى بيفن . كان ضمن المعتقلين وفد الطلبة الذى كان من المقرر ان يالحق بى فى براغ لحضور المؤتمر معى ،

جمال غالى ممثلا لنادى الطلاب المصريين وعبد الرؤوف أبوعلم عن شباب حزب الوفد وكمال شعبان

كذلك وصلتنا من القاهرة برقية تقول لوالدتى ان بيتنا قد داهمته المباحث وأن بابه ختم بالشمع الأحمر .

كانت هذه البرقية مفاجأة قاسية لأمى . ومهما قلت فلا

استطيع وصف الغضب الذى استولى عليها . كان غضبها أولا ضدى لأني أنا السبب . وكان غضبها أيضا ضد صدقي باشا . فكانت تردد القول يودعنا فى المينا وبعدين يشمع بيتنا !

وعلى العموم لم تكن هذه الحملة مفاجأة كبيرة لنا ، أقصد اليسار .

كنا نتوقع استخدام كافة الوسائل لقمع المقاومة الشعبية وفرض الدفاع المشترك .

كانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال قد قررت ان يكون يوم ذكرى ضرب الأنجليز للاسكندرية فى عام ١٨٨٢، يوم اضراب عام وحداد ، كان ذلك يوم ١١ يوليو وطلبت اللجنة من الشعب الجهاد لاسقاط مشروع الدفاع المشترك مع الأنجليز .

وفى اليوم السابق على يوم الاضراب والحداد ، فى يوم ١٠ يوليو قامت الحكومة بحملتها لأفشال خطة الحركة الوطنية .

شملت الحملة ثلثمئة من خيرة المناضلين الوطنين . كانوا من المثقفين ومن العمال والطلبه وزعماء الحركة النقابية العمالية وقيادات اللجنة الوطنية الداعية للأضراب ، وأذكر من بين المعتقلين محمد مندوروسلامه موسى ومحمد زكى عبد القادر وسعيد خيال .

كذلك شملت الحملة اغلاق عدد من الجمعيات والروابط والنوادى الثقافيه .

وفى مقدمتها كانت دار الأبحاث العالمية ولجنة نشر الثقافه الحديثة ورابط فتيات الجامعه المصريه . ونادى خريجى الجامعه . كذلك شملت الحملة الغاء عدد كبير من رخص أصدار الصحف والمجلات . أذكر منها صحيفه الوفد المصرى ومجلة الفجر الجديد وقد أطلقوا على هذه الحملة حملة مكافحة الشيوعية . . وقضية المبادىء الهادمه .

كان الزميل جمال غالى ضمن المعتقلين كما سبق القول ، فلما أفرج عنه كان جواز سفره جاهزا عنده لحسن الحظ . فتوجه للمطار وسافر قبل أن تتنبه المباحث وتمنعه من السفر . وصل جمال الى براغ فكانت مفاجأة جميلة .

لكن الحكومة لم تسكت عن وجودنا فى براغ . وتصرفت بغباء عجيب .

ارسلت السفارة المصرية فى براغ الى هيئة المؤتمر رسالة تحذير من وجود شاب وفتاة من مصر وهما خارجان على القانون ومطلوب القبض عليهما فى مصر . ولذلك فهما لا يمثلان ابداً الحركة الطلابية المصرية . وقد سجلت رسالة

السفارة أوصاف الفتى والفتاة . الطول ولون الشعر والعينين والوجه . . . الخ . بالضبط كنشرة المجرم المطلوب القبض عليه . وكان رد المؤتمر رائعا بالطبع . تلت هيئة المكتب رسالة السفارة فى المؤتمر ورفض المؤتمر هذه الرسالة واستنكرها بشدة . واستقبلنا أنا وجمال استقبال الأبطال .

وقبل أن ينتهى المؤتمر من أعماله قالت وكالات الأنباء أن الحكومة المصرية اصدرت مرسوما بقانون يحظر على المصريين الاشتراك فى أى مؤتمر دولى بدون اذن الحكومة . وقد قررنا تفاديا للمشاكل عند عودتنا لمصر - الا نوقع رسميا على قرارات المؤتمر . طبعا كان المؤتمر يعرف حقيقة موقفنا ويقدر ظروفنا . وقد أحاطنا بالتشجيع والتأييد العظيم .

لقد كشفت الحكومه عن مخاوفها من مساهمة القوى الوطنية التقدمية فى المحافل الدولية لما كانت تحظى به هذه القوى التقدمية من عطف وتأييد ضد الرجعية والاستعمار . حدث هذا لما اشتركت هذه القوى فى أول مؤتمر لاتحاد النقابات الديمقراطى العالمى سنة ١٩٤٥ . وكذلك باشتركها فى أول مؤتمر للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى

عن أعمال المؤتمر .

٢١ فبراير يوم الطلبة العالمى

افتتح المؤتمر يوم ١٨/ ٨ /١٩٤٦ .

كانت براغ تعتبر رمزاً لمقاومة الطلبة البطوليه للفاشية اثناء الحرب العالمية .

وتميز جو المؤتمر بالحماس والتفاؤل والثقة فى المستقبل لقد اشترك فى المؤتمر مندوبون من ٤٠ بلداً من بينها عدد كبير من البلاد التى كانت تئن تحت نير الاستعمار وتناضل للتحرر والاستقلال والديموقراطية ومنها مصر والهند وأندونسيا ..

وقد القى كل منا ، جمال غالى وأنا خطبة فى المؤتمر واذكر أن خطبة جمال كانت حماسيه وعريضة اتهام ضد حكومة صدقى باشا ، وقد ركز فيها جمال على عيوب التعليم فى مصر واقترح الحلول الديمقراطية لعلاج الأوضاع التعليمية السيئه .كالقضاء على الأمية بين الشعب والاخذ بمجانية التعليم حتى مستوى الجامعة والمعاهد العليا ...

ولقد نظم المؤتمر مسيرة كانت مهرجانا عظيما طاف لمدة تزيد على ٣ ساعات بشوارع براغ حيث احتشدت الجماهير التشيكية على الجانبين لتحيتنا فى حماس كبير وكان الوقد المصرى - انا وجمال - يركب فوق مقطورة على هيئة كتاب

هائل الحجم مثبت على عجلات.

لقد توثقت العلاقة بينى وبين عدد كبير من وفود هذا المؤتمر العظيم وتعرفت بشخصيات لعبت دورا بارزا فى النضال من اجل التقدم ، ومن اجل التحرر والاستقلال والسلام . وتصادف أنى كنت التقى بعد ستوات مع بعض الشخصيات التى عرفتها فى مؤتمر براغ ، وقد أصبحوا شخصيات هامة ومشهوره . ومنهم سلافكو كومار الذى كان وزيرا فى حكومة يوغسلافيا . والدكتور عبد الرحمن الذى تولى رئاسة مركز الابحاث العلميه فى نيودلهى . واتربكو بر لنجيير الذى كان السكرتير العام للحزب الشيوعى الايطالى .

وقد اصدر المؤتمر عدة قرارات تعتبر حقا تاريخية . ومنها :

– العمل على صبغ التعليم بالصبغه الديموقراطيه .

– التعليم للجميع بالمجان فى جميع المراحل .

– تطهير برامج التعليم من المبادىء والدعايات الغاشيه والاستعمارية.

– معاونة هيئات الطلاب فى المستعمرات وشبه المستعمرات فى كفاحهم من أجل الاستقلال وتنمية تقافتهم الوطنيه .

–ضمان حرية التفكير والتعبير حرية الصحافه والاجتماع

لهيئات الطلاب

- تأ سيس وقيام اتحاد الطلبه الديموقراطى العالمى .

- واصدر المؤتمر قرارا خاصا وبالاحتجاج على الاوضاع السيئة التى يعانى منها الطلبه فى مصر وفى الهند ..

وقرر ان يكون يوم ٢١ فبراير من كل عام هو يوم الطلبه العالمى .

يحتفل به الطلاب فى جميع بلاد العالم ، رمزا على تضامن الحركة العالميه فى النضال الوطنى الديمقراطى لتحقيق اهداف الطلبه فى الحريه والسلام والتقدم .

ويعتبر هذا القرار بوجه خاص تكريما وتخليدا الكفاح الحركه الطلابية المصريه وذلك أن ٢١فبراير هو يوم الجلاء والاضراب العام المعروف فى مصر وكذلك فى الهند حيث خاض الطلبة هناك معارك وفنية هامه فى نفس اليوم .

وعن قرار المؤتمر بالاحتجاج على الاوضاع فى مصر ، نشرت جريدة صوت الأمه - وهى جريدة الوفد وكان يرأس تحريرها الدكتور محمد مندور . نشرت يوم ٤٦/٦/٨ تحت عنوان « مصر فى المؤتمر العالمى للطلاب ، احتجاج المؤتمر على كبت الحريات فى مصر . » قالت الجريدة :

« أما عن مندوبى الطلبه المصريين وهما جمال غالى وانجى افلاطون اللذين كانا يمثلان لجنة تنسيق هيئات الطلاب الوفديين ورابطة فتيات الجامعه وخريجاتها ونادى الطلاب المصريين ، فقد اشتركا اشتراكا فعليا فى وضع اسس الاتحاد العالمى للطلاب ، ورغم ماحدث من الاعتداء التعسفى الذى انزلته الحكومه برابطة فتيات الجامعه وخريجاتها إذ اصدرت قرارا بحلها ، فقد مثل هذان المندوبان حركة الطلاب عامه واحتجا احتجاجا عنيفا على هذا الاعتداء الصارخ على حرية الشعب المصرى . »

الجمعية النسائيه الوطنية المؤقته .

حينما عدت إلى مصر هذه المرة كانت الأوضاع السياسية فيها قد تغيرت تغيرا كبيرا . كانت ازدادت سوءا بعد اغلاق جميع منافذ العمل الديموقراطى . فما العمل ؟ كان هذا هو السؤال الذى يطرح نفسه فى تلك الظروف المسجده . كنا حريصين على استمرار نشاطنا فى خدمة الوطن . لقد اتسع مجال العمل النسائى بفضل نشاط الجيل الجديد ، بشجاعته وافكاره التحرريه والتقدميه . ولقد كسبنا وكونا كادرا نسائيا ذا مقدرة وخبرة مكنته من قيادة الجماهير وخوض المعارك . وكنا حريصين على

المحافظه عليه مع الآضافة اليه وزيادة عدده . ولكن كيف ؟ لقد اغلقت دار الابحاث العلميه . كما حلت الرابطة التى كنا نعمل باسمها . رابطة فتيات الجامعه .. لم تعش سوى ثمانية اشهر تقريبا كانت حافلة بالنشاط .

وانتهت مناقشاتنا الى ضرورة تشكيل لجنة أوهيئه نسائيه جديده نعمل من خلالها ولولمدة محدودة فى تلك الظروف الصعبه .

وقد كان . ظهورنا من جديد تحت اسم **الجمعية النسائيه الوطنية المؤقتة** . وقد استمرت هذه الجمعية فى نشاطها حتى مايو عام ١٩٤٨ تاريخ حرب فلسطين واعلان الاحكام العرفية من جديد . فتم غلق الجمعيه لقد كنا ننشط باسم الجمعيه ونصدر البيانات باسمها فى المناسبات الهامه .

أهم الاحداث فى تاريخ الحركه النسائيه الشابه .

لكن اهم الاحداث فى تاريخ هذه الجمعية ، بل وفى تاريخ الحركه النسائية الحديثه الشابه ، كانت فى الموقف النضالى الذى وقفته زميلاتى من عضويات الجمعيه ، فى مناسبة لاتنسى . وانى اعتبر ان هذا الموقف تاريخى فى وقته وفى دلالته .

للأسف لم اشترك فى هذا العمل الرائع لأنى لم اكن موجودة

معهن . كنت انوب عنهم فى مهرجان الشباب العالمى ، وانى اذكر هذا الموقف لانه شاهد على جرأة الفتاة المصريه وقدرتها الفائقة على التصرف السريع وقيادة الجماهير فى الاتجاه الثورى السليم .

فى ذلك الوقت كانت الحركة الوطنيه تطالب الحكومة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ومعاهدة السودان لعام ١٨٩٩ ورفض كل اشكال المساومة مع الانجليز المحتلين . وضرورة عرض القضية على مجلس الأمن .

وتحت ضغط الحركة الشعبية سافر النقراشى باشا رئيس الوزراء الى نيويورك فى سبتمبر ١٩٤٧لعرض القضية المصرية على المجلس . لم يصل المجلس الى حل او قرار لانه كان تحت نفوذ الدول الغربية . وبقت القضية معلقه فى جدول الاعمال وانتهزت الحكومه فرصة عودة النقراشى باشا من نيويورك فنظمت له استقبالا شعبيا كبيرا يوم عودته . واحتشد الناس على الجانبين فى طريق موكبه ورفعت الرايات ولافتات الترحيب والتمجيد . وسيرت المواكب والمظاهرات التى تهتف لدولته .

انتهزت زميلاتى هذه الفرصه ونزلن بين الناس للعمل . قررن الالتحام بالمسيرات والمظاهرات وتحويلها عن تأييد

الحكومة إلى استنكار مهادنته الاستعمار واطلاق شعارات الكفاح . كان عددهن على ما اتذكر ثمانيه او عشرة زميلات لا أكثر . وقد وزعن انفسهن على الميادين والتحمن بالمسيرات والتجمعات . ونادين بحماس شديد بالشعارات المناسبه فتعلقت بها الجماهير الهادرة . وحملت الزميلات على الأكتاف ورددت وراءها الهتاف ... النيل لايتجزأ والسودان لاينفصل . لامفاوضة بعد اليوم . الجلاء بالدماء . عاش الكفاح المشترك (المقصود هو كفاح الشعبيين المصرى والسودانى ضد الاحتلال) فليسقط الدولار الامريكى .

ومما هو جدير بالذكر أن مجلة الاثنيين نشرت فى عددها الصادر فى ١٩٤٧/٩/٢٩ صورة الزميلة . عصمت جلال وكتبت تقول «شوهدت فى موكب إستقبال دولة النقراشى باشا فتاة صغيره تمتطى صهوة جواد وهى تتقدم احدى المظاهرات وكانت تهتف للنقراشى باشا .

وطبعا أخطأ مندوب المجلة . فهتافها كان على العكس ضده وليس له أما حكاية الحصان فهى صحيحه . كانت عصمت تركب الحصان الأبيض . حصان اخذه المتظاهرون من العسكرى واركبوها عليه فصارت عصمت تهتف وتقود المظاهره من فوق صهوة الجواد الميرى .

كذلك نشرت جريده الاهرام صورة زميله اخرى هى حكمت الغزالى وهى محمولة ومحاطة بجماهير لاحصر لها وكتبت الاهرام على لسان مراسلها .. « رأيتها تتقدم الصفوف وتنتزع العلم من يد شاب ، وتتقدم به إلى الصف الأول . فرفعها الشباب على الاعناق وقد الهيت وطنيتهم فزادت اشتعالا ... »

واذكر من بين الزميلات الاتى إشتركن أيضا فى هذه المظاهرة فاطمه زكى ولطيفه الزيات وسعدية عثمان .

الحكومه تمنعنى من السفر .. ثم تتراجع .

نشرت جريدة المصرى يوم ١٩٤٧/٦/٢٦ مايلى :

كانت الآنسه انجى افلاطون عضو الاتحاد النسائى الدولى الديمقراطى تعتزم السفر الى براغ لحضور مهرجان الشباب الدولى الذى سيقام فيها ويحضره الآلاف من شباب دول العالم أجمع وهدفهم هو تقويه اواصر الصداقه والمحبة بينهم وتقويه روابط الثقافه والقيام ببعض المباريات الرياضيه . ولكنها فوجئت اليوم بمنعها من السفر وهى تهم بركوب الطا ئره التى تغادر مصر الى باريس . وبسحب رجال البوليس جواز سفرها دون اى مسوغ قانونى .»

وكانت والدتى مسافرة معى على نفس الطائرة الى باريس .

فلما منعت ارادت أمى ان تبقى فى مصر وتلغى السفر . لكنى أصررت على ضرورة سفرها . واقنعتها بأننى سألحق بها بعد أيام لأن اجراء منعى هو إجراء تعسفى على خلاف القانون .

سافرت أمى ومعها حقائبى حيث تركتها بالطائرة . توجهت على الفور الى جرائد الوفد والمعارضة الديموقراطيه حيث قدمت الاحتجاج الشديد على هذا الاعتداء على الحريات الدستورية. وفى صباح اليوم التالى امتلأت عناوين هذه الصحف باتهامات خطيره للحكومه . مثل : اسبوع حافل ، الحرية فى خطر . البوليس بمنع أنسه مصرية من السفر الى الخارج الى متى يستمر الاعتداء على الدستور .

ونتيجة لهذه الحملة الصحفية على حكومة النقراشى باشا ، اتصل بى كثيرون من المحامين متطوعين للمرافعة عنى انتصارا للحرية ، فى القضية التى قررت رفعها ضد الحكومة بصفة مستعجلة مطالبة . بحقى فى السفر . وكذلك فى القضية الموضوعيه مطالبة بالتعويض عن الأضرار المادية والمعنوية التى تسببت عن هذا المنع من السفر .

وفعلا ترافع عنى متطوعا بلا أتعاب المحامى الوفدى الكبير المرحوم الدكتور حامد زكى . اما محامى الحكومة فكان الاستاذ عبد الحليم الجندى الذى اصبح فيما بعد رئيس ادارة قضايا

الحكومة وقد جعل عنوانها مرافعته ومذكرته انجى افلاطون . براغ ودائما براغ . ومن الطريف انه حدث قبيل صدور الحكم فى القضية المستعجلة أن إتصلت بى وزارة الداخليه واخبرتنى أن وزير الداخليه يرغب مقابلتى . وحددت لى ميعاد المقابله ، فتوجهت فى الميعاد لمكتب الوزير ومعى الدكتور حامد زكى الذى شجعنى على المقابلة .وانتظرنى فى الخارج ودخلت انا مكتب الوزير . معالى محمد رفعت باشا . كان على مكتبه ملف ضخم . اشار الوزير اليه ضاحكا وقال هل تعلمين مايحتويه هذا الملف انه ملفك ويضم كل شىء عن نشاطك السياسى منذ بداية نشاطك الشيوعى الهدام !! ...

وفى النهاية اعاد الى جواز سفرى وسمح لى بالسفر . كان يعلم طبعا ان قضيتى المستعجلة مضمونة الكسب وقد انتهت أما قضية التعويض فأستمرت وصدر الحكم لصالحى فى النهاية .

ركبت أول طائرة وجدتها ذاهبة الى باريس ومنها سافرت الى براغ . كان قد تم اتفاق بين الشباب الوفدى ورابطة الطلبة المصريين واتحاد الخريجين بام دورمان وذلك لتنظيم اشتراك الشباب المصرى والسودانى فى المؤتمر . لكن الوفد المصرى والسودانى لم يسافرا بسبب تعنت الحكومه ، وحدث أن انزلت السلطات من الباخرة فى ميناء اسكندرية كلا من ممثل الشباب

الوفدى الاستاذ وجيه راضى والاستاذ محمود النبوى رئيس تحرير مجلة الجماهير . وهى مجله تقدمية .

اول مهرجان عالمى للشباب .

بدأ مهرجان الشباب الدولى أعماله فى ٢٨ يوليو ١٩٤٧ . وأصدرت اللجنه التنفيذيه للمهرجان احتجاجا شديدا على الحكومه المصرية بسبب منعها الوفد من السفر . ونشرت جريده صوت الأمة لمراسلها الخاص فى براغ خير الاحتجاج تحت العنوان التالى .« هيئة الامم تشجع المهرجان وحكومة النقراشى تمنع سفر ممثلى شباب مصر لحضوره . »

كما دعتنى هيئة المهرجان وهيئة الاستعلامات التشيكوسلوفاكيه للحديث فى مؤتمر صحفى كبير من مندوبى الصحف المحلية والاجنبيه . وذلك بصفتى مندوبة شباب مصر والسودان ، فى بداية المؤتمر القيت بيانا موجزاً . باسم الشباب المصرى وكذلك السودانى الذى كان دائما ابداً ولايزال فى طليعة الحركة الوطنيه ، اعلن للصحافة الديموقراطيه عن بالغ احتجاجنا على الموقف المنافى للديموقراطيه الذى وقفته حكومتنا . ففى الوقت الذى تعرض فيه قضيتنا على مجلس الامن ، وفى الوقت الذى نتأهب فيه لتعبئه الراى العام لتعريف العالم بعدالة قضيتنا وبيان مدى التضحيات الجسام التى تكبدها شعبنا فى الكفاح ضد

الاستعمار ، فى هذا الوقت الحاسم تمنع حكومتنا الشباب الديموقراطى من الاشتراك فى المهرجان العالمى فى براغ . هذا من ناحيه فى حين أنها من ناحية اخرى قد سمحت لبعثة قوامها خمسة عشر طالبا بالذهاب إلى اسبانيا بناء على دعوة من فرانكو ! ... »

صوت الأمه ١٩٤٧/٨/٢٣ .

بعد ذلك انتقلت الى شرح القضية الوطنية وتاريخ كفاح الشعب ضد المستعمر الانجليزى ومن أجل وحدة وادى النيل . ولما انتهيت من هذا بدأ الصحفيون والمراسلون يوجهون الى الاسئلة . وكان معظم هذه الأسئلة تنصب على العلاقة الخاصة والكفاح المشترك بين مصر والسودان . ولازلت اتذكر هذا السؤال الذى كان يهدف صاحبه الى احراجى . قال إن تعداد المصريين اكبر من السودانيين وانهم متقدمون ثقافيا وعلميا واداريا واقتصاديا عن السودانيين . وإن الوحدة فى هذه الحاله هى استعمار مصرى يفرض عليهم .

وقد اجبت على هذا السؤال اجابة قوبلت بالاستحسان والتأييد . فقلت ان المصريين والسودانيين شعبان تربط بينهما وحدة اللغه والدين والثقافة والمصالح الاقتصادية . وان هدفنا

حاليا ان نتشرك معا فى الكفاح للتخلص من الاستعمار وبعد ذلك يقرر الشعبان مصيرهما بحرية تامه .

كان المقرر فى نهاية المؤتمر أن تقوم الوفود باستعراض ضخم فى الاستاد الرياضى بمدينة براغ كانت الوفود كثيرةوكثيرة هى الوفود ذات الاعداد الكبيرة.

كان المقرر فى هذا الاستعراض ان يسير كل وفد رافعاً علم بلاده فى المقدمه . وكان الموقف صعبا بالنسبه لى . فانا وحيدة فى المؤتمر عن مصر والسودان . والواحد لايشكل وفدا . كذلك كان العلم المصرى كبيرا وثقيلاً لا أقوى على حمله طوال المسيره . أن الذى انقذ الموقف هو الشاب المصرى أحمد مرعى . كان هذا الشاب ضمن المجموعه الرياضية فى الوفد المصرى الذى قررنا حضوره هذا المهرجان . فلما منعت الحكومة سفر الوفد ، استطاع أحمد مرعى الافلات من رقابة الحكومة واستقل الباخرة وقد تغلب على صعوبات كثيره قابلته حتى وصل لبراغ – وكان وصوله مفاجأة سارة جداً لى – اخيرا اصبح لمصر والسودان وفد . وحمل أحمد مرعى العلم المصرى فى الاستعراض ومشينا سويا تحت ظل العلم .

كان أحمد مرعى شابا رياضيا لاعلاقة له بالسياسة وكان يمتاز بالطيبة والتواضع .

عدد أربعة مدام أفلاطون على طائرة واحده !

مبادرة لطيفة جدا قامت بها أمى ولا بأس من ذكرها هنا . لماوصلت لباريس فى طريقى لبراغ . قررت أمى من خوفها على أن ترافقـنى الى براغ وان تصطحب معنا أختى بولى وخالتى انجى . نسـافر نحن الأربعة سويا .

فتكون رحلة سياحية عائلية . وكانت امى مقتنعة بانها بهذه الطريقة تغطى رحلتى السياسية . كان منظرنا نحن الاربعة ملفتا للنظر . فبيننا شبه كبير . ومن عائلة واحدة . الأمر الذى جعل طاقم الطائرة التشيكية فى حالة استغراب ودهشة معلوم ! عدد أربعة مدام افلاطون على نفس الطائرة وفى براغ تركت العائلة واقمت مع الوفود واشتركت فى النشاط من اول يوم بشكل مكثف وطبيعى . ولما اختتم المهرجان أعماله وعدنا أنا والعاذلة لباريس ثارت بينى وبين امى مشكلةاخرىكانت امى قلقة مما ينتظرنى بعد العودة لمصر . وتتوقع انيقبض على .لذلك اصرت علىأن ابقى فى باريس فترة وبعدها أعود لمصر معها . لكنى رفضت بعناد عجيب أى تأجيل للعودة .

وصممت على الـرجوع فورا لمصـر وكـأن الثـورة على الابواب . رفضت أمى اعطائى تذكرة العودة فاستلفت تمن

التذكرة من صديقه فرنسيه وركبت الطائرة للقاهره .

ونتيجة هذا الموقف نشأت ازمة حادة مع أمى استمرت لفترة غير قصيره .

لكن أمى ادركت هذه المرة انى مصرة على افكارى وطريقى . وإن عليها أن تعمل حسابا لذلك فى معاملتى حتى لانفترق . وبخاصة انها الأم الذكية والمحبة لأقصى درجة وان كانت لاتظهر هذا الحب . وهذا ماحدث فبعد مرور الازمه عادت العلاقات طبيعية ، هى تراقب فى قلق وصمت وانا مستمرة فى نشاطى دون ان افاتحها فيه بل ودون اى مناقشة فى السياسة أمامها.

وقد استرحت كثيرا لاستقرار هذه القواعد ، واعتقد أن أمى اخيرا قد استراحت أيضا .

الزواج .

نحن فى عام ١٩٤٨ . وعلى رأس الحكومه محمود فهمى النقراشى باشا . وكانت الحكومة تمارس سياسة القمع والارهاب ضد الحركة الوطنية . ولكسر الجمود الذى اصاب الحركة الشعبيه نتيجة سياسة القمع ، قررنا نحن التقدميات ، ان نقوم بمظاهرة نسائية نؤكد فيها من جديد المطالب الوطنية والديموقراطيه . اخترنا للمظاهرة يوم ٢١ فبراير – احياء

لذكرى ذلك اليوم الذى اصبح عيداً عالميا للطلبة والشباب . وأيضا ليكون هذا العيد عاملاً مساعداً يقوى المظاهرة ويجذب لها الشباب اتفقنا ان تبدأ المظاهرة من ميدان الاسماعيلية (التحرير حاليا) على أن نتجمع امام محل استرا - وكان باراً للبن - أما خط سير المظاهرة فهو شارع سليمان باشا - طلعت حرب حاليا ثم شارع فؤاد الاول - ٢٦ يوليو حاليا ومنه الى ميدان العتبه الخضراء وكان اسمه ميدان الملكة فريدة .

وقدرنا أن المظاهرات ممنوعة لكن البوليس لن يهاجم مظاهرة نسائية ولكن للأسف كانت تقديراتنا خطأ من البداية للنهاية . فلا الجماهير احتشدت وراءنا ولا البوليس تردد فى ضربنا .

بدأ الضباط الكبار بالنصح لفض المظاهرة . فلما سرنا فى شارع سليمان باشا واقتربنا من شارع فؤاد بدأ البوليس فى استخدام القوة انهالوا علينا ضربا بالعصى فاصابوا عددا من المتظاهرات بجروح كما قبضوا على مجموعة منهن لطيفة زكى التى هربت بأن قفزت من سيارة البوليس ونجحت فى الاختفاء . أما لطيفة الزيات وثريا أدهم وباقى المجموعة فقد افرج عنهن فى الليل من قسم عابدين .

أما أنا فقد ساعدنى الحظ فلم يصيبنى الأذى . فقد دلفت داخل محل من محلات سليمان باشا فى الوقت الذى كان صاحب المحل ينزل الباب لغلقه . كانت مفاجأه لصاحب المحل الذى اصابة الرعب والحيرة بين فتح الباب واخراجى أو ابقائى والتستر على . وغلبت الشهامة المصرية وبقى الرجل محبوسا معى حتى هدأت الحالة وانصرفت فى أمان الله .

فى البيت وجدت نفسى وحيدة . أمى كانت سافرت للخارج . وتذكرت انى مدعوة هذه الليله لحضور حفل زفاف محمود النبوى أحد زملائنا ورئيس تحرير مجلة الجماهير . قررت الذهاب قلت لعل هذا يرفع روحى المعنوية بعد إحباط الصباح ذهبت لحفل الزفاف . كنت أعرف اننى سأقابل عدداً كبيراً من الاصدقاء والزملاء . وهذا ماحدث . وما الغرابة فيه .؟

لكن القدر شاء أن تتميز تلك الليلة عن باقى ليالى العمر كله فقد فوجئت بالزميل على الشلقانى يقدم لى شابا طويلا وسيما قمحى اللون واخضر العينين . قدمه باعتباره صديقا وزميلاً له فى الدراسة .

وفوجئت بهذا الشاب يحدثنى فى اهتمام بالغ وينظر إلى بإعجاب واضح والحق إنى شعرت أيضا نحوه بالإعجاب من أول نظره وبان شيئا ما يجذبنى نحوه . ولكن سرعان ما تبدد الأمل

وطارت الأحلام لان هذا الشاب وكيل نيابة . هل هذا معقول ؟ أعجب به وأنا على رأس القائمة السوداء ومن صميم عمله حبس أمثالى ولاحظ على الشلقانى شعورى نحو صديقة وكيل النيابة فأسرع يؤكد لى بأنه من العناصر الوطنية الممتازة . بل هو أكثر من ذلك . إنه من الماركسيين الملتزمين . والضرورة تقتضى اخفاء ذلك . استطاع الشلقانى إزالة مخاوفى ووجدت نفسى بسرعة أبحث فى ذهنى عن حجة أو فرصة أغتنمها لأقابله مرة أخرى ، وجاءت الحجة من ناحيته كأنه كان يفكر بنفس طريقتى ، فأقترح ان يعطينى بعض الدروس فى اللغة العربية .

خطوبة سريعة

تمت أول مقابلة بيننا فى محل الشاى « لوك » بشارع سليمان ، تكلمنا فى كل شىء إلا دروس اللغة العربية ، فتح كل منا قلبه للاخر بسرعة شديدة ونما بيننا تفاهم كبير فكنا شأن أى محبين نمضى ساعات وساعات دون أن نشعر بزمان أو مكان .

أعتقد وهذا حقيقى أننى أحببت حمدى منذ أول لحظة تعرفت عليه فيها ، وبعد تعرفى عليه تعمقت العلاقة بيننا إنسانياً وفكرياً وسياسياً ، وتأكد إعجابى به وحبى له ، وأدركت

انه الانسان الذى أحب أن يشاركنى وأشاركة الطريق الصعب الذى أخترتة ، وأنه الرجل الذى يمكن أن تكون رحلتة معى مصدر سعادتى ، ولكن لم يكن ممكناً أن نتزوج بسهولة .

فى نهاية ١٩٤٧ كانت قد أنشئت لأول مرة نيابة جديدة هى نيابة الصحافة وكان حمدى بين المرشحين للعمل فيها ، لكنه رفض أن ينتقل اليها مفضلا البقاء فى نيابة عابدين لأن نيابة الصحافة كما قال تكونت للتحقيق فى قضايا الرأى وللبطش بالوطنيين والتقدميين والأحرار ، كما أنها لأول مرة جعلت النيابة خاضعة لأوامر ورغبات القلم السياسى - المباحث العامة لا العكس .

بالطبع أثار رفض حمدى ، ومواقفه الأخرى شكوكاً كثيرة حوله ، فكان حمدى الذى اعتنق الفكر الماركسى فى النهاية بعد أن خاض تجارب مريرة بالواقع المصرى فى الريف وفى المدن وفى المناطق العمالية ، كان عليه ان يخفى اعتقاده السياسى طالما انه يزاول هذه الوظيفة الخطيرة . وخوفا من نقله لمنطقة نائية بالصعيد . وحين التقيت مع حمدى فى مساء ٢١ فبراير عام ١٩٤٨ ، كان قد قرر أن يترك النيابة وينتقل إلى إدارة قضايا الحكومة (حاليا هيئة قضايا الدولة) . وكان يرأسها الأستاذ مصطفى مرعى . وكان شديد الاعجاب بحمدى حيث تصادف أن

ترافع حمدى أمامه فى إحدى القضايا . وكان قد صدر قرار بنقل حمدى الى نيابة جرجا ، كعقاب له على موقفه اثناء قيامه بالتحقيق مع بعض المثقفين الاحرار . لكنه لم ينفذ القرار . كان ينتظر الانتقال الى إدارة القضايا .

لهذه الاسباب كان علينا ان نخفى علاقتنا . فكانت الخطوبة شبة سرية ، واقتصرت الحفلة على العائلة وعدد قليل من الأصدقاء .

كنت أنا فى ذلك الوقت مشهورة جدا بميولى السياسية . وكانت جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة تنشران عنى مقالات من نوع : الشيوعية التى تمتلك أربعين فستانا .

اتحاد بنت النيل بكفاح المبادئ الهدامة ويفصل الآنسة الشيوعية .

ولابد أن أذكر اننى لم أجد صعوبة فى اقناع اسرتى باختيارى حمدى زوجا . لقد اطمأنت امى لانه مسلم ومصرى ووكيل نيابة أيضا . وعندها ان هذا يعنى انه بعيد عن السياسة . ولم يضايقها أنه ليس غنياً ولا هو من ذوى الاملاك ، فقد فرحت أمى بالخير لأنها وجدت فى حمدى الاطمئنان على مستقبلى والأمل فى انقاذى من الغرق فى بحر السياسية ، كما أنها من ناحية أخرى

كانت لا تستطيع أن تعترض لأنها تعرف أنه لاشىء يجعلنى أغير قراراً اتخذته بمحض ارادتى طلبت أمى منى أن أخبر والدى وحين سألنى « هو ابن مين ؟ »

قلت له متحدية « ماهوش ابن حد » وكنت أقصد أنه ليس ابن بك ولا ابن باشا ، وقلت أنه كان الأول على دفعته بالكلية وانه أنسان ممتاز يكسب رزقه بعمله والمستقبل مفتوح أمامه ، وتردد أبى قليلاً متأملاً هذا الخبر تم استسلم وبارك قرارى .

لقاء فى النيابة

قضينا أنا وحمدى شهرين جميلين تتقابل فيهما سراً ، ونتنزه سراً حتى لا ينتشر خبر خطوبتنا ، لكن كادت هذه الخطة كلها تفسد فجأة وأين ؟ فى مبنى النيابة نفسه .

كنا ذهبنا إلى السينما ، وبعد انتهاء الحفلة أوصلنى حمدى ألى باب العمارة التى اسكن فيها ، صعدت إلى شقتنا فوجدت رجال المباحث العامة ومعهم أمر بالتفتيش ، وطلبوا منى أن أتوجه إلى نقطة بوليس « كوتسيكا » لأقابل وكيل النيابة ، ذهبت فلم أجد وكيل النيابة حيث كانت الساعة الثالثة صباحاً ، عدت إلى البيت بعد أن أتصلت به تليفونياً من النقطة ، ووعدته بالحضور فى الصباح إلى النيابة فى باب الخلق .

كان من حسن الحظ فى تلك الليلة أن والدتى لم تعرف شيئاً عن التفتيش فلم تكن فى البيت كانت تحضر زفاف بنت حسين سرى باشا ، لقد كنت أنا مدعوة لكنى فضلت عدم الذهاب وكانت المباحث العامة على وشك الذهاب إلى الحفلة للقبض على لولا أن الخادمة أقنعتهم بأننى لست هناك ، بل فى الخارج وسوف أعود قبل أمى فأنتظرونى . . أننى أتصور شكل الفضيحة التى كانت ستحدث لو ذهب رجال المباحث إلى حفل زفاف أبنة حسين سرى باشا وأتخيل شكل أمى اليس ما حدث إذن كان من حسن الحظ! ! فى العاشرة من صباح اليوم التالى ذهبت إلى مبنى نيابة الصحافة ، كان الأستاذ مختار قطب هو المكلف بالتحقيق معى ومواجهتى بتهمة « الاشتراك بالعضوية فى منظمة دولية دون إذن الحكومة » ، كانت عقوبة هذه الجريمة الحبس ثلاثه أشهر وغرامة مائة جنية ، أعترفت بالتهمة قائلة « نعم أنا عضوة الاتحاد النسائى الدولى الديمقراطى وفخورة بهذة العضوية ،

فدخول السجن شرف لى إذا كان للدفاع عن حقوق المرأة .

ضحك الأستاذ مختار قطب ووجد أنه لا مفر من الافراج عنى وحفظ القضية فى ذلك الوقت دخل حمدى الحجرة لأمر ما يتعلق بعمله وفوجىء بى جالسة أمام مختار ، لقد تركنى أمس ليلاً ولم يعرف ما حدث بعد ذلك ، تغلب هو على ذهوله وحاولت

بدورى مساعدته حتى لا يظهر سرنا أمام زملائه فأعطيته ظهرى وأنا أكاد أنفجر من الضحك المكتوم ، توجه حمدى إلى الاستاذ زميله وسأله « من هذه الفتاه وما هى حكايتها ؟ » فأجابه بدهشة « ياه – أنت ما تعرفش . . دى انجى افلاطون الشيوعيه المعروفة » ثم قال لاشىء ضدها وستكون فى بيتها بعد قليل .

يا أخى كل هذا كلام فارغ .

اطمأن حمدى وترك النيابة متوجهاً إلى منزلنا لينتظرنى .

كان وكلاء نيابة الصحافة فى ذلك الوقت هم جمال العطيفى ومختار قطب وأنور حبيب

وكم كانت دهشة المحقق الأستاذ أنور حبيب فيما بعد حين بلغه بعد شهرين فقط من هذه القضية نبأ زواجى من حمدى ودعوته لحفل زفافنا

بالطبع عرفت أمى بما حدث ، لقد نشرت الجرائد خبر القبض على ، وان النيابه تحقق معى فى « قضية شيوعية » وثارت أمى وهددتنى بمنعى من الخروج من المنزل ولكن كان ذلك بلا جدوى وكان غيظى شديداً من « أخبار اليوم »

حرب فلسطين وإتمام الزواج

فى نهاية ابريل عام ١٩٤٨ صدر قرار بنقل حمدى إلى ادارة

قضايا الحكونة ، وكان حمدى سعيداً برفع كابوس النيابة عنه ، لقد أسترد حريته أخيراً ، وعلى الفور أعلنا خبر خطوبتنا على الناس ، وكما أندهش أنور حبيب حين وصلته دعوة زفاف أندهش مصطفى مرعى الذى كان يسمع عنى ، فقد سبق أن رفعت قضية ضد الحكومه لمنعى من السفر إلى تشيكوسلوفكيا عام ١٩٤٧ مطالبة بحقى فى جواز السفر المصرى وعدم شرعية منعى من السفر ، وطالبت بالتعويض عن الاضرار التى ترتبت على منعى وحين حان وقت نظر القضيه طلب مصطفى مرعى رئيس إدارة القضايا من حمدى أن يترافع عن الحكومة ضدى لكن حمدى اعتذر وقال لمصطفى مرعى :

« هذه الأنسه ستكون زوجتى قريباً ! ولم يخف مصطفى مرعى إندهاشه

وعلق قائلاً : – لكن هذه أنسة متحررة جداً

كسبت هذه القضية ، وتم اقرار مبدأ قانونى هام هو« حق كل مواطن مصرى فى تمتعه بجواز سفر يعطيه الحق فى السفر والعودة » . . الخ

أنتقل حمدى إلى قضايا الحكومة وكانت هناك اشاعات شديدة عن قرب وقوع حرب فلسطين وكانت أخبار المعارك بين

الفلسطينين واليهود تملأ الصحف ، والحديث عن قرب وقوع الحرب أصبح منتشراً ، وكنا ندرك أن هناك فساداً سياسياً عاماً وأن مؤامرة جديدة تدبر ضد القوى الوطنية والديمقراطية ، وبالفعل فى يوم اعلان دخول مصر الحرب فى الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ ، واستناداً لقانون الاحكام العرفيه تم القبض على مئات من الوطنيين الماركسيين والوفد يبين تحت شعار حماية الجبهة الداخلية فى ذلك الجو المشحون أبدى حمدى رغبته فى أن نتزوج بسرعة قبل حدوث شىء ما يمكن أن يفرق بيننا ويؤجل زواجنا ، كنا نخشى بالفعل أن تشمل حركة الاعتقلات الواسعة هذه المرة السيدات ، وافقت على رأيه وتزوجنا فى حفل صغير ضد رغبة أمى التى كانت تود أن ترى زفاف أبنتها فى حفل مهيب خاصة وأن أختى «بولى » التى كانت فى باريس لم تكن قد تزوجت بعد ، ولقد تم زواجنا فى اليوم السابع والعشرين من مايو ١٩٤٨ ونشرت أخبار اليوم الخبر بعنوان بارز يقول :

« انجى افلاطون ترفع الراية البيضاء » .

أكسبنى الزواج من حمدى اشياء كثيرة ثمينة وأساسية فى حياتى.

فلأول مرة بدأت أشعر بالأستقرار والطمأنينه وانزاح عنى

القلق والشعور بعدم الرضى عن نفسى . هذا الشعور الذى كان يلاحقنى طوال فترة شبابى المتمرد وكنت اعيش مع أمى فى وسط بورجوازى من النوع الكبير ، وازاول نشاطا متناقضا معه ، هو النشاط الشيوعى . بعد الزواج عرفت العيشة السعيدة والحب الكبير . كان حمدى انسانا تقدميا حقا فى مواقفه وأخلاقه وسلوكه مع شريكة حياته . لم تكن لديه ايه رغبة فى السيطرة بل كانت رغبتة حقا مساعدتى ومشاركتى همومى .

كذلك لم تكن عنده عقدة طبقية بل على العكس ساعدتى كثيراً لتخليصى انا من العقد التى سببها لى التناقض الذى نشأت فيه بين البيئة وبين العقيدة . نجح حمدى فى تنمية احساسى بان انضمامى الى قضية الطبقات المقهوره مكسب كبير للثورة . ونجح فى أن يخلصنى من عقد وقعت فيها مثل حرصى على عدم الظهور بالفساتين الجميلة التى كانت تصممها أمى فى محل صالحة ، مفضلة ارتداء الملابس القديمه والمبهدله . اقنعنى ان هذه ليست القضية .

وأن حرصى على مظهرى اللأئق مسأله طبيعية وعادية . وأن التكلف فى العمل والمظهر الثورى ليس من علامات النجاح . ساعدنى حمدى كثيرا فى التمصير والتعريب . كان يصر على أن يكون الحديث فى البيت بالعربيه المصريه (العاميه) وكان

يردد على الدوام قوله يجب ان نعيش بالعربى.

العودة للرسم :

ومسألة اخرى هامه جدا ساعدنى فيها زوجى . هى الأسراع فى العوده والاشتغال بالفن . اقنعنى حمدى بالتخلى عن التدريس بمدرسة اليسيه لأنها مضيعة للوقت والجهد فى مقابل اثنى عشر جنيها شهريا فقط . . ويجب العودة للرسم . كانت فترة الانقطاع بينى وبين الرسم قد طالت ، كما كانت مرحلة السير ياليه قد انقضت .

وكنت احس بالحنين الى العوده للرسم لكنى كنت مترددة واتهيب الأقدام . وكانت العودة صعبة حقا بسبب تفرغى للعمل السياسى بالكامل وترك الرسم مدة سنتين تقريباً .

وفى نفس الوقت كانت المرحلة الأولى ، مرحله التمرد والتعبير عن الذات اى المرحلة السير ياليه قد انتهت باندماجى الكلى فى العمل السياسى . واعتناقى الايدولوجية الثورية . فكان لا يدمن طريق جديد فى الفن يتناسب مع هذا التحول الهام فى افكارى ووجدانى وحياتى .

كانت رغبتى الأساسيه حينئذ هى أن أعبرعن الآنسان

المصرى .

أعبر عن واقع وأحلام الأنسان البسيط المطحون الذى يكدح اليوم بطوله فى ظروف عمل بشعة دون حقوق مقررة أو قانون يحمية.

كنت أريد أن أكشف لكل الناس أستغلال الأنسان للأنسان .

اكشف واضع فى دائرة الضوء وضع المرأة المتخلف فى المجتمع المصرى وبخاصة المرأة العاملة والفلاحة التى يرهقها عملان لا واحد عمل خارج البيت ، فى المصنع أو فى المتجر أو فى الحقل . وعمل فى البيت ، تربية الاولاد وخدمة الأسرة . وبالجملة كنت اريد أن اعبر بصدق عن كل الهموم التى يئن منها شعبنا البائس .

وكان هذا يتطلب منى أن أدرس الرسم من جديد دارسة حقيقية فأبدأ من الألف باء كما يقال .

ومادمت اريد التعبير عن الأنسان فيجب ان أعرف كيف أرسم البنى آدم أولا . واعرف كل قواعد المهنه كى امتلك وسائل التعبير بالكامل ، وعلى ذلك بدأت رحلة الدراسة الجاده . نظمت وقتى تنظيما موفقا . فكنت اكرس الصباح للفن . أما المساء فللعمل

السياسى ، والحق انى كنت اجد صعوبة فى البدايه . لكن سرعان ما اصبح هذا النظام صارماً ساعدنى جدا فى الاستفادة بالوقت والانتاج . وقد لازمنى طول حياتى وحتى الآن.

وقد التحقت بعدة مراسم للتعليم . فى الأول بمرسم الفنانة السويسرية القديره المقيمة فى مصر - مارجو فييون - التى كان لها اسلوبها المتميز الجيد فى الفن وفى التدريس أيضاً . كان مرسمهافى المعادى ، الضاحية الخضراء والجميله . وكانت المعادى فى ذلك الوقت محاطة بالقرى الصغيره . فكنا نخرج مع الاستاذة الى تلك القرى حيث نرسم ونتعلم الاسكتشات من الطبيعه . وكان هذا يناسبنى جداً لأنى أعشق الخروج إلى الطبيعة والألتحام بالناس . واذكر انى كنت اتمسك بحكمة قرأتها . قالها الفنان العظيم ليوناردو دافنشى . قال إن الفنان الذى لايستطيع أن يلتقط بالرسم شخصا يسقط من الدور السادس ليس بفنان . وقد ظلت هذه العبارة التى تحمل خلاصة تجربة رائده ، ظلت تجسد إهتمامى الكبير بالحركه فى حد ذاتها مع ضرورة امتلاك وسائل التعبير عنها . فحرصت دائما على تحصيل القدرة الكاملة على الرسم وعلى تلخيص الخطوط والتقاط الحركة السريعة وتجسيدها فى لوحاتى.

مضت فترة بعد مدرسة المعادى . بعدها التحقت بكلية

الفنون الجميلة بالزمالك – القسم الحر . وكان بهذا القسم أساتذة عظام منهم راغب عياد وحسين بيكار . كما كان القسم غنيا بالموديلات لتمكيننا من دارسة جسم الأنسان عاريا . وهذا اساس فى فن الرسم على مستوى العالم كله .

وحدث كذلك فى الخمسينات ان التحقت بمرسم الفنان حامد عبد الله وزوجته تحيه حليم . وقد انفصلت تحية عن زوجها .

وتفرغت للفن فأصبحت فنانة كبيره . وتسعدنى الصداقه الحميمة التى قامت بيننا حتى الآن .

بعد ذلك استطيع أن أقرر وأنا واثقه أن المدرسة الكبرى التى تعلمت منها حقا واحببتها لأنها مصدر الهامى ، كانت هى بلدتى فى الريف . (المنشة الصغيرى) وهى من قرى مركز كفر شكر قليوبية الآن ، وكانت فبل ذلك من قرى مركز ميت غمر .

هنا ك بنى جدى بيتا ريفيا جميلا على – النيل (فـرع دميـاط) .

البيت على شاطىء النهر وفى وسط أطياننا وفيها اشجار الكافور العملاقه . ومزروعه حدائق منها الموالح ومنها الموز . هناك كنت اتطلع بانبهار للحياة الريفية الهادئة والاشعاع الرحب لجمال وصفاء الطبيعة . ولكنى اؤمن بالأنسان . فالمهم الناس .

ولذلك كنت حريصة على التردد على القرية وهى تبعد عن منزلنا مسافة بسيطة.

وهناك احتك بالواقع المؤلم لحياة الفلاحين القاسيه .

حياة تهزنى هزاً فتثير شعورى وعواطفى . وانفعل بعنف أمام هذا الكم من البؤس . وكنت ارسم واسجل من الطبيعة والواقع دون انقطاع .

كنت أعايش الفلاحات . ادخل بيوتهن فيثرثرن معى أثناء قيامهن بالعمل المنزلى . وانا أيضا كنت أعمل . كنت أرسم . والفلاحة كثيرة الأشغال فلا وقت عندها للكسل . وهكذا عرفت المرأة الفلاحة وتفهمت طبيعتها وأحوالها وصورتها فى اعمالى . كنت أذهب فى الصباح الباكر الى الحقول ، ارافق العامله الزراعية وهى تقوم بجمع المحاصيل . تستمر فى جنى القطن . تجمعه والشمس محرقه .

وتخلع كيزان الذرة وتجمع العيدان فى حزم الحطب . . وتشقى فى ضرب اللوف الذى نستحم به وكذلك تتسلق اشجار البرتقال لقطف الثمار

كنت أبقى طول النهار معهن اتجول فى الحقول . وعند غروب الشمس يعود الجميع وأنا معهن كل الى بيتها .

وكنت احتمل التعب والحر الشديد بسعادة كبيرة . شكراً للفلاحة العاملة فى الحقول بهمة والمتحلية دوما بالصبر الجميل والمحتفظة فى كل الظروف بروح المرح الذى لامثيل له . كل هذا كان يلهب حماسى ويشجعنى على العمل والأنتاج وسرعة التعليم .

اليس هذا أحسن طريق للبحث عن مصر الحقيقية والتعرف على كنوزها الخالدة . البحث الدائب الشاق والممتع الذى امتد لسنوات طويلة ولايزال حلو العطاء حتى اليوم وأنا سعيدة به .

ثمانون مليون امرأة معنا

أليس من الغريب أنى اتجهت الى الكتابة فى الوقت الذى لم أكن استطيع الكتابة بسهوله بالغة العربية . لكن كان شعورى قويا بضرورة مخاطبة الناس بالكتابة لتوصيل أرائى اليهم فى كل الأوقات . فالكتابة تأثيرها اسرع من الرسم وهى وسيلة مباشرة للاقناع .

ذلك ماجعلنى اكتب كتيبا بعنوان « ٨٠ مليون أمرأة معنا .»

كتبته عام ١٩٤٧ بعد عودتى من المؤتمر النسائى فى باريس . وكنت مشحونة بعد المؤتمر بحماس شديد وأفكار جديدة . لكن هذا الكتاب لم يصدر إلا فى عام ١٩٤٨ لظروف

الرقابة على المطبوعات ، وقتئذ . وكان بهدف أساسا الى تعريف الناس بنضال المرأه إثناء الحرب العالمية الثانيه . وبدورها البطولى فى مقاومة الاحتلال النازى والفاشية . كما كان الكتاب يهدف الى ابراز أهمية الوحدة بين نساء العالم لنيل حقوقهن العادلة ولخدمة نضال مشترك مع الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة من اجل التحرير والاستقلال والديمقراطية

وهذا ما كانت تناضل من اجله مصر أيضا . كنت اقصد ايقاظ المرأة المصرية بوعى جديد . لتعلم انها ليست وحدهافى الكفاح . وأن قضاياها هى جزء لايتجزأ من قضايا المرأة فى العالم لم يكن من السهل على أن اتقدم هكذا بكتابى للناس .

فكرت أن يكتب مقدمتة شخص له وزنه واحترامه فيقدمنى للقراء . كان الدكتور طه حسين بالنسبة لى كان بالنسبة لسائر المثقفين مفكرا حرا جريئا وداعية للتجديد والتحديث

كما كان مشجعا مستنيرا للمرأة ونصيرا لها فى كفاحها من أجل التقدم .

جمعت شجاعتى وانا أرتعد خجلاً وخوفاً وذهبت اليه فى يوم من أيام الأحد حيث كان يخصصة لاستقبال زواره .

قدمنى سكرتيره . الأنسة انجى افلاطون ، قال الاستاذ

مبتسماً اهلا بالأنسة الشيوعية . وأحمر وجهى وازداد خجلى . لكن رقته ولطفه أدركانى . انتحى بى جانبا وسألنى عما اريد . فشرحت له رغبتى . طلب أن اترك الكتاب ليقرأه . ووعدنى بكتابة المقدمة اذا راق له الكتاب .

وما هى إلا بضعة أيام مرت ، حتى اتصل بى سكرتيره وأخبرنى ان الاستاذ كتب المقدمة ، وكانت لحظات من أسعد أوقاتى.

ونشرت الكتاب ، فكان صدوره ايذانا بحملة شعواء ضدى بدأتها السيده منيره ثابت ، كانت السيده كاتبة معروفه وصحفيه كبيره كانت شخصية بارزه فى الحركة النسائية المصرية . لكنها كانت تعمل وحدها . لم تكن منضمه لجماعة أو لجمعية ما . هاجمتنى منيره ثابت بمقال نشرته مجلة آخر ساعه وجاء فيه انى أتستر وراء قضية المرأه من اجل ترويج الافكار الشيوعية الهدامه ، وكأنما كان هذا المقال بلاغاً ضدى للأمن العام .

وكانت المفاجأة الجميلة أن كاتبا عظيما تصدى لمقال الست منيره فكتب فى الاسبوع التالى مقالا بعنوان « منيره ثابت تزحف ولكن الى الوراء » . وقد هاجمها بحدة من منطلق انها وهى زعيمه نسائيه مخضرمه تهاجم شابة شجاعه متحمسة

تدافع عن تحرير المرأة . وكان المفروض أن تشجعها بدل الهجوم عليها .

كانت دهشتى وفرحتى كبيره . فها هو عالم أزهرى محترم يدافع عنى بحماس ولم تكن بينى وبينه معرفه .

ذلك الرجل الكبير هو الاستاذ خالد محمد خالد .

ومرة اخرى هاجمتنى مجلة آخر ساعة . لكنى لم أهتم .

فدار أخبار اليوم كانت قد تخصصت . فى ذلك الزمن كما قلت فى القيام بحملات تشهير ضد الاحرار والتقدميين واتهامهم بالشيوعية وهى جناية فى قانون العقوبات . ومما قالوه عنى انى ارسقراطيه وبنت صالحه وشيوعية فى نفس الوقت وكان هذا عندهم تناقضا مريبا .

كذلك كتبت جريدة الأساس لسان حال السعديين مقالاً سافلاً ضدى فاضافت لتهمة الشيوعية التى نسبتها الى تهمة الصهيونيه . وقد كسبت قضية القذف التى رفعتها ضد رئيس تحرير هذه الجريده . فتوقفت الحمله على .

الكتاب الثانى : نحن النساء المصريات

فاتنى أن أذكر أنه فور صدور كتابى الأول ، قام القلم السياسى (المباحث العامة الآن) بجمعة من السوق . ولم يتم

توزيعة إلا بعد أن رفعت قضية ضد وزارة الداخلية .

شجعتنى الخبرة المكتسبه من كتابة كتابى الأول ونشرة على أن أكتب كتابى الثانى « نحن النساء المصريات »

وكان الكتاب فى اعتقادى اكثر لزوما واهمية من الكتاب الأول .

فقد تضمن بحثا مفصلا عن اوضاع المرأة المصرية ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى الأربعينات وبداية الخمسينات . كما كان هذا الكتاب دعوة جاده لمشاركة المرأة فى العمل بمختلف الميادين . مع شرح اهمية ذلك للمرأة نفسها وللعمل فى حد ذاته . وقد تصديت فى الكتاب للنظرية الرجعية التى نادت بعودة المراة للبيت .

كان الكتاب بشكل عام يعبر عن هموم المرأة واهم مطالب الحركة النسأيه التقدمية . مع التركيز على حق المرأة فى العمل وكسب العيش وعلى لزوم الاجر المتساوى فى حالة تساوى العمل بلا تفرقة بين المرأة والرجل .

وقد حرصت على أن يكتب المقدمة لهذا الكتاب أحد العلماء البارزين فى المجتمع . وقد تفضل المؤرخ الكبير الاستاذ عبد الرحمن الرافعى بكتابة المقدمه . وكان هذا ايضا نصراً كبيراً

للأفكار التحريرية .

وصدر الكتاب فى بداية سنة ١٩٥٠ وبعد الغاء الاحكام العرفية وقد احدث الكتاب رد فعل جيد . وقد كتبت بنت الشاطىء مقالا فى جريدة الأهرام انتقدت فيه الكتاب على اساس فكرى وسياسى.

وقد كتبت رداً على مقالها ونشرت الأهرام ردى . وقد اتسعت المناقشة والجدل حول الكتاب مما ساعد على رواج الكتاب وانتشاره .

المرأة نصف المجتمع وجريدة المصرى

لم تكن الكتيبات ونشرها الوسيله الوحيده لنشر أرائى وتوصيلها للناس . فقد اتيحت لى فرصة الصحافة . وجاءت الفرصة بالصدفة وكانت مفاجأة غريبة .

فى سنة ١٩٥٠ عرض على الاستاذ محمود ابو الفتح أن اكتب فى جريدتة – المصرى . وكانت المصرى من اوسع الصحف انتشاراً كما كانت جيدة فى شكلها ومضمونها . المصرى جريدة وفدية وكان الاستاذ محمود أبو الفتح عضوا فى حزب الوفد .

ولذلك كانت الجريدة وطنية ومناصرة للحرية والديمقراطية تشاورت أنا وزوجى حمدى طويلا فى هذا العرض . وظننا أن أيا

الفتح يهدف من هذا العرض الغريب والمغرى بالنسبة لى أن يبعدنى عن العمل السياسى مع اليسار وربما خدمة لأمى أو للعائله . ولم نجد بأسا فى قبول هذا التحدى . فقد كنت واعية وحريصة على التمسك بأفكارى ومواقفى . وها هى الفرصة سانحة للتعبير عنها من خلال الكتابة فى المصرى .

إن أول عمل قدمته للجريدة كان تحقيقا صحيفا عن مصر والسلام العالمى . وذلك تم بلقاءات مع بعض الشخصيات الكبيرة اذكر منهم على باشا ماهر . كان ذلك فى الصيف .

وكنت أنا وحمدى نفكر فى السفر للخارج ونحاول تدبير الفلوس لهذه الرحله . توجهت لأبى الفتح لأتقاضى مقابل ذلك التحقيق .

وأسعدنى أن محمود ابو الفتح هنأنى على المقال وقدم لى شيكا فى مظروف وتمنى لى سفرا سعيدا وطلب منى الاستمرار فى الكتابة للجريدة . بعد خروجى من مكتبه فتحت المظروف ورأيت قيمة الشيك . كان بمبلغ خمسين جنيها .

أرتسمت السعاده على وجهى . خمسون جنيها نظير مقال واحد هذا شىء لايحلم به كاتب فى ذلك الوقت . اسرعت ابلغ حمدى بالخير السعيد وتغنينا بقول الشاعر فرجت وكنت أظنها

لا تفرج . واخذنا تضحك معاً .

ونأكد لنا ان ظننا كان فى محله وأن الاستاذ ابو الفتح قصد بذلك (انتشالى) من اليسار.

انتهت رحلتنا للخارج ، عدنا من السفر فرجعت لجريدة المصرى .

خصصت لى الجريده عموداً دائما تحت عنوان ثابت اخترنه أنا وهو « المرأة نصف المجتمع » . وهذا شعار هام له بعده السياسى والاجتماعى وقد اطلقته لأول مرة فى الصحافة .

وتطورت الأمور فصرت احرر صفحة كاملة بدلا من العمود الواحد .

كان الاستاذ أحمد ابو الفتح رئيس التحرير . وكنت أسلم مقالاتى له .

كان فى البداية جافا معى . ولكن بمرور الوقت وبالمناقشة المستمرة معه . ومع اتصال العمل المشترك ايام الكفاح المسلح ضد الأنجليز فى قاعدة القنال ، كل هذا خلق بيتنا ثقة وتقديراً فأصبحنا اصدقاء . والحق أن افكار احمد ابو الفتح ومواقفة كانت فى ذلك الوقت كفاحا مشرفا يلتقى مع القوى اليسارية التقدميه فى خدمة القضية الوطنية والدفاع عن الديمقراطية.

ولا يفوتنى أن أذكر أن احمد أبو الفتح كان يبذل مجهوداً كبيرا لمساعدة المقاومة الشعبية المسلحة فى القناه .

ومن الطريف أنه بعد شهرين أو ثلاثة من العمل فى المصرى طلبت من أحمد مكافأتى . فأخبرنى أن اخاه محمود اعطى الأوامر للخزينة بأن يكون مرتبى الشهرى اثنى عشر جنيها فقط . وهو المرتب المقرر للصحفيه تحت التمرين . وقد اعترف لى أحمد بعد ذلك بما سبق ان خمنته أنا وزوجى . فقد قال ان أخاه الكبير أراد استقطابى بدعوتى للكتابة فى الجريده . وحينما فشل فى ابعادى عن اليسار تغيرت المعاملة من ناحية الأجر طبعا .

لم اعلق على هذا التحول أهمية . واستمر عملى فى الجريدة بحماس لأنى صاحبة رسالة . وقد تصديت لقضايا نسائية هامه . مثل اضراب عاملات مصلحة التليفونات ، واضراب الممرضات والحكيمات . . اضراب ملائكه الرحمة .

ومن أهم ما نشرته كان حديث الدكتور أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية حينئذ فى الحكومة الوفديه . وقد أكد الوزير فى حديثة ان القانون لا يفرق بين الرجل والمرأة فى العمل ولا فى المعاملة .

كان الواقع غير ذلك حيث كانت المرأة تلقى معاملة سيئة لا تراعى ظروفها . كما كانت تتلقى اجراً أقل من اجر الرجل على نفس العمل .

أثار هذا الحديث أصحاب المصانع والمحلات وإنهالت البرقيات والخطابات على الجريده تحتج على حديث الوزير وتكذب قوله بأن الكثرين من اصحاب الاعمال لايلتزمون بتطبيق القانون ويهدرون حقوق النساء العاملات . فما كان منى الا انى نشرت هذه الاحتجاجات فى الصفحة التى احررها . وثار جدل عنيف وهام حول قضية الأجر المتساوى للعمل المتساوى .

وأثر ذلك فاجأنى احمد ابو الفتح بانهاء عملى فى الجريدة لماذا يا استاذ احمد : لأن صفحتى اثارت غضب وزير الداخلية فواد باشا سراج الدين قطب الوفد الكبير .

وقد طلب الباشا شخصيا من احمد ابو الفتح منعى من الكتابة وإلا فسيجد نفسه مضطراً لإتخاذ إجراء ضدى .

أنصار اسلام .

ظهر السلاح الذرى فى سنة ١٩٤٥ فقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ضربت امريكا اليابان بقنبلتين . ألقت احداهما على هيروشيما والاخرى على نجازا كى . لم يكن هذا لضرورة

عسكرية لان اليابان كانت على وشك التسليم . لكن السلاح الذرى كان يحتاج لتجريب . وقد روع العالم بهذه التجربة وادرك الأثار المهلكة المدمرة للحياة البشريه وغير البشرية اذا نشبت حرب جديده . ستكون ذرية هذه المرة . وطبعا كان العلماء هم أول من ادراك خطورة السلاح الذرى . ولذلك بادر لفيف منهم ومن كبار المثقفين فى العالم داعين لتأسيس المجلس العالمى للسلام . وكان فى مقدمة الداعين البروفسر برنال العالم البريطانى المشهور وعالم الذرة الفرنسى الكبير چوليو كورى . وبناء على هذه الدعوة انعقد أول مؤتمر للسلام فى عامضة السويد - استكهولم عام ١٩٤٩ . وانتخب چليو كورى رئيسا للمجلس .

واصدر المؤتمر نداء استكهولم الشهير ضد القنبلة الذريه . وقد نشطت حركة عالميه فى جمع التوقيعات على هذا النداء . ووقع علية ملايين الناس من جميع انحاء العالم .

كان لهذا اثرة القوى علينا نحن المثقفين الوطنين وخصوصا ان النداء تضمن ادانة وجود القواعد العسكرية الاستعمارية وأعلن مساندة الشعوب فى كفاحها من اجل التحرير الوطنى والاستقلال . واتفق البعض منا ابتداء على بذل الجهود لتكوين لجنة سلام مصرية من كافة التيارات السياسية بغير تمييز اوتفرقه طالما ارتضت العمل المشترك وهو الدفاع عن السلام

العالمى .

فى ذلك الوقت ، فى نهاية سنة ١٩٥٠ ، وفى حفل اقيم فى فرع هيئة الامم المتحده بمصر ، تعرفت على السيده سيزا نبراوى رئيسة الاتحاد النسائى المصرى وخليفه الزعيمه هدى شعراوى . كانت سيزا تكتب مقالات هامة تنشرها الصحف ضد اخطار القنبلة الذرية . وتقوم وحدها بحملة كبيرة فى الصحف من اجل الدفاع عن السلام العالمى .

عرضت عليها تكوين لجنة سلام مصرية لخدمة هذه الأهداف .

فتحمست حماسا شديدا . واصبحت عضوا مؤسسا للجنة انصار السلام فى مصر . ومنذ هذا الزمن توطدت علاقتنا واصبحنا صديقين

فى ١٢ يناير سنة ١٩٥١ اجتمعت اللجنة التحضيرية لأنصار السلام واصدرت بيانا نشرته جريدة المصرى فى اليوم التالى وقد وقع عليه يوسف حلمى المحامى الذى انتخب سكرتيرا عاما كما وقع عليه سعد كامل المحامى (الصحفى حاليا) والسيده سيزا نبراوى والدكتور محمد صبرى السربونى العالم المؤرخ ومحمد حفنى محمود باشا (الوزير السابق) ومحمد على عامر

العامل النقابى ومحمد كامل البندرى باشا الوزير ، وكيل الديوان الملكى ، السفير بموسكو سابقا . والدكتور عزيز فهمى عضو مجلس التواب .

ووقعت عليه أنا وعدد آخر من المثقفين والقيادات الشعبيه

ولقد استطعت فيما بعد اقناع الدكتور ابراهيم رشاد باشا بالانضمام للجنة وكان على رأس الحركة التعاونية فى مصر . وقد مارس عمله السلامى بكل صدق وتواضع فى ظروف سياسية صعبة .

فقد شاع فى ذلك الوقت ان (السرايا) طلبت أغلاق لجنة السلام .

وفعلا احالتنا الحكومة الى النيابة فقامت النيابة بالتحقيق معنا مباشرة بعد صدور أول بيان للجنة التحضيرية . وكان المرحوم الدكتور جمال العطيفى هو وكيل النيابة المحقق وقد وجه السؤال التالى : هل انت معترفة بانضمامك الى لجنة السلام ؟

وبالطبع اعترفنا كلنا بهذا الشرف . واتذكر سيزا نبراوى ودفاعها المجيد فقد كانت اقوالها جرئيه وصريحه فى الدفاع عن السلام فى العالم وضد اخطار الحرب الذريه على حياة الأنسان .

وحين سأل الدكتور العطيفى اعضاء اللجنة عن قبولهم الشيوعيين ردت سيزا نبراوى أن اللجنة تضم كافة الاتجاهات الوطنية بما فيهم الشيوعيين . وأنها شخصيا ليس لديها مانع من العمل مع الشيوعيين لأنهم وطنيون ومن أنشط أعضاء اللجنة .

وقد أفرج الدكتور العطيفى عنا جميعا عقب انتهاء التحقيق وفى نفس اليوم .

وبمناسبة هذا الاستجواب قامت حملة صحيفة تتهمنا بالتستر وراء الدفاع عن السلام العالمى لنشر (المبادىء الهدامة وسموم الشيوعية) .

ومن عينة ذلك ما نشرتة جريدة الأساس لسان حال الحزب السعدى (السعديين) بتاريخ ٢/٧/ ١٩٥١ . مقال تستند فيه الى جريدة التاميز البريطانية وتتهم فيه الصحافة المصرية عامة والمعارضة ولجنة انصار السلام خاصة بوضع القضية الوطنية وقضية السلام العالمى فى معسكر واحد ضد الاحتلال البريطانى وشركات البترول ومجرمى الحرب النووية بدلا من التركيز على والتنبيه الى خطر (الاستعمار الروسى) ! والشيوعية. فتقرأ مثلا :

إن هدف الحملة كلها (يقصد حملة انصار السلام) هو تحطيم المقاومه للأستعمار الروسى واحباط كل أمل فى الاتفاق والتعاون بين مصر ودول الغرب . والفكرة الرئيسية هى الفكرة البسيطه الجذابة وهى الدعوة الى السلام ، والتى تصور أن مصر لن تحظى بهذا السلام ابداً اذا هى قبلت الدفاع المشترك أو اى نوع من الارتباط المصرى البريطانى . وقد ربطت هى الفكرة بمهارة مع أمانى مصر القومية وكراهيتها للحرب ومع القلق الاجتماعى المتزايد فيها . . .

مجلة الكاتب .

أصدرت لجنة السلام (الكاتب) مجلة أسبوعية لسان حال رسالة السلام ودعوته وقد لعبت دورا بارزا وهاما فى الكفاح من أجل السلام ، وذلك حتى النهاية حيث تم إغلاقها بأمر السلطة بعد حريق القاهرة . وكانت المجلة تربط على الدوام بين النضال من اجل السلام والنضال لجلاء القوات البريطانيةعن مصر وكذلك قضية التحرر الوطنى والتقدم الديمقراطى بشكل عام .

كتابى الثالث .

فى ذلك الوقت اصدرت كتابى الثالث الصغير بعنوان « السلام والجلاء » حاولت فيه أن اشرح مدى ارتباط

قضايا السلام مع قضايا التحرر الوطنى . وفد تحمس لهذا الكتيب الصديق الدكتور عزيز فهمى وكان محاميا وكان عضوا فى مجلس النواب وعلى رأس الطليعة الوفدية مع الدكتور مندور ، وهى الجناح التقدمى فى حزب الوفد فى ذلك الزمان . وكتب الدكتور عزيز مقدمة حماسية لكتابى هذا .

انى لاتذكر بحزن بالغ كيف كان عزيز فهمى كتلة نشاط وحماس فى الحياة السساسية. وكان يكشف دائما عن المؤامرات المتتاليه ضد حرية الشعب المصرى . وقد مات فجأة فى حادث سياره وظهرت وقتها اشاعة قوية عن تدبير هذا الحادث من قبل السرايا (الملك) لاغتياله .

من فينا الى روما .

فى نوفمبر من نفس العام (١٩٥١) ، عام تكوين لجنة السلام ، وخلال الكفاح المسلح فى منطقة القناه ، كنت ضمن وفد كبير من لجنة انصار السلام سافر لحضور مؤتمر السلام العالمى فى فينا عاصمة النمسا . كان الوفد برئاسة كامل البندارى باشا . وعضوية سيزا نبراوى ويوسف حلمى وسعد كامل ولطفى الخولى وعبد الرحمن الخميس وأخرين . وكان لمصر صوت واضح لنضالها الوطنى ، فا ستقبلنا فى فينا استقبال الأبطال لاننا نمثل شعبا يحمل السلاح ضد المحتل وفى طريق

عودتنا دعانا مجلس السلام الايطالى لقضاء بضعة ايام فى روما لحضور المؤتمرات الشعبية التى نظمت من اجل مساندة الشعب المصرى فى كفاحه العادل .

كانت هذه الاجتماعات الشعبية فى روما ، وما قوبلنا به هناك وكذلك فى فينا من أشد المؤتمرات التى الهبت حماسى لقضية السلام والتحرر الوطنى .

عدنا من روما فى مساء ١٣ نوفمبر وفى صباح اليوم الثالى مباشرة كنت أنا وسيزا نبراوى ورفيقات اخريات على رأس المظاهرة الكبيرة ليوم الشهداء .

الكفاح المسلح فى القناة :

لاشك أن مجىء الوفد الى الحكم عام ١٩٥٠ قد اتاح الفرصة لفترة من الحريات كنا نفتقدها فى الأعوام السابقة وكنا فى حاجة شديدة اليها .

فقد كان المد الشعبى يتعاظم فى مواجهة محاولة فرض اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وانجلترا . وقد رفضت الحكومة الوفدية الخضوع لشروط الانجليز وضغوطهم . وفى اكتوبر عام ١٩٥١ قامت الحكومة . بخطوه عظيمة فقد اعلن النحاس باشا الغاء معاهدة ١٩٣٦ .

وعلى اثر الغاء المعاهدة اندلع الكفاح المسلح ضد القاعدة البريطانية فى منطقة القناة وانسحب ثمانون الف عامل كانوا يعملون فى معسكرات الأنجليز هناك واستمرت هجمات الفدائيين تحت جنح الظلام .

وكادت المواصلات تنقطع مع القاعدة الإنجليزية وكذلك امدادات التموين . وقام اهالى الاسماعلية بدور كبير فى الكفاح ومساعدة الفدائيين . ومع تطور الكفاح المسلح ارتفعت الحركة الوطنية الى مستوى سياسى هائل . فانشئت لجان وطنيه فى الجامعات وفى الاحياء الشعبيه لدعم الكفاح حتى يتحقق الجلاء .

لجنة شابات الاتحاد النسائى المصرى.

توثقت علاقتى مع سيزا خلال العمل فى لجنة السلام . وكنا نفكر فى توسيع العمل النسائى ودفعه الى الامام .

وانتهينا إلى تكوين « لجنة الشابات » فى الاتحاد النسائى المصرى الذى ترأسه سيزا . وفعلا تكونت اللجنة وقامت بعمل اجتماعى كبير فى فم الخليج – الحى المواجه لمبنى الاتحاد بشارع القصر العينى بالأضافة لنشاط داخل الاتحاد نفسه . وأما أنشط عضواتها فكن الصديقات ليليان ارقش وزينب عزت والصحفية جميلة كامل والزميلة حكمت الغزالى . وحينما اندلع الكفاح

المسلح فى القناة رأينا أن نكون لجنه للمقاومة . جاءت المبادرة بالتشاور بينى وبين سيزا والصديقة جاكلين خورى وكانت مسئولة صفحة المرأة بجريدة الأهرام وقررنا أن تتولى الدعوة لجنة الشابات تحت رئاسة سيزا نبراوى رئيسة الاتحاد . فتقوم بالاتصال بالجمعيات النسائية وكذلك بالشخصيات النسائية المؤثرة .

وفى يوم ١٠ من الكتوبر سنهة ١٩٥١ اجتمعت المدعوات وناقشن الفكرة ووافقن على تكوين اللجنة النسائية الشعبية . وهى لجنة جبهوريه ضمت فى عضويتها عددا من الجمعيات النسائيه كما ضمت شخصيات مستقله منهن انجى رشدى الصحفيه وسعاد منسى وعايده نصر الله والفنانه لولا صدقى والنقابية عايدة فهمى .

بدأت اللجنة اصدار نداء موجه الى نساء وادى النيل نشرته جريدة المصرى بالكامل يوم ٢٠ / ١٠ / ١٩٥١ . كما اصدرت اللجنه نداء خاصا الى الرأى العام العالمى وجهته عن طريق المجلس العالمى للسلام واتحاد النساء الديمقراطى العالمى .

وأهم ماجاء فى برنامج اللجنه هو ضرورة تنظيم مقاطعة اقتصاديه رسميه وشعبيه للبضائع الانجليزيه . وضرورة انشاء

مكتب لايجاد فرص عمل للعمال الذين امتنعو ا عن العمل فى معسكرات الانجليز [١] وكذلك تكوين وحدات اسعاف من الشابات المصريات .

كان هدف اللجنه تعبئة الجماهير النسائيه وتنظيمها لتقديم مسانده ماديه ومعنويه لابطالنا الفدائيين فى منطقة القناه . وقد اوفدت اللجنة ثلاثه من عضواتها الى الاسماعيليه وكانت هى المركز للعمل الفدائى . والثلاثة هن حواء ادريس مندوبة عن الاتحاد النسائى . والزميلة حكمت الغزالى وهى ماركسيه والثالثة أنا .

ركبنا القطار المسافر للأسماعيليه . وفى منتصف الطريق توقف القطار فى منطقة صحراوية مليئة بالتلال . وفوجئنا بصعود جمع من الجنود الانجليز . من اين جاءوا ؟ كأنهم من الشياطين انشقت عنهم هذه الأرض الجرداء . ثم أخذوا يفتشون القطار . كانت هذه اول مرة أرى فيها العساكر الانجليز وجها لوجه . كانت نظراتهم قاسيه ويحملون المدافع الرشاشة . كانوا يبحثون عن الاسلحة ولم يعثروا على ممنوعات كانت معنا لفة

---

(١) قامت حكومة الوفد فعلاً بتعيين جميع من تقدم طالبا العمل من عمال المعسكرات . المحرر

كبيره من المنشورات لتوزيعها فى الاسماعيلية لكن الحمد لله فلم يقترب العساكر منا لاننا نساء . وواصل القطار رحلته.

وصلنا الاسماعيليه . لم يكن صعبا ان نعرف طريقنا بعد ذلك بالرغم من أننا غرباء عن المدينة . المدينه تتكون من منطقتين الحى الافرنجي والحى العربى . سألنا بعض العمال الذين قابلونا فى الطريق . عرفناهم بهويتنا وبما نريد فرحبوا وقادونا الى الحى العربى وعرفونا على أهاليهم وعلى عدد من سيدات الحى ذوات المكانة فيه.

لجنه المقاومه فى الأسماعيليه . فى هذه الزيارة وفقنا الى تكوين لجنه نسائيه للمقاومه الشعبيه ، فرع للجنه القاهره الرئيسيه . وكانت هذه اللجنه من انشط لجان المقاومه واكثرها وعيا . لما عدنا للقاهره واطلعنا سيرا على ماتم كانت سعيده بنجاحنا فى الأسماعليليه . ثم دعونا لمؤتمر صحفى عقد فى نادى هدى شعراوى بدار الاتحاد النسائى المصرى . حضر عدد كبير من الصحفيين المصريين والاجانب وعدد من الشخصيات الهامه ونواب البرلمان . وكانت المفاجأه الحقيقيه فى هذا المؤتمر هى حضور ممثلى لجنه الاسماعيليه . فقد حضرت زينب نور الدين رئيسه اللجنه وصبيحه ابراهيم وكيلة اللجنه . وقفت زينب رئيسه اللجنة تطالب الرأى العام فى القاهره باليقظه وتقديم مزيد

من الدعم للمجاهدين وممايذكر أن الاستاذ محمد زكى عبد القادر تأثر كثيرا بنداء زينب نور الدين وكتب على اثره فى جريده اخبار اليوم يطالب « بوزير مقيم فى الاسماعيليه لمساعدة المقاومه المسلحه .»وانتهى المؤتمر الصحفى بثلاثه قرارات هامه وجريئه تقرر تقديمها للحكومه واعلانها على الرأى العام . وتتلخص فى ضرورة مصادرة الاموال الانجليزيه المستغله فى بلادنا وذلك لتغطية دين مصر المستحق على بريطانيا . وايضا ضرورة توسيع العلاقات الاقتصاديه مع البلدان الصديقه . واخيرا ضرورة قصر الاستيراد على ماهو ضرورى والبدء فى برنامج تصنيع مصر .

انسحاب من اللجنه !

كانت فاطمه نعمت راشد رئيسة الحزب النسائى المصرى عضوة معنا فى لجنة المقاومه . وقد فوجئنا بخبر انسحابها من اللجنه حيث قرأناه فى الجرايد وعللت إنسحابها بأن اللجنه تضم سيدات ذوات ميول يساريه . وطبعا لم نندهش لعلمنا بكثرة الضغوط على العضوات للأنسحاب وافشال اللجنه . الناس معادن .. وقد انضمت فاطمه راشد الى درية شفيق رئيسة اتحاد بنت النيل وكونا معاً جبهة سيدات مصر . وهذه الجبهه لم تقم الابعمل واحد لاغير هو رفع الافتة الكبيرة التى تحمل اسمها فى

مظاهره الرابع عشر من نوفمبر .

أروع مظاهره نسائية فى مصر .

كان هذا هو العنوان الذى نشرت جريده الأهرام تحته فى يوم ١٥/١١/١٩٥١ أخبار المظاهره القومية الكبرى التى نظمتها القوى الوطنية والتقدمية يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ فى ذكرى يوم الشهداء واحتجاجا على فظائع الانجليز فى منطقة القناة قالت جريدة الاهرام فى تعليقها مايلى :

« كان موكب اليوم موكباً فريدا ضم الوف السيدات والفتيات السافرات كما ضم الوفا من المحجبات ظهرت بعضهن بالملاءات اللف وجلهن بالملابس الريفيه .وقد سرن جنبا الى جنب مع المحاميات والطبيبات والحكيمات والممرضات .. لقد جندت مصر نساءها بل دفعتهن الوطنيه فتقدمن الصفوف فى اروع مظاهره قومية شاهدتها البلاد . »

حقا لقد بدا أن مصر نفسها هى التى نظمت هذه المظاهره الحاشده حيث كان الأنضباط كاملاً . سارت المظاهره بادئة من دار الاتحاد النسائى بالقصر العـــينى ثم فى شارع سليمان باشا (طلعت حرب) ثم فى شارع فؤاد الأول (٢٦يوليو) حتى وصلت لميدان ابراهيم باشا .وفى الميدان التقت مظاهرتنا (اللجنه

النسائية للمقاومه الشعبيه)بمظاهرة السيدات الوفديات التى بدأت سيرها من عندضريح سعد زغلول . ومعهن جمعية بنت النيل والحزب النسائى المصرى (جبهة سيدات مصر) السابق ذكرها

كانت السيده سيزا نبراوى تتقدم المسيره حامله صوره كبيرة لهدى شعراوى التى قادت اول مظاهره نسائيه فى مصر عام ١٩١٩وسارت بجوار سيزا نبراوى سيده اخرى تحمل لوحة زيتية كبيره للشهيدة ام صابر ، أول شهيدة مصريه سقطت برصاص الانجليز فى منطقة القناة وكذلك ارتفعت عدة لوحات لفنانات تصور قبور الشهداء وخلفها الآية الكريمه « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون .)

وهنا يجب ذكر دور الفنانين والفنانات من كليه الفنون الجميله الذين ساهموا بالكامل فى تحضير اللوحات والملصقات الفنيه التى ساهمت فى توضيح المعانى السياسيه والوطنية فى المظاهره .

وكان لجماعة صوت الفن دور كبير فى هذا العمل . وكنا قد كونا هذه الجماعة المرتبطة منذ البداية بالحركة الوطنيه . وكان منهم جمال السجينى وزوجته هدى ، وراجى عنايت وزينب عبد الحميد وعز الدين حموده وأخرين .

كنت فى تلك الايام المجيده أما رس نشاطى أيضا فى لجنة انصار السلام .كما كنت اكتب المقالات فى جريده المصرى بجانب نشاطى فى الرسم . حقا كانت الظروف كلها تساعدنى على مزوالة كل هذا النشاط بحماس شديد .

واذكر اشتراكى فى المظاهره النسائيه الكبرى ليوم الشهداء وكانت المظاهره تعبيرا وطنيا ساحراً يتدفق بالحماس الشعبى الهائل كل هذا أثر فى تأثيرا عاطفيا خلاقا لدرجه اننى أبدعت فى رسم لوحة زيتية قوية التأثير والتعبير اسميتها لالن ننسى . »

النار . ٢٦يناير ١٩٥٢

بيان من اللجنه النسائية للمقاومة الشعبيه .

« ان الشعب لن يفكر فى صرف قواه الى معركة داخليه ، ولن يفكر فى لون حكومته او أفرادها ، فكل متعاون معه ضد الاستعمار هو صديقه نؤازره ونؤيده ، وكل خائن هو عدو للشعب كالأنجليز .

لن نقبل معه تهاوناً . ان الشعب يعلنها فى صراحه الى الحكومةالقائمه ، فانه يؤيدها ويحميها طالما تنفذ مطالبه دون موارية أو تخاذل . وسيحاربها ويخذلها اذا لم تنفذ اهدافه كامله» هذا البيان نشر يوم ١٦ يناير عام ١٩٥٢ ، قبل حريق القاهره

بعشرة أيام . نشر فى جريده المعارضه ؟ وهو واحد من عشرات البيانات التى أصدرتها اللجنه ، للتنبيه الى الأخطاء المحدقه بتلك الصحوة الشعبيه العظيمه ، والجو المتوتر المريب ضدها كانت الاحداث تتوالى فى منطقه القنال . والعدو يفقد أعصابه فيضرب ضربات وحشيه ويبيد الكثير ين فى كفر عبده ويسقط عشرات الشهداء . وكان البوليس السياسى يراقب الفدائيين وفى العاصمه يتم تعيين حافظ عفيفى باشا رجل الأنجليز رئيسا للديوان الملكى . وتتوالى الأخبار عن عزم الحكومه على قطع علاقات مصر الاقتصاديه والسياسيه مع إنجلترا .

فى هذا الوقت أيضا انعقد المؤتمر الأول لاتحاد نقابات العمال المصريين بتصريح من الحكومه . بعد نضال طويل . وتضحيات كثيره . والأخبار تتوالى بأن الجيش المصرى على وشك الاشتراك فى معارك القنال وتتمرد قوة بلوكات النظام فى صباح ١٩٥٢/١/٢٦ تضامنا واحتجاجا على ماأصاب زملاءهم فى اليوم السابق بمحافظه الاسماعيليه على يد الانجليز .. ايضا يتظاهر الطلبة وعمال العنابر (السكك الحديديه) وقوات بلك النظام ويسيرون فى مظاهره هائلة الى البرلمان ومجلس الوزراء لتقديم مطالبهم الوطنيه .

فى هذا اليوم ذاته تمت المؤامره الجهنميه لحرق القاهره .

بدأت الحرائق متفرقه ثم انتشرت فى نظام وترتيب مخطط فى ذلك اليوم كنت عند الصديقه عايده نصر الله ، نستعد لكتابة بيان جديد . كانت عايده تسكن فى بيت يطل على النيل بحى الزمالك . ورأينا من بعيد المنظر الرهيب القاهره تحترق ، جاءنا حمدى فى حالة توتر شديد . وقال انه رأى بعينيه ابراهيم امام رئيس البوليس السياسى يتفرج راضيا على سينما ريفولى وهى تحترق ادركنا انه تم تنفيذ المؤامرة حرق مدينه جميلة وعريقه من أجل تحطيم المد الثورى وقمع الحركة الوطنيه . وكان الملك يقيم فى يوم الحريق مأدبه لكبار ضباط الجيش والح وزير الداخليه فؤاد سراج الدين على نزول قوات الجيش المدينه لقمع المخربين وحفظ النظام . لكن الملك ورجاله لم يستجيبوا لالحاح الوزير المختص إلا بعد (خراب مالطه)فلم ينزل الجيش إلا بعد الساعه الخامسة مساء اليوم المشئوم وبقية القصه معروفة . إقالة الوزارة الوفدية. وعين على ماهر رئيسا للوزارة الجديدة . وجملة اعتقالات واسعه فوراً شملت اكثر من مائتين وخمسين شخصا اغلبهم من الفدائيين والتقدميين اليساريين .

فى ذلك الوقت اتصلت تليفونيا بالاستاذ / احمد ابو الفتح .وقد نصحنا الاستاذ الصديق بعدم المبيث فى بيتنا . واقترح علينا ان نختفى عند الشاعر عبد الرحمن الخميسى حتى تنجلى

الاوضاع وبالفعل قضينا الليلة عند الخميسى وكانت تربطنا به صداقه حميمه وتابعنا الاخبار فى الاذاعات الاجنبيه وادركنا اننا على اعتاب مرحله جديده من الارهاب الاسود . كما ادركنا أن معارك الفدائيين وتعاظم المد الثورى الشعبى – رغم وضع حد له وتصفيته – قد هز النظام الملكى من اساسه

معرضى الاول

احترقت القاهره . تحطمت المقاومة فى منطقه القنال .

انكسرت أجنحه الحركة الوطنيه والشعبيه . وكانت ثورة يوليو على الابواب .

فى هذا الجو العصيب الملئ بالقلق والتوتر أقمت معرضى الأول فى شهر مارس عام ١٩٥٢ بقاعة آدم بشارع سليمان باشا .كان جو المعرض ملتهبا فقد كان يعبر عن إرهاصات المد الثورى القادم . وكان عبارة عن مظاهرة سياسيه وفنيه . وقد زاره عدد كبير من الجمهور لدرجة اننى اعدت طبع كتالوج المعرض اكثر من مرة لم أر من قبل مثل هذه الحشود فى معرض فنى .

كان ابطال لوحاتى من افراد الشعب البسطاء ومن النساء بصفةخاصه . وطبعا انا لا أتعامل مع هذه النمازج على انها درجه ثانيه ! كان فى المعرض لوحات تحمل عناوين قويه مثل (روحى

انت طالقه) . (الزوجـــــه الرابعه) . (يعملن كالرجـــال). (لن ننسى) وقد سبق ان أشرت اليها . وقصتها طريفه رسمتها بعد مظاهرة يوم الشهداء وبعد حضورى جنازة اثنى عشر شهيدا من شهداء معركة القتال . كنت منفعله ومتأثرة جدا بهذا كله فجاءت لوحه لن ننسى تعبيرا صادقا عن هذا الشعور . وقد اهديت اللوحة الى المدينه الجامعه لجامعة القاهره فارسل الى مديرها الاستاذ سيد شافعى خطاب شكر وعلق اللوحه بالمدينه . وحدث مالم يكن يتصوره هو أو أتخيله أنا . فقد اخذ الطلاب يصورونها فوتوغرافيا ويوزعونها كمنشور سياسى ، فتدخلت المباحث ونزعت اللوحه من مكانها . وبعد فتره اعادوا تعليقها ، فعاد الطلاب يصورونها كمنشور فنزعت من مكانها مرة أخرى . حقا قامت اللوحه بدورها فقد عكست حركة المد والجزر فى الحركة الوطنيه وانا لا اعرف اين هذه اللوحه ومامصيرها . وقد قال لى مدير المدينه بعد ذلك ان اللوحة سببت له مشاكل كثيره . كان يضحك لكننى احسست بحديثه لقد نجح معرضى الأول نجاحا عظيما . وكان تعبيرا صادقا فى مجملة عن المرحلة وعن حالتى ونشاطى سياسياواجتماعيا وثقافيا ، كما كان انتصاراً للمرأة المصرية فى نضالها ومعاناتها . وقد كتب صلاح حافظ مقاله هامه عن هذا المعرض تحت عنوان « معرض الثائره». كما

وصف البعض المعرض بأنه صرخة احتجاج ضد الظلم الواقع على المراة المصريه .

بعد ذلك أقمت معرضا سنة ١٩٥٣ وآخر فى ١٩٥٤ والثالث كان فى ١٩٥٦ . وكانت موضوعات لوحاتى تدور كلها حول الريف وحياة الناس هناك . فمن خلال الريف كنت ازداد معرفة بنفسى وبوطنى . ولم يكن هذا بالأمر السهل على امرأة فى سن الشباب نظراً للعادات والتقاليد السائدة . فى الخارج – أوربا – توجد الفنادق فى كل البلاد وايضا فى القرى . ولكن فى مصر كان لابد أن يكون التواجد فى الريف من خلال الأصدقاء أو الجمعيات . وقد تعرفت على فنانه سويسريه كبيره كرست حياتها كلها للفن . هى الفنانه ميكائللا بورشار سميكه . وهى زوجة استاذ الرياضات بجامعة القاهره الدكتور جاك سميكة . وقد اعجبت بمصر اعجابا شديدا . والهمتها مصر بشكل واضح فأبدعت الروائع وهى تتجول فى ريف مصر من الشمال الى الجنوب . جمعنا حب الفن وحب الريف فكنا نسافر معاً فى رحلات نرسم وننتج اللوحات الجميله . وقد استفدت كثيرا من هذه الفنانه التى كانت تكبرنى سنا وخبره واكتسبت المزيد من الجرأه والخبرةمن هذه الرحلات الفنيه فى أعماق الريف . كانت رحلاتنا تتم عن طريق جمعية الأب شارل عيروت مؤلف كتابه

المشهور عن الفلاح . كان هذا الأب مستنيرا ومنقدما فى تفكيره . وكان يدير جمعيه المدارس المجانية فى مصر العليا ، ولهذه الجمعية فروع كثيره كنا ننزل فيها أنا وزميلتى الفنانه ميكائلا سميكة .

وفى اوقات كثيره بعد ذلك كنت اسافر وحدى عن طريق الجمعية وانزل فى فروعها بالصعيد . وهكذا زرت بلادا كثيرة منها جرجوس وابو قرقاص وقنا . وهى بلاد كانت جديدة على وذات شخصية رائعة .

الثورة . عهد جديد ورجال من نوع آخر

قامت ثورة يوليو اثناء وجودنا انا وحمدى فى سويسرا . كنا فى رحلة صيفية . وكنا اصلا نود السفر الى فرنسا . لكنى إكتشفت انى ممنوعه من دخول فرنسا منذ العام الماضى . وظل هذا المنع قائما حتى عام ١٩٦٦لم تكن لى علاقه معينه تبرر موقف الحكومه الفرنسيه منى . وفى محاولة للتعرف على الاسباب لم أجد إلا فرضين . الاول أن فرنسا تأخذ بالقوائم السوداء التى وزعتها المخابرات الامريكية بعد الحرب العالميه على حلفائها والدول التى تدور فى فلكها لكى يمنعوا الاشخاص المذكورين من دخول البلاد . أما الفرض الثانى فهو أن موقف

فرنسا اساسه الحمله القويه التى قمنا بها فى مصر لانقاذ المناضلة جميلة بوحريد اثناء حرب الجزائر التحريريه . وكنا قمنا بمظاهرة كبيره من أجل هذه البطله . وعلى كل حال يمكن أرجاع موقف فرنسا منى الى السببين مجتمعين .

كذلك حدث فى ١٩٥٣ موقف مضحك مماثل . كنت قررت الاشتراك مع مجموعة من الفنانين المصريين فى بينالى سان باولو فى البرازيل . فهو معرض عالمى مشهور يقام كل عامين . ولم يكن مطلوبا تواجد الفنانين باشخاصهم فى المعرض . المطلوب فقط إرسال اللوحات ، وفوجئت ان لوحاتى ممنوعه من السفر رفضت سفارة البرازيل استلامها اذن القائمة السوداء الأمريكيه محترمة جدا هناك فى البرازيل . ولحسن الحظ كان الفنان الكبير محمود سعيد احد المشتركين بلوحاته . ولما علم بالموقف منى طلب من السفاره البرازيليه بالقاهره أن تقبل لوحاتى وترسلها للمعرض بضمان منه شخصيا بأن لوحاتى لن تثير متاعب من اى نوع فى البرازريل . وقدم الضمان مكتوبا بالفعل .

نعود الى نبأ قيام ثورة يوليو . وكما قلت سمعنا به ونحن فى سويسراوعلمنا أن الثورة بادرت بالافراج عن كل الزملاء المعتقلين منذحريق القاهره . ومنهم اعضاء لجنه السلام المصريه

فخرج سعد كامل ويوسف حلمى ومحجمد على عامر وباقى الاعضاءكان خبر الثورة محيرا لنا . هذه هى المرة الأولى فى التاريخ -فيما أعلم - التى يطلق فيها على انقلاب عسكرى ، انه ثورة . فقبل عام ١٩٥٢ كانت الخبرة التاريخيه نقول ان اى انقلاب عسكرى هو لخدمة اليمن حيث يقمع الطبقات الشعبيه .

يبدأ بالغاء الدستور والبرلمان والأحزاب ، ويلقى الصحف ويصادر الحريات لصالح الطبقات المستغله.

وبالرغم من حماسنا فى البدايه أنا وحمدى للثورة ولخلع الملك للقضاء على الفساد والاستبداد ، إلا أن شكوكنا كانت كبيره وقد لعب السفير الاميركى دوراً فى تأمين خروج الملك فاروق وسفره الى اوروبا على اليخت المحروسة معززاً مكرماً .

وانتظرنا فى الخارج نترقب الموقف الذى ستتخذه الحركةالشيوعيه فى مصر وبخاصة منظمة حدتو (الحركة الوطنية الديموقراطيه) التى كنا اعضاء فيها . ثم ظهر أن موقف الحركة الشيوعيه عموما هو التأييد وأكثرهم تأيداً كانت حدتو .

بعد عودتنا لمصر فوجئنا بالاحداث تتوالى وخاصة اعدام العاملين خميس والبقرى اللذين تزعما اضراب عمال مصانع كفر الدوار من أجل مطالب نقابيه . زادت التحفظات والشكوك

عندنا بالنسبة لطبيعه النظام الجديد . وكذلك ازدادت شكوكنا فى بعض الاعضاءالقياديين فى منظمتنا (حدتو) بسبب تأييدهم الاعمى لحركة الضباط .

وقد انتهى بنا الحال الى ترك حدتو . فعلاً قدمنا استقالتنا فى نفس الوقت كنا نقرأ جريدة الرايه . وهى النشرة السريه التى كانت تصدرها منظمة اخرى هى الحزب الشيوعى المصرى . كانت الرايه تنفد بعنف الاجراءات الدموية التى ترتكبها الثورة ضد العمال وكانت تصف النظام بأنه الأنقلاب العسكرى المضلل لكسر الثورة الوطنية الديمقراطية التى كانت قريبة وعلى الأبواب اقتنعنا بما كانت تنشره الرايه فانضممنا أنا وحمدى الى الحزب الشيوعى المصرى (ح . ش . م) وكان الحزب بتمتع بنظام سرى حازم لضمان الأمان لا عضائه فى مزاولة العمل السرى . حتى أن أجهزة الأمن ظلت لعدة سنوات عـــاجزة عن معرفة من هـو الـسكرتير الـعام لمنظمة ح . ش . م . من هو الرفيق خالد . ثم اعتقدت خطأ انه هو اسماعيل صبرى عبد الله بينما الحقيقة انه كان فؤاد مرسى . ولا بد من القول ان النظام الحديدى كان يحد الى حد كبير بل ريعطل احينا العمل الجماهيرى بسبب القيود المفروضة على تواجد كوادر الحزب بين الناس .

هكذا تركنا نهائنا حدتو فى اكتوبر او نوفمبر عام ١٩٥٢

واصبحنا من الأعضاء النشيطين فى منظمة الحزب الشيوعى المصرى .

اسكندرية

عام كامل من السعادة والهدوء والتأمل

عرض الاستاذ مصطفى مرعى على حمدى أن ينتدبه للعمل لمدة سنة فى فرع إدارة قضايا الحكومة بالاسكندرية . تحمس حمدى وتحمست معه للفكره . وسافرنا . كان ذلك فى النصف الثانى من عام ١٩٥٣ . اننى عندما اتذكر ذلك العام الذى قضيناه فى تلك المدينة الجميلة أتذكر حلاوتها ولمساتها الفنية والجو الاسرى المشعشع بالألفه الحنون .

استأجرنا شقة على الترام بمنطقة بولكى بالرمل . وكنت أتابع عمال الترام من شرفتى وأرسمهم. شمس وفضاء ابيض رائق وبشر فى حالة تبتل فى العمل .

ورسمت أيضا لوحة شحاذ الاسكندرية . تلك اللوحة الغريبه التى رفض عرضها معرض جماعى فى نفس العام . كان السبب أن اللجنة المشرفه على الأختيار وجدت فى تعبير عينى الرجل العجوز خطراً والصوره تحرض على الثورة . . هكذا قالوا وتعرفت فى اسكندرية أيضا على حى الانفوشى . وهو حى

يستهوى أى فنان بمنازله القديمة وبشباك الصيد والزوارق والصيادين الذين يملأون الشاطىء . كنت ادهب لهذا الحى كل يوم لارسم . واقمت علاقات طيبة مع الصيادين فاحببتهم واحبونى ووجدت من بينهم شخصا يجسد . شكلة وبنيانه الشخصية المصرية ، كما أراها وجهه بارز ، جسم طويل قوى ، عيون سوداء واسعة ، وجنتان محددتان بارزتان ، فى وجه عريض قوى كان اسمه رمضان .

وذات مرة أحببت أن ارسم له بورترية فى ظروف أكثر هدوءاً . كنت دائماً ارسم فى الهواء الطلق بالانفوشى ، طلبت منه أن يأتى الى منزلنا ويالخيبة الأمل ، جاءنى وقد تخالص من ثياب الصيادين وارتدى ملابس افرنجية ، مسحت كل ما كنت اراه فيه ، وبذكاء اولاد البلد أدرك ذلك فى نفس اللحظة التى فتحت له فيها الباب ، رأى فى عينى احساسى بالخيبه فسألنى فى حرج ما اذا كان اخطأ فى شىء ، وحتى لا اسبب له احراجاً ادخلته البيت ورسمت له بورتريه جاء على غير ما ينبغى ،

جاء متكلفاً فقررت أن اذهب إلى منزله ، حذرنى اصحابى من الذهاب إلى منزل صياد بالأنفوشى . لكنى لم أهتم

ذهبت فوجدته وزوجته وابن وسيم له يسمونه « زوبة »

توقيا للحسد ورسمت لهم صورة عائلية ناجحة عزيزة جداً على نفسى .

فى الأسكندرية كانت الفرصة لابداع فنى جديد وجميل ، الفرصة لحياة عائلية حميمة وأليفة أيضاً .

كانت اختى بولى قد عادت منذ فترة من باريس

ونم زواجها من اسماعيل صبرى عبد الله عام ١٩٥١ بعد ما عاد من بعثته فى فرنسا حاملا شهادة الدكتواره بامتياز فى العلوم الاقتصاديه .

وعين مدرسا فى كلية الحقوق بجامعة اسكندرية . اقامت اختى بولى مع زوجها فى اسكندرية . فكنا طبعا نتقابل كثيرا وتوثقت علاقاتنا العائلية . وكذلك علاقتنا الفكريه والرفاقيه . فقبل اسكندريه كنت اعرف اسماعيل من لقاءات سريعه وعابره فى باريس . وبالاختلاط به بعد زواجه من اختى الحبيبة اكتشفت فيه الشخصيه القوية الجذابه مع ثقافه واسعه وشامله وذكاء سياسى فائق واخلاص لمبادئه ومعتقداته اخلاصا كاملاً .

وفى اسكندريـه النقيب أيضا باختى زهره . هى اختى من ابى . لم نكن التقينا بها من قبل لا ننا كنا نعيش مع أمنا وهى تعيش مع أمها . وتقاليد عائلتها نختلف عن تقاليدنا . كانت زهره

اصغر منى بأثنى عشر عاما . وحين كبرت ارادت أن نتعرف علينا وأسعدنا هذا جداً . واختلطنا الاختلاط العائلى . ولما واجهتها مسألة الزواج قررت أن نتبع طريقتنا فتتزوج بمن تحبه ولاترضخ للطريقةالتقليدية . وقد تزوجت مهندسا شابا نابها كان يعمل فى بلدية اسكندرية وانجبت منه حسين وانجى . كان لدى اختى زهره ميول فنيه واضحه وتتلمذت على الفنان الكبير سيف وانلى واشتركت بلوحتها فى عده معارض جماعيه فى الاسكندريه وفى القاهره . لكنها لم تستطيع التفرغ للابداع الفنى لكثرة مسئولياتها العائلية . وكانت مصيبتنا كبيره أن خسرناها . كانت حياتها قصيره . ففى عام ١٩٧٧ توفيت فى حادث سياره مروع قضى على الاسرة الصغيره ، عليها وعلى زوجها ومعها ابنتهما انجى . أما ولدهما حسن فقد كتب له القدر السلامه ليكون خلفا لخير سلف .

الى القاهره وموجة الاعتقالات .

انتهت مدة السنة التى ندب فيها حمدى للعمل باسكندريه . وككل وقت جميل مضى بسرعه . وعدنا للقاهره . كنا قد تركنا شقتنا بجاردن سيتى لما ذهبنا لاسكندرية حيث اقمنا تلك السنه . فى تلك الايام كان سهلا أن تغير المسكن لكثرة الشقق المعروضه للايجار . وفكرنا ان نستأجر فيللا. لكن حمدى لم يوافق .

قال ربما يتم اعتقاله لأن الظروف مضطربه . فتصبح الوحدة همّا ثقيلا على أنا وأمى وحدنا فى الفيللا الواسعه . ويكون هو فى حالة قلق علينا من جهة الأمن . وهكذا اقمنا مع أمى فى شقتنا القديمة بشارع شامبيلون . وبدأت الاحداث كأن حمدى كان يقرأ الغيب .

ففى شهر نوفمبر ١٩٥٤ – فى نفس السنة التى عدنا فيها من اسكندرية طرق زوار الفجر الباب . وقبضوا على حمدى .

كنت احمل هم أمى التى نعيش معها من وقع المفاجأة عليها فهذه أول تجربة لها حيث يدخل البوليس بيتها ويقبض على واحد منا .

اجرت القوة تفتيش البيت واستمر هذا التفتيش فترة كانت ثقيلة وطويلة طبعا . وكنت انا فى حالة قلق لأنى لاأعرف من المقصود منا . أنا أم حمدى . وكان حمدى يعانى نفس الشعور .

فى النهاية لم أطق صبرا . سألتهم من يريدون بالضبط . قالوا باستغراب الاستاذ محمد محمود ابو العلا طبعا . قلت أنا أعرف ذلك لكنى فقط أسأل فربما لا تكونوا تعرفون الاسم بالضبط .

استراح حمدى لأنه كان يخشى أن يكون الأمر بالعكس .

وكان حمدى يحب الأداب ويحب مكسيم جوركى كثيرا . لهذا كان يضع صورته فوق مكتبه . وكثيرا ما كانت أمى تقول له اخفى هذه التهمه .

واثناء التفتيش سأل الضابط صورة من هذه ؟ فأجاب حمدى هى صورة جدى . وبقيت الصورة على المكتب .

كان القبض على حمدى سببه الانتماء لمنظمة الحزب الشيوعى المصرى . وأودعوه سجن القناطر حيث أمضى فيه سنتين تحت التحقيق . وكان الموقف جديدا على وكان صعبا . ولكنى كنت أحس بأن الايام القادمة ستكون أصعب . فالمواجهة الحقيقة مع العهد الجديد قد بدأت .

وشعرت اننى دخلت فى امتحان مع نفسى ومع نوع الحياة التى اخترناها نحن الاثنان . والجميل اننى لم اشعر بالندم للحظه واحده . بل العكس فقد جعلتنى هذه التجربة اشد حماساً وصلابة لدرجة لم أكن أتصورها . كما انها دعمت حبى واحترامى لحمدى بلا حدود .

نظام الزيارات فى سجن الرجال بالقناطر كان زيارة كل أسبوع من وراء الأسلاك . وزيارة خاصة كل شهر تتم فى حجرة المأمور . ورأيت سجن القناطر لأول مرة . ولم يكن بخطر على

بالى انى سأمضى فى سجن النساء المجاور عدداً من السنين

كنت افتقد حمدى كثيرا كما كان هو يفتقدنى فكنا نكتب خطابات جميله لبعضنا . وكان قلقه وخوفه من القبض على يشغله كثيراً وكان هذا يزول مع زيارتى له ثم يعاوده بعد إنهاء الزياره ويلازمه حتى الزياره القادمه .

وفى تلك الأيام كان القانون يسمح للمحبوس احتياطيا بتلقى المأكولات والكتب والصحف . وهذا ما لم نعرفه فيما بعد عند اعتقالنا عام ١٩٥٩ . كانت الثورة قد الغت هذه الحقوق .

لم تتوقف حملة الاعتقالات وشملت عددا كبيرا من المثقفين التقدميين وغيرهم من المناضلين . كما أن عام ١٩٥٥ شهد جملة اعتقالات اخرى وقبض على اسماعيل صبرى هذه المرة

فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٤ نقل اسماعيل صبرى من جامعة اسكندرية لجامعة القاهره . حيث عمل مدرساً للاقتصاد فى كلية الحقوق .

واستأجر اسماعيل شقة صغيره فى الزمالك حيث أقام فيها هو وزوجته .

حدث فى يونيه عام ١٩٥٥ أن صدر قراران جمهوريان

القرار الأول بقضى بانتداب الدكتور مراد غالب وكان استاذا

مساعداً بكلية طب اسكندريه ، بانتدابه مديرا للأدارة السياسية في مجلس الوزراء.

أما القرار الثانى فكان يقضى بانتداب الدكتور اسماعيل صبرى مديرا للأدارة الاقتصادية والمالية لرئيس الوزراء .

والقراران صادران من جمال عبد الناصر .

وكان هو أيضا رئيس الوزراء .

كان هذا فى الصباح .

فلما حل المساء اصدرت النيابة قراراً بالقبض على اسماعيل بتهمة انه الرفيق خالد ، سكرتير منظمة الحزب الشيوعى المصرى . وعلى عكس ما جرى مع حمدى والزملاء الأخرين ، فقد اختفى اسماعيل ولا أحد يعلم اين هو . وعلمنا فيما بعد أنه كان فى السجن الحربى يتعرض لتعذيب وحشى .

فى يوم القبض عليه اخبرتنى امى ولم تكن تعرف بالخبر ، أن اختى بولى مريضة . ولا تستطيع مغادرة بينها وانها طلبتنى تليفونيا عدة مرات . فى هذا الوقت كانت امى متزوجه من على بك راتب عضو مجلس النواب سابقا . تزوجته بعد أن كبرنا ولم يعد من حقوق أبى حرمانها من حضانتنا . وكان على راتب فى باريس للعلاج من مرض فى القلب .

فى ذلك اليوم ايضا كانت امى قد تلقت من باريس مكالمه لكنها قطعت فلم تعرف امى من هذه المكالمة شيئا . اتجهت امى بفكرها الى زوجها الذى كان تحت العلاج واصابها القلق على صحته . فلما كلمت اختى فى التليفون كانت أمى تتابع كلامى مصغيه جداً لردودى وهى متخيلة أن بولى إنما الحت فى طلبى تليفونيا بخصوص اخبار على راتب ولا تريد أن تعرفها أمنا . لم تدر أمى إن اختى تحدثنى عن زوجها اسماعيل وكيف قبضوا عليه ليلا بعد تعيينه مستشاراً للرئيس عبد الناصر .

كانت اختى بالفعل تخفى شيئا ولكنه خاص باسماعيل . كانت مشفقة على أمى من وقع الخبر خصوصا وأن زوجى حمدى مسجون هو الآخر ..

وكان على أثناء المكالمة أن أرد بشكل لاتفهم أمى منه ماحصل كان الموقف مربكا بالنسبة لنا جميعا .

ذهبت مساء الى اختى لأسمع القصة بتفاصيلها . وفى الصباح ورد خبر وفاة زوج أمى فى باريس . وتعقدت الأمور . إذ

كيف سنعلل غياب اسماعيل عن مراسم الجنازة والعزاء ؟

وانطلقت الكوميديا من قلب المأساه .

استجمعت شجاعتى وقررت أن اتكلم بصراحه .

كانت امى ممزقه من الحزن والقلق . ولكنها تتصنع التماسك وكانت تردد انها سنة قظيعه لأن حمدى فى السجن وزوجها مات فقلت لها .« البقية تأتى » ارتعدت وقالت يا ساتر استر .

كل هذه المصائب ولها بقية . ايه الحكايه . . تكلمى . . قلت لقد قبضوا على اسماعيل . فقالت المسكينه اسماعيل من ؟

لم يخطر على بالها قط انه زوج بنتها . ذلك ان اسماعيل لم يعرف أحد عنه ان له اهتمامات سياسية . لم يكن يتحدث مطلقا فى السياسة . أمام أحد . على عكس حمدى الذى كان يجاهر برأيه فى كل مكان .

وكانت أمى المسكينه طوال العام الذى مضى منذ القبض على حمدى حريصة على اخفاء هذا الخير لكى لا يعرف أحد من المعارف والأصحاب به . لأنه عيب ! لكن حمدى غائب . وتزايدت شكوك الناس حتى ظنوا انى انفصلت عنه . ودفعنى هذا طبعا أن اصارح .

قلت لأمى حمدى ليس مجرما وانما هو صاحب رأى ويضحى لخير المجموع .

وما كاد الناس يستوعبون القبض على زوجى حتى مات زوج امى وحضر الناس للعزاء وتساءلوا اين اسماعيل وعرفوا بخبر

القبض عليه هو الأخر . كان الموقف بالنسبة لأمى خاصة فى منتهى الصعوبة . كان مأساة من نوع المسرحيات المضحكة السوداء .

BIACKHUMOU.R.

مساه بدت اسرتنا لأصدقاء ، والدتى كما لو كانت أسرة من الشياطين . ولن انسى ابدا نظراتهم لى . كانت نظرات اتهام . تقول لى اننى سبب كل المصائب .

فى أول زياره لحمدى بعد هذه الأحداث وجدته يعرف خبر الوفاة لأنه قرأ النعى . لكنه لم يعرف خبر القبض على اسماعيل . طبعا محظور النشر . فأخبرته بالكارثه .

كانت سنة فظيعه حقا كما قالت أمى . كانت اخبار اسماعيل مقلقة جدا لنا بعد أن عرفنا انه فى السجن الحربى حيث يجرى تعذيبه .

وسمعة السجن الحربى كانت مشهوره فى فنون التعذيب المقتبسه من معتقلات هتلر . حاولنا كثيراً مساعدة اسماعيل . وبعد مساعى كثيره استطاعت بولى مقابلة زكريا محى الدين وكان وزير الداخليه . وقد فرحنا لانه استجاب لرجائهم واستطاع ان ينقل اسماعيل من السجن الحربى الى سجن القناطر .

تحمل اسماعيل بشجاعة نادرة التعذيب فى السجن الحربى ولم يعترف بشىء . لم يقل من هو (الرفيق خالد) . والمباحث لم نتعرف على شخصية خالد الحقيقة - الدكتور فؤاد مرسى إلا بعد أن تمت الوحدة بين المنظمات الشيوعية عام ١٩٥٨ . الأمر الذى يدعو للأسف

كانت قضية حمدى واسماعيل هى قضية منظمة الحزب الشيوعى المصرى . وتولى الدفاع فى هذه القضية محامون كبار منهم الاستاذه مصطفى مرعى ووحيد رأفت ومحمد عبد الله . وفى المحكمة خلع اسماعيل صبرى ثيابه كاشفا آثار التعذيب فى مختلف اجزاء جسمه .

وحكمت المحكمة ببراءة المتهم الأول اسماعيل والمتهم الرابع حمدى .

اكتملت سعادة العائله بالافراج عنهما فاكتمل شملنا من جديد وغمرتنا فرحة كبرى افتقدناها من زمن طويل .

بعد تأميم القنال

اللجنة المصرية نرسل وفداً للمجلس العالمى للسلام .

من الصعب وصف شعورنا وانفعالنا ، حمدى وأنا ، حينما سمعنا صوت عبد الناصر فى الراديو وهو يعلن تأميم قناة

السويس . هذا القرار التاريخى العظيم الذى توج سياسة عبد الناصر الوطنية التحريريه .

كان أول فعل فى اللجنة المصرية لأنصار السلام هو مبادرة جريئة فقد قررنا إرسال وفد للدعاية لقضيتنا الى فينا حيث المقر المركزى لمجلس السلام العالمى فى ذلك الوقت . ليقوم هذا الوفد من خلال المجلس العالمى وبمساعدته بتببيه الرأى العام العالمى وتحذيره من بوادر عدوان استعمارى على سيادة مصر بعد قرار تأميم القناة . ولأول مرة كنا نسبق الأحداث بأن نكشف المؤامرة ونعمل لمنع وقوعها .

وفى اغسطس ١٩٥٦ سافر وفد كبير إلى فينا كان على رأسه كامل البندارى باشا ويضم الوفد سيزا نبراوى ولطفى الخولى وعبد الرحمن الخميس والدكتور محمد غالى وأنا . اجتمعنا بسكرتارية المجلس العالمى للسلام واقنعنا الرفاق بضرورة القيام بحملة واسعه لتأييد حق مصر المشروع فى التأميم . واصدرنا بيانا هاما عن عدالة قضيتنا ومحذرين من العدوان على مصر ، وأذكر أننى فى ذلك الوقت وجدت نفسى اقرأ كثيرا عن قناة السويس والقانون الدولى والمعاهدات حتى أفهم مشكلة القناة من كافة وجوهها لأكون قادرة على الدفاع عن حق مصر فى التأميم وأنا فى بلاد بره .

وبعد انتهاء المهمة فى فينا عاد الوفد الى مصر . وبقيت أنا حيث سافرت الى روما تلبية لدعوة لجنة السلام الايطالية للقيام بالدعاية لقضيتنا .

ونظمت لجنة السلام الأيطالية مؤتمراً صحفيا بنادى الصحفين فى روما لأتحدث أنا فيه . ورأس المؤتمر النائب الاشتراكى البارز لومباردى .

حضر المؤتمر عدد كبير من الصحفيين الأيطاليين والأروبيين ، وغالبيتهم من الاشتراكيين والشيوعيين والباقى من الراديكاليين . وقد لفت نظرى انهم لم يكونوا على علم بحقيقة المشكلة وبطبيعة السلطه الوطنيه فى مصر . كان الرأى العام متأثرا بحملة الدعاية الاستعماريه التى كانت تصور عبد الناصر على أنه ديكتاتور ظالم وفاشستى . قام بنهب قناة السويس منهم بقرار التأميم الغير مشروع . . . الخ .

واعترف اننى قبل حضور المؤتمر كنت خائفه ومرعوبه بمظنة عدم قدرتى على الرد على اسئلة الصحفيين . كنت قد أعددت بيانا عن حق مصر المطلق فى التأميم من الناحية القانونية والسياسية كما تضمن البيان شرحاً لسياسة . عبد الناصر الخارجية المبنيه على التحرر والاستقلال والسلام .

واستطيع القول بأنى نجحت فى هذا المؤتمر واجبت بحرارة على جميع الاسئلة حتى المحرجة منها مثل كيف تفسر قيام الحكومة حسب قولك - بسياسة وطنية تحريرية فى الوقت الذى تقضى فيه على الشيوعيين وهم من أخلص وانشط العناصر الوطنيه ؟

كان ردى على هذا السؤال أن التناقض الذى يشير الية السؤال حقيقة واقعه . وانه تناقض بين السياسة الخارجيه والسياسة الداخلية . ويمثل نقطة ضعف خطيره تهدد انجازات عبد الناصر وتضعف بلا شك الجبهة الداخلية . . .

وحدث أنى لما عدت لمصر أرسلت لجمال عبد الناصر نسخة من المحضر لما جرى بالكامل فى المؤتمر الصحفى . وقد تلقيت من عبد الناصر الرد وكان بالشكر والتقدير .

بعد أيام قليلة - وأنا ما زلنا فى روما علمت بنبأ سحب فرنسا لمرشديها من القناة . فأدركت أن الحرب على وشك الوقوع .

وخشيت ان تحدث وأنا فى الخارج فلا استطيع العودة للوطن فركبت أول طائرة الى مصر . كان هذا فى نهاية شهر سبتمبر ، اى قبل العدوان بشهر واحد فقط .

فى ذلك الوقت وصل الى القاهره الفنان المكسيكى والمعروف ديفيد الفاروسيكايروس ، وكانت تصاحبه زوجته . كنت قد تعرفت على هذا الفنان الكبير فى حفل عشاء فى روما . وسرعان ما انبهرت من شخصيته الجذابة القويه . وعرفت انه منا ضل قديم فى حرب تحرير المكسيك وانه عضو قيادى فى الحزب الشيوعى المكسيكى . اقترحت عليه أن يزور القاهرة .

وعرضت عليه مساعدتى عندما يأتى لبلدى . جاء الفنان الكبير لمصر ليقوم بعمل صحفى أساساً . هو تغطية الأحداث بعد تأميم القناة . وقد مر الشعب المكسيكى بأحداث مشابهة حينما قام بتأميم البترول . والفنان سيكايروس أحد مؤسسى واقطاب المدرسة المكسيكية للتصوير الحائطى . تلك المدرسة الشهيرة فى تاريخ الفن المعاصر التى صورت وسجلت على جدران مبانى المكسيك روائع انجازات الشعب ونضالة البطولى من أجل الاستقلال والحريه . وقد اشترك معه فى تأسيس تلك المدرسة فنانان أخران هما دييجودى رفيرا وأروسكو .

لقد بذلت جهدى فى تيسير مهمته الصحفية فى مصر واكرمته هو وزوجته . وبالطبع شاهد لوحاتى وصورى الفنية . وقد كتب تقييما وتحليلا مختصراً لهذه اللوحات . وقد نشرت ما

كتبه الفنان الكبير كمقدمة لكتالوج معرضى الذى اقمته بعد ذلك فى مارس ١٩٥٩.

العدوان والأيام المجيده

فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ حدث العدوان الثلاثى على مصر . ثلاث دول منها دولتان عظيمتان ، تتآمر وتعتدى على دولة صغيرة ذات سيادة وتاريخ عظيم ! على أى حال لم يكن هذا بمستقرب من اسرائيل ربيبة الاستعمار ودولة الصهيونيه والعنصرية التوسعيه . لأن اسرائيل كانت تسعى ليلا رنهاراً للقضاء على ثورة يوليو . وحينما القى عبد الناصر فى الأزهر خطابه النارى المشهور التهب الشعب كله حماساً واشتدت وحدته فاصبح يدا واحدة تريد الدفاع عن الوطن .ولأول مرة فى التاريخ قامت الحكومة بتوزيع السلاح على الشعب وكونت كتائب الفدائيين ولجان المقاومة الشعبيه . وقد شاركت فيها جميع قيادات الحركة الوطنيه والتقدمية والشيوعيه . وقد تولى كمال رفعت ولطفى واكد قيادة عدد من الكتائب على خط القناة .

أما زوجى حمدى الذى كان ضابط احتياطى فقد تطوع فوراً فى جيش التحرير الوطنى واصبح قائداً لمعسكر المقاومة الشعبيه فى حى الجمالية ، تحت قيادة سيد زكى القائد العام للمنطقة .

وهو الآن أمين الحرفيين .

أما عن نفسى فقد أسرعت للتشاور مع سيزا نبراوى التى توثقت العلاقة بيننا نتيجة العمل الدائم المشترك والتفاهم الذى كان يجمعنا بشكل كامل وعجيب . . فسيزا كانت تتمتع بحس سياسى وطنى . بالأضافة الى ذكائها الحاد وشجاعتها الكبيرة واستعدادها الدائم للعطاء والتضحيه .

وعلى الفور بادرتا باعادة تكوين اللجنة النسائيه للمقاومة الشعبيه .

على أساس انها هى التنظيم القادر على تعبئة النساء وتوحيدهن وتوعيتهن للوقوف ضد الأخطار التى تهدد الثورة وتهدد الوطن .

وقد ساعدتنا الظروف هذه المرة على إعادة تكوين اللجنه ولكن بشكل موسع حيث ضمت ١٨ لجنة فرعية فى مختلف الاحياء الشعبيه بالقاهره والجيزه . وكانت تعمل بالتعاون مع اللجان العامه للمقاومة الشعبيه ومع معسكرات التدريب التى انشأتها الحكومة بالقاهره وفى أنحاء مصر كلها وخصوصا فى خط الدفاع الأول ، فى الزقازيق ومنطقة القناة . الجدير بالذكر أن مجموعة الرفيقات والقيادات النسائيه اللاتى سبق أن عملن معنا

فى المناسبات السياسية والوطنيه ، هن أنفسهن اللاتى قدن من جديد وبحماس وجديه ، العمل فى اللجان النسائيه للمقاومة الشعبيه . ويمكن القول أن هذه اللجان كانت شكلا من أرقى أشكال التنظيم الجماهيرى التى عرفتها مصر فى تلك السنوات .

اللجنة العليا للمقاومة النسائيه الشعبيه .

تم تكوين هذه اللجنه العليا بالانتخاب ، وضمت أساساً مندوبات اللجان الفرعية فى الاحياء الشعبيه بالأضافة إلى بعض الصحفيات والشخصيات النسائيه العامه المتحمسات للعمل معنا فى المقاومة .

وأذكر من هذه الشخصيات چاكلين خورى وسعاد زهير وسعاد منسى وعايدة فهمى النقابية .

وتمت الموافقة بالأجماع على أن ترأس اللجنة العامه سيزا نبراوى .

وكانت اللجنة العليا تقود العمل النسائى الشعبى كما كانت جهاز التنسيق بين مختلف اللجان الشعبيه فى الأحياء

أما عن نفسى فلم يقتصر دورى على العمل فى اللجنة العامه بل قمت بتكوين لجنة نسائيه فى حى الجمالية . وكما ذكرت من قبل ، كان زوجى حمدى هو قائد معسكر اللجنة العامة للمقاومة

الشعبيه فى حى الجمالية . وطبعا كان التعاون بينى وبين حمدى قائد المعسكر وكذلك بيننا وبين سيد زكى قائد عام منطقة الجمالية ، كان التعاون كاملاً ومستمراً للغايه .

الأمر الذى ساعد على أن تكون لجنتى من انشط لجان القاهره . فقد كانت فرصتى للعمل مع بنات حى الجمالية كبيره جداً . وقد بدأنا بتنظيم دورات تدريبيه لتعليم المبادىء الأولية للتمريض والاسعافات السريعه .

كما جرى تدريبهن على حمل السلاح واستعماله . كما اننا تمكنا من توعيتهن سياسيا واجتماعيا بالأخطار التى تهدد الوطن والثوره . وكشفنا أطماع اسرائيل واهداف العدوان الغاشم .

لم تكن لجنتى ـ لجنه الجمالية – هى اللجنة الوحيده المتميزه فى نشاطها ففى هذا المقام أذكر لجنة المقاومه النسائيه فى حى الدرب الأحمر ، وكانت تعمل بالتعاون مع علوى حافظ قائد المعسكر فى الحى .

واذكر أيضا لجنة الجيزه وكانت تجمع عدداً من الزميلات منهن الزميلة ثريا ابراهيم وكانت اللجنه تنشط بالتعاون مع قائد معسكر المنطقة أبو الفضل الجيزاوى .

أما فى الأقاليم فقد برزت لجنة شبين الكوم بقيادة الرفيقة

وداد مترى التى كانت تعمل فى ذلك الوقت مدرسة فى شبين الكوم(١) .

---

(١) كانت وداد مترى مدرسة بمدرسة شبين الكوم الثانوية للبنات . وهى كما قالت (زميلة كفاح وصديقة لأنجى) وقد قامت بتكوين لجنة شبين الكوم . وكانت لجنة لمحافظة المنوفية وليس لعاصمة المحافظة وحدها . وكانت وداد هى رئيسة هذه اللجنة . وفى نبذة عن اللجنة كتبت تقول أن من ابرز أعمال اللجنة ما يلى :

* اعداد مركز للخدمة العامة والتعبئة الشعبية .
* اعداد الندوات والمحاضرات للتوعية .
* التشجيع على التطوع فى الهلال الأحمر والتمرين بالمستشفى على أعمال الأسعاف والتمريض .
*المعاونة فى استقبال المهجرين من مدن القناة وتسكينهم وصرف المستلزمات السريعة لهم من ملابس وبطاطين واغذية وأدوية .
* تنشيط الجهود الذاتية للتبرع باعانات مالية لحساب المهجرين . وتحديد الاعانات بعد عمل الدراسات الإجتماعية والقيام بصرفها للمستحقين .
* القيام بحملة جمع تبرعات من التجار ومن المؤسسات .
* القيام بحملة لحث المواطنين على التبرع بالدم واستقلال مدارس القرى فى ذلك . وكانت فى المقدمة مدارس مليج وكفر المصالحة وسرس الليان .
* كذلك نشطت اللجنة فى تنمية الوعى الانتخابى بعد ان نالت المراة هذا الحق . وكانت محافظة المنوفية فى طليعة المحافظات فى عدد السيدات المقيدات بجداول الانتخاب .

وقدمت لنا السيده وداد صورا فوتغرافية لثلاث مطبوعات اصدرتها اللجنة. الأولى طلب للقيد بجداول الانتخاب تملأه الطالبة وتقدمه . الثانية نداء بحث المواطنات على القيد بالجدول . . لا تترددى . . وإلى الأمام . .
وعاشت مصر خالده . اما الثالثة فنداء لإيقاف التجارب الذرية . عاش كفاح الشعوب الحره . عاشت الانسانية المناضلة من اجل السلام .

الرأى العام وموقفة من العدوان .

أثار العدوان الغادر على مصر ضمائر الشرفاء فى العالم فإشتدت حملة الاحتجاج القوى ضده . ولم يقف الأمر عند حد الأحتجاج والأدانه ، بل اتخذت حركة الرأى العام أشكالا جديدة للتعبير عن موقفها والتضامن مع الشعب المصرى . فبدأت حركة اعداد المتطوعين للمساعده . وكذلك لارسال وفود التأييد والتضامن معنا . يضاف لذلك تضامن العالم الاشتراكى وو قوفه بجانب مصر . وكلنا يتذكر انذار بو لجانين الشهير الذى كان له وقع الصاعقه على المعتدين كذلك قدمت البلاد الاشتراكية معونات استهلاكية متنوعه وكان من اهمها القمح ومعلبات الغذاء والصابون وخلافه .

كل هذا كان له الأثر الأكبر فى ترجيح كفة مصر وتوقف القتال تنفيذا لقرارات مجلس الأمن ثم انسحبت قوات الغزو وصفى العدوان نهائيا .

اما الاتحاد النسائى الدولى الديمقراطى فكان فى طليعة المنظمات الشعبيه العالمية التى وقفت مع مصر وكان من اكثرها نشاطا وفاعليه .

فقد عبأ هذا الاتحاد كافة اعضائه من المنظمات النسائية فى

مختلف بلاد العالم للعمل من أجل دحر العدوان كما قام بتكوين لجنة لتقصى الحقائق حول القظائع التى ارتكبها المعتدون . وكانت اللجنه الدولية مكونة من أربعه سيدات برئاسة السيده الأيطالية انجلا منيلا السكرتيره العامه للاتحاد النسائى الدولى ، وهى فى ذلك الوقت نفسة نائبة فى البرلمان الأيطالى . اما عضوات اللجنة الأربعه فاحداهن من اللجنة الهنديه والثانيه من لجنة فنلندا والثالثة من لجنة رومانيا أما الرابعة فمن لبنان .

قامت السيده سيزا نبراوى بصفتها رئيسة اللجنة النسائيه للمقاومة الشعبيه بتوجيه الدعوة لهذة اللجنة الدولية لزيارة مصر . وتمت هذه الزيارة فى المدة من ٢٠ الى ٣٠ من يناير ١٩٥٧ وتكونت منا لجنة لاستقبال ومرافقة الضيوف . وكنت انا عضوة فى هذه اللجنه .

وسافرت اللجنة الى بورسعيد لمعاينه آثار الحرب . واتذكر جيداً كيف كان تأثير الزيارة عليهن لدرجة الصدمة حينما شاهدن المنطقة القريبة من ساحل البحر وتمثال دليسبس المحطم ملقى على الأرض بفعل الجماهير الغاضبه . ولاشىء إلا الحطام والدمار والموت . وقد التقى الوفد بعدد كبير من اعضاء الجميعات النسائية والقيادات الوطنيه من مختلف الاتجاهات .

وقرب نهاية زياره الوفد نظمت اللجنة النسائية للمقاومة الشعبيه فى الجمالية ، وهى اللجنة التى كنت أتولى مسئوليتها ، نظمت مؤتمراً شعبيا كبيرا لتكريم أعضاء الوفد ولأظهار التضامن والوحده والاصرار على تطهير الارض من العدوان . نجح هذا المؤتمر نجاحا ساحقا وكنا قد بدأناه باطلاق سرب من الحمام رمزاً للسلام والصداقه .وقد أصدر الاتحاد النسائى الدولى الديمقراطى عدداً خاصا من مجلته « نساء العالم » تحت عنوان مقابلة مع نساء مصر .

حيث نشر تقرير لجنة تقصى الحقائق كاشفا عن الفظائع والتدمير الذى أحدثتة الحرب بالنسبة للمدنيين .كما تضمن اعلان تضامنهن الكامل مع شعب مصر الباسل نساء ورجالا . ودعوتهن نساء العالم للوقوف مع مصر .

الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية .

فى أول يناير ١٩٥٧ اعلن جمال عبد الناصر الغاء اتفاقية الجلاء المبرمه بين مصر وبريطانيا عام ١٩٥٤ وزاد بذلك حماس الناس لمقاومة الانجليز فى بورسعيد .

وثم اعادة تنظيم القوى الوطنية المتناثره كما تم ربط كفاح الجماهير بالجيش . وفى هذه الظروف تكونت الجبهة المتحده

للمقاومة الشعبية ببورسعيد وضمت الجبهة اعضاء اللجنة العليا للمقاومة الشعبيه وممثلين من الجيش . وبدأت عمليات عسكرية منظمة قام بها رجال من فرق الصاعقة الأبطال . كما توالت اعمال بطولية من الفدائيين ضد قوات الاحتلال .

الأنذار السوفيتى .

وأثناء المقاومه الوطنية ضد المعتدين فى بورسعيد اعلن الاتحاد السوفيتى انذاره الشهير والمعروف باسم من أعلنه – انذار بولجانين – اصدر الزعيم السوفيتى بولجانين الانذار لانجلترا وفرنسا واسرائيل بسحب قواتها من الاراضى المصرية وإلا . . هدد طبعا باستخدام القوة ضد دول العدوان .

فعل الاتحاد السوفيتى ذلك بعد ان استنفذ كافة الوسائل القانونية . من خلال مجلس الامن والامم المتحده لوقف العدوان والانسحاب وعدم نجاح المساعى الدبلوماسية رغم صدور قرار هيئة الأمم.

كان للأنذار السوفيتى وقع الصاعقة على دول العدوان . وقد نصحت الولايات المتحده دول العدوان يأخذ الانذار مأخذ الجد . وبذلك توقف العدوان وتم الانسحاب وساعد على ذلك قوة التضامن العالمى من جانب الشعوب المحبة للسلام مع مصر

وشعرنا بحلاوة الانتصار والثقة فى المستقبل .

ولكن سرعان ما تغير الحال فقد بدأت الحكومة عملية سحب السلاح من يد الشعب واغلاق مقرات لجان المقاومة الشعبية .

اغلقت لجاننا فى الاحياء الشعبيه كما اغلقت لجان الأقاليم .

وكذلك لجنة القياده . اللجنه النسائيه العليا للمقاومة الشعبيه برئاسة سيزا نبرواى . مرة اخرى وجدنا أنفسنا فى الشارع بدون تنظيم . لكننا كنا قد تعلمنا كثيرا وخرجنا من تجربة المقاومه المثمرة والغنية بخبرة واسعه فى العمل الجماهيرى وفى كيفية التعامل مع الناس البسطاء ، مع سيدات وصبابا هذه الاحياء الشعبية الفقيره . فمن تلقاء انفسهن تطوعن أثبتن قدرتهن على العمل الوطنى السياسى والاجتماعى ، كما أثبتن استعدادهن للاستجابة الفورية لنداء الوطن .

حقا أسعدنا ان نكتشف الكنوز المدفونه فى وجدان المرأة المصرية المقهورة تحت وطأة الظروف الاجتماعية والأقتصادية البالغة الصعوبة والتخلف . . وعرفنا كيف يمكن إيقاظها وتحريكها لكسبها الى صف الحركة النسائيه الوطنية وضمها الى قوى التقدم والتحرر . وفى الوقت نفسه استطعنا أنه نوسع

دائرة تعاملنا مع النساء وأن نكسب ثقة قيادات نسائيه جديدة . ذات نفوذ هام فى ميدان العمل الاجتماعى والسياسى . لقد انكسرت لديهن نهائيا عقدة الخوف من العمل مع النساء التقديمات وعقدة (بعبع) الشيوعية وذلك بعد هذه التجربه المتميزة الناجحة فى المقاومة الشعبية .

ومن هذه القيادات النسائية البارزة التى توثقت علاقتنا بهن فى فترة المقاومـة الدكتوره حكمت أبوزيـد والسيـده نفيسـه الغمراوى والسيدة عزيزه رضوان والسيده خيرية شيرين. .

وسنرى فيما بعد كيف استطعنا أن نتعاون فى العمل فى عدة مناسبات هامه .

نساء مصر تستنكرن موقف درية شفيق

فى يوم ٧ فبراير ١٩٥٧ - وكانت اسرائيل لاتزال تحتل أرض سيناء ، اصدرت دريه شفيق بيانا حرصت على توزيعه على وكلات الأنباء العالميه . وتركت بيتها وتوجهت الى سفارة الهند طالبة منها الحماية وقررت الاضراب عن الطعام حتى الموت . أما طلباتها فكانت قسمين . قسم موجه للسلطات الدولية ، والأخر موجة للسلطات المحلية أى المصرية . طلبت من السلطات الدولية

أولا العمل على انسحاب القوات الاسرائيلية فوراً من الاراضى المصرية . وثانيا الوصول الى حل عادل ونهائى لمشكلة اللاجئين الفلسطنين .

أما طلبها من السلطات المحلية فكان رد الحريه التامه للمصريين جميعا رجالا ونساء وإنهاء الحكم الدكتاتورى الذى يسير بالبلاد الى الافلاس والفوضى .

وقالت درية شفيق فى بيانها مانصه « انى اذ أقدم على التضحية بحياتى لتحرير بلادى اتحمل وحدى مسئولية هذا العمل .»

وقد انهت الاضراب حتى الموت بعد ٤٨ ساعة فقط حيث سارعت بعدها الى مستشفى مورو لأخذ حقن جلوكوز ثم رجعت الى بيتها . ولم نتخذ الحكومه ضدها أى اجراء . لكننا علمنا فيما بعد انه صدر قرار بتحديد محل اقامتها فى بيتها وانتهزت وكالات الانباء فرصة هذه المسرحيه لزيادة حملة الهجوم على مصر الوطنية مدعية أن المرأه المصرية ضد الثورة وضد الحكومة الوطنية . . .

لقد صعقنا من هذا الموقف الخطير للزعيمه درية شفيق وخصوصا لأنها كانت تتحدث باسم المرأة المصرية - دون ان

يفوضها أحد بذلك ، وفى الوقت الذى لايزال العدو يحتل أرضنا .

وبعد مشاورات سريعة تمت بينى وبين سيزا نبراوى وچاكلين خورى ، بادرنا بكتابة بيان جعلنا عنوانه :

نساء مصر يستنكرن بيان دريه شفيق . وجمعنا على هذا البيان توقيعات عدد كبير من قيادات الجمعيات النسائيه والشخصيات المستقله . وقد وزعنا هذا البيان فى مصر وفى الخارج على أوسع نطاق .

وكان تقديرنا أن درية شفيق قامت بهذه العمليه فى ذلك الوقت بالتحديد لأنها كانت تعتقد أن نظام عبد الناصر على وشك الأنهيار والسقوط بانقلاب عسكرى مضاد ، كما كانت تحلم اسرائيل والاستعمار . وأنها بالتالى ستصبح بطلة

لكن ردنا بالبيان الذى اصدرناه كان قويا وحاسما . وأذكر هنا بعض فقرات من بياننا ، واسماء السيدات اللاتى وقعن عليه وطبعا كانت أغلب التوقيعات عن اقتناع وحماس .(١)

الأشتراك فى الانتخابات لأول مرة .

أعطى دستور ١٩٥٦ للمرأة حقوقها السياسة كاملة . فالأول

---

(١) لم نعثر على البيان .

مرة تقرر حق المرأة فى ان تنتخب وأن تُنتخف . لكنه لم يكن الزاميا بل كان اختياريا ولايزال كذلك حتى اليوم . فعلى المرأة ان تقوم بقيد إسمها فى جداول الانتخابات حتى تتمتع بهذا الحق ومع ذلك كان هذا بلاشك انتصاراً كبيراً للمرأة المصرية ، توج سنوات طويلة من الكفاح لنيل حقوقها السياسية كاملة .

ولقد تنبهنا على الفور لنقطة الضعف فى هذا القانون وهى إن الحق أختيارى . للمرأة واجبارى للرجل . الأمر الذى يمكن ان يؤدى الى عدم اشتراكها فى الانتخابات بسبب عدم وعيها السياسى الكافي من ناحية ، ولعدم معرفتها بنص الدستور على وجوب القيد فى الجداول كشرط للممارسة من ناحية أخرى .

لذلك بادرنا بتكوين « اللجنة النسائية المؤقته لنشر الوعى الانتخابى .» برئاسة سيزا نبراوى . وأنشأنا عددا كبيرا من الفروع فى الاحياء الشعبية لتقوم بدور التوعية ونشر الوعى الانتخابى بين النساء كيما يقمن بقيد اسمائهن فى جداول الانتخاب . واصدرنا بيانا :

وقد استطعنا ان نقنع المسئولين فى اقسام البوليس فى عدد كبير من الأحياء بتخصيص اماكن خاصة لاستقبال افواج السيدات اللاتى كن ندفعهن دفعاً للقيام بهذا الواجب . وقد نجحنا فى هذا نجاحاً عظيما .

فدفعنا اعداداً كبيرة من النساء (الشعبيات وغير الشعبيات لقيد الأسماء وكانت هذه خطوة أولى على طريق توعيتهن بواجباتهن السياسية استعداداً لخوض أول انتخابات تجرى بعد قيام الثورة)

وقررنا ان نخوض هذه الانتخابات بترشيح المناضلة سيزا نبراوى فى حى مصر القديمه .

لم نرشح سيزا فى دائرتها الاصلية - المعادى - حيث محل إقامتها . والسبب فى ذلك أن الدكتور عبد المنعم القيسونى رشح نفسه فى دائرة المعادى . فأدركنا ان الدائرة ستكون مقفولة عليه ولا فائدة من منافستة فيها . وشجعنا على اختيار دائرة مصر القديمة لسيزا أن الدائرة قريبة من مقر الاتحاد النسائى المصرى وكنا نعمل من خلال لجنة الشابات بالاتحاد فى هذا الحى عملا اجتماعيا ولنا ركائز فيه .

كذلك فدائرة مصر القديمة كانت معروفه بأنها دائرة وفدية ، وبالتالى فهى تتعاطف مع أى معارضة ولا تتعاطف مع الحكومه ، وكانت البداية فى الشقة الصغيره التى تسكنها الدكتورة حكمت أبوزيد فى شارع محمد الصغير . وذلك قبل أن نستأجر شقة كمقر انتخابى لسيزا . وقد فوجئنا بالتقسيم

الجديد للدائرة . فاصبحت تضم لأول مرة مناطق لم تخطر لنا على بال . كحى الأمامين والتونسى . وهذه المناطق كانت تتطلب منا ان نتعامل مع الحانوتية والتربية فى حى الأموات . كذلك ضمت منطقة فم الخليج حيث عمال المدابغ .

وقد عاوننا فى هذه الحملة الانتخابية الناجحة عدد من الشخصيات العامه والزملاء والزميلات المؤيدون جميعا لنضال سيزا نبراوى . . . منهم المرحوم ابوبكر سيف النصر ونبيل الهلالى المحامى وفتحى رضـوان وچاكلين خورى وحكمت أبوزيد . . .

وقد قدمنا برنامجا انتخابيا تحت عنوان « ثلاثون عاما من الكفاح الوطنى ترشح زينب الشهيرة بسيزا نبراوى لعضوية مجلس الأمه ، عن دائرة مصر القديمه . كان البرنامج يحتوى على عدة بنود :

١- حماية وتدعيم الاستقلال الوطنى والسلام العالمى .

٢ - استكمال تحرير الاقتصاد الوطنى وتطويره لتحقيق الرفاهية للشعب .

٣- رفع مسترى معيشة الشعب فى المدن والريف .

٤- ضمان الحريات الديموقراطية .

٥- حقوق المرأة والطفل .

كان مرشح الحكومة المنافس لسيزا هو الأستاذ احمد سعيد مذيع صوت العرب المشهور . وكان لا يتردد فى استعمال كل الطرق والاساليب ضدنا . فمرة يطلق اشاعة ان الشيوعيين الحمر يريدون الاستيلاء على الحكم من وراء سيزا نبراوى .

ومرة يقول اننى قتلت أحد اطفال الحى بسيارتى السيتروين السوداء التى كنت استعملها فى الحملة الانتخابية . وغير ذلك من الاشاعات لتخويف الناخبين .

على اى حال كان احمد سعيد متخوفا جداً من منافسته سيزا . فقد استطعنا أن نكسب انصاراً كثيرين وتعاطف الناس معنا . كما تنازل عدد من المرشحين منهم الطحاوى ، التربى المشهور ، لصالح سيزا ، وساعدنا هذا على اقامة سرادق كبير فى حى الأمامين حيث خطب عدد كبير تأييد السيزا .

وحينما اتذكر هذه الايام الملبئة بالحيوية والنشاط لا يفوتنى أن اذكر مخاوفى ايضا . فقيادة السيارة فى مدينة الأموات وبين القبور الكئيبه كانت عملية صعبة ومخيفة بعض الشىء ولكن كان لا مفر منها . فكنا أنا والزميلات نستجمع شجاعتنا لنخاطر مادمنا قررنا دخول هذه المعركة الهامه . . .

وفى النهاية فى يوم الانتخاب – منعت الحكومة كل مندوبينا من دخول اللجان الانتخابية ، كما قبض على المحامين الذين كنا بلغناهم بعملية التزوير الواسعة فتحركوا سعيا لاثباتها وكشفها . وهكذا نجح مرشح الحكومة .

وبالرغم من خيبة الأمل التى اصابتنا بشكل عام واصابت سيزا نبراوى بشكل خاص ، فقد كانت هذه التجربة مفيده وناجحة إلى اقصى حد ، لأنها علمتنا كيف نتعامل مع الجماهير ، وفى النهاية كانت معركة سياسية من نوع جديد أضافت لتجاربنا وخبراتنا اشياء كثيرة ثمينه ونافعة .

الدكتور عبد العظيم أنيس والمبيت فى القسم .

كان الدكتور عبد العظيم انيس مرشح اليسار فى دائرة الوايلى .

وهو أحد الوجوه البارزة للحركة التقدمية فى مصر . كما انه صديق حميم ورفيق ممتاز.

وكان مكتسحا بشعبيتة الواسعة فى دائراته . وقبل يوم الانتخاب بأيام قليلة طلب منى ان أساهم معه فى حملته الانخابيه وذلك بالقاء كلمة فى السرادق الكبير الذى اقامه فى ميدان الوايلى للدعايه .

وعلى الرغم من خوفى وخجلى المعهود من عملية القاء الخطب ، وافقت تحت الحاج حمدى وتشجيعه . وكان حمدى منذ خروجة من السجن شعلة من النشاط لايهدأ .

وحبنما ذهبنا أنا وحمدى وجدنا سرادقا ضخما مكتظا بالرجال والنساءيسوده نظام عظيم اشرف عليه الرفاق بانضباط شديد هائل . وكنا ندرك جيداان الحكومه لاتريد النجاح لعبد العظيم أنيس ولكنى اعترف اننا لم نكن نتوقع ان تصل الحكومه إلى ما وصلت اليه لأفشال الاجتماع . فبينما كان كل شىء يسير كما كان مخططا له وبحماس شديد من الجمهور . وفى ختام الخطبة الملتهبه التى القاها الشاعر عبد الرحمن الخميسى ، وفى لحظه بداية القائى لكلمتى تساقطت الكراسى فوق رءوس جمهور الناس الجالسين . مقاعد القيت من سطح مبنى يطل على السرادق مكون من ستة أدوار . فبدأت الناس تجرى وتصرخ مستنكرة وهالعة فانهالت عليهم قوات البوليس ضربا بالعصى الغليظه . سالت الدماء وحدثت اصابات كثيره وقبض على كثير من الأنصار .ولكننا ، حمدى وأنا ، استطعنا ان نهرب من السرادق واختفينا فترة بين سلالم العمارات المجاوره ... ثم توجهنا الى سيارتنا.وياللمفاجأة ، وجدناهم قد افرغوا عجلات السيتروين الاربعة من الهواء . حقا كم كان تفكيرنا ساذجاً وكيف

كانت يقظتنا الثوريه مخدرة بفعل الديموقراطيه المؤقته السائده . فبدلا من ان نترك السياره ونمضى فى طريقنا مسرعين ، وقفنا نستنجد فى الشارع ونحتج ضد من قاموا بهذا التخريب . وتقدم أحد الضباط متسائلا أ أنت محمد محمود أبو العلا صاحب السيارة ؟ فأجابه حمدى بنعم .

واذا بعشرة على الأقل من المباحث ينقضون على حمدى ضربا بوحشية ورحت انا اصرخ صرخات هستيريه طالبه النجده لحمدى ، وحمدى يكاد يموت من ضربهم .. وفجأة ظهر ضابط كبير فاستنجدت به صارخة انهم يقتلون زوجى . فاهتم الضابط بكلامى وسألنى بأدب . اسم حضرتك ايه ؟ وبنفس السذاجة قلت له اسمى فرد قائلا عال عال . نحن نبحث عنك . لدينا امر بالقبض عليك . والقوا بى فى سيارة البوليس وكانت بها سيدة هى الاخت الكبيره للدكتور عبد العظيم حيث قبضوا عليها هى الأخرى .

وانطلقت السيارة الى قسم الوايلى ، وأنا لازلت فى هيجانى أصرخ واشتم من شدة قلقى على حمدى . وفى القسم وجدت عدداً كبيرا من الرفاق من أنصار عبد العظيم ، مقبوضا عليهم . والحمد لله وجدت حمدى بينهم سليما . وبقينا طول الليل ننتظر التحقيق . ومن المضحك ان التهمه التى وجهت للدكتور

عبد العظيم هى الاعتداء على الناس الحاضرين فى سرادقه . إى انه متهم بالأعتداء على انصاره ! كما ان وكيل النيابه الذى حقق معنا اكتشف أن زوجته حضرت هى ايضا الاجتماع وشاهدت كل شيء . فى فجر اليوم التالى تم الافراج عنا وحفظ التحقيق . واتذكر أن الدكتور فوزى منصور والاستاذ كامل زهيرى كانا ضمن المحامين الذين حضروا معنا التحقيق فى قسم البوليس .

الى الاسكندرية للراحه .. ولكن .

خرجنا من معركة الانتخابات متعبين جدا . وخاصه حمدى . فمنذ خروجة من السجن فى شهر يونيه السابق ، لم ينقطع عن النشاط السياسى . وذلك بجانب عمله الرسمى حيث كان محاميا بإدارة قضايا الحكومه (هيئة قضايا الدولة حاليا) . اقترح حمدى ان نسافر الى الاسكندرية اياما لنستريح . كنت مترددة فى السفر بسبب كثرةمسئولياتى فى لجنة التنسيق من أجل الوحدة التى كانت على وشك التما م . كان حمدى فى حاجة شديدة للراحه واصر على السفر اصرارا عجيبا ولم يكن مستعدا للمناقشة فى ذلك . وقرر أن ننزل فى فندق البحر الأبيض - المديترانيه - وهو الفندق الذى قضينا فيه شهر العسل عقب زواجنا مباشرة . الفندق فخم وغالى ولم يكن يلائم ميزانيتنا المحدودةحينئذ . لكن حمدى أصر على النزول فيه وكأنه كان

يريد أن يعيد الأيام الأولى لحبنا . وأمام هذا الاصرار العنيف العجيب شعرت شعورا غامضا بمدى احتياجه للأنفراد بى بعيدا عن كل ما فى القاهره من عمل وروتين .

استلفت من ماما المبلغ المطلوب لهذه الرحلة وسافرنا الى الاسكندريه . ولكن بعد اقامتنا الجميله لمدة يومين فقط جاءنى تليفون من القاهره للعودة فوراً لحضور اول اجتماع وحدوى يتم بين اللجنتين المركزيتين . اللجنة المركزيةللحزب الشيوعى المصرى . واللجنه المركزية للحزب الشيوعى الموحد . وهو الذى كان قد نشأ باتحاد منظمه حدتو مع بعض المنظمات الشيوعيه الصغيره . وطبعا كان حضورى هذا الأجتماع هاما جدا لسببين . سبب سياسى هو ضرورة حضور كل الأعضاء للمشاركة فى الدفاع عن وجهة نظرنا الحزبية عالى اكمل وجه . وسبب شخصى يتعلق بى فعدم حضورى هذا الاجتماع الهام للوحده سيثيرتساؤلات كثيره عن مدى جدية اعضاء اللجنه المركزية ذات الأصول الطبقيه البرجوازيه الكبيره أمثال محمد سيد أحمد وأنا ...

أصر حمدى على عدم سفرى اصرارا قويا كإصراره السابق علس حضورنا للأسكندريه .

وبعد مناقشه جاده عنيفه لم تحصل مثلها من قبل بيننا ،

استطعت أن اقنعه بالموافقه على سفرى فى الصباح على أن أعود فى أخر النهار ، فى الليل بعد الأجتماع .

يا إلهى .. كم كان يخشى الفراق بيننا ويخاف الوحده . شعور لا يعرفه إلا من يحس بغريزته انه لم يبق له فى هذه الدنيا إلا أيام قليله .

سافرت صباحا الى القاهره وحضرت أول اجتماع للوحده ، وانا فى حاله قلق وتوتر شديد . وعدت لاسكندريه فى الليل كما وعدت حمدى .

كنت اتمنى أن أخرج من هذا الاجتماع بقرار إعفائى من عضوية اللجنة المركزيه الجديدة . لكن طلبى لم يقبل . واستمرت عضويتى فى اللجنه حتى تمت الوحـــــدة الكاملة فى ٨يناير ١٩٨٥ . كانت هذه المسئولية الثقيلة التى تحملتهامنذ ١٩٥٥ تخلق احيانا وضعاً غير سليم وتوترا بينى وبين حمدى ، مما يعكر الجو فى المنزل . ان تصعيدى لعضوية اللجنه المركزيه وضعنى طبعا فى مركز هام تنظيميا وسياسيا . لكن هذا حصل نتيجة أوضاع غير طبيعيه ، وغير متكافئة من حيث الأحقية . لأنه حصل حينما كانت اغلبية اعضاء اللجنه المركزية فى السجن ، وحمدى الذى كان عضو منطقه ولم يصل لعضوية اللجنة

المركزية كان ايضا فى السجن ففاتته فرصة التصعيد لعضوية اللجنه وكان يستحقها طبعا . كنت دائما - وبعد خروجه من السجن ، أشعر بعدم عدالة هذا الوضع وأنا مدركة إدراكا كاملاً لمدى قدراته وكفاءته السياسيه والنضاليه العالية ، والتى لاتقل بحال من الأحوال عن قدراتى بل كانت تفوقها فى كثير من الاحوال . كنت اشعر بظلم هذا الوضع بالنسبة لحمدى .عدت الى الاسكندرية لنكمل شهر العسل الجديد ... واستطعنا أن نخطف من الزمن القصير لحظات رائعه نادرة مليئه بالسعادة وصفاء النفس . ولكن كان على بعد بضعة أيام أن أعود إلى القاهره لقضاء عدة اشياء ضرورية على أن أرجع لاسكندرية بسرعه ومعى النقود الازمه لنا لأن مامعنا كان قد نفذ واصبحنا عاجزين عن سداد مستحقات الفندق .

فجأة - وانا فى القاهره - دق جرس التليفون . وجاء الخبر المفجع من اسكندريه . حمدى اصيب بانفجار فى الشريان ونزيف فى المخ . ويرقد فى مستشفى المواساة .

وعلى الفور أخبرت ماما واختى بولى وزوجها اسماعيل واستأجرنا سيارة سافرنا بها ليلا إلى لاسكندريه . وفى الفجر كنا فى المستشفى . بعد بضعةساعات من وصولنا رحل حمدى والى الأبد كان رحيله . كان هذا الحدث فى شهر يوليه ١٩٥٧ .

اربعة وثلاثون سنة عاشها حمدى ... حقا حياته كانت قصيره . لكنها كانت مليئه بالحب والعطاء والتضحية لمبادئة . حياته كانت ثرية الى اقصى حد لكنه كان يعيشها كل يوم وكأنه اليوم الأخير له فى الدنيا .

كان دائما على عجله من أمره وليس أمامه الوقت الكافى ... كأن قلبه يشعر بما ينتظره من المجهول .

ودعنا حمدى ... وبقى عندى معلقاً سؤال ملح ومقلق .. كيف يموت حمدى وهو فى عنفوان شبابه ؟ لم أغب عنه سوى يومين أوثلاثه ، فكيف مات ؟ وماسبب وفاته ! هل السبب يتصل بضرب رجال المباحث الوحشى له فى ليلة السرادق الذى اقامه الدكتور عبد العظيم أنيس للدعاية الانتخابيه . فقد حدثت الوفاة بعد خمسة عشر يوما فقط من تلك الليله .

لقد طلبت من إسماعيل أن يقوم بتحريات دقيقه عن خط سير حمدى وهو بمفرده فى الاسكندريه . ثم كيف وصل الى المستشفى وهو فاقد الوعى . كانت الشكوك تنهال على فربما انفرد به رجال المباحث مرة أخرى ...

قام اسماعيل فعلاً بتحقيق دقيق لخطوات حمدى الأخيره فى الأيام الثلاثه التى كان فيها وحيدا. وكانت النتيجه سلبيه

فزالت كل الشكوك والظنون التى كانت تؤرقنى كما قرر الأطباء أن أسباب الوفاة ترجع لمرض حمدى المزمن بالكلى . مما تسبب عنه الارتفاع المفاجىء فى ضغط الدم وانفجار شريان المخ .

والحياة تستمر ..

حاولت ان أتخطى صدمة موت حمدى العنيفه بمزيد من الانغماس فى العمل .

ففى رأيى ان العمل هو القادر وحده على مساعدة الأنسان على النسيان ، وتعويضه الى حدما عن الشىء الغالى والنادر الذى فقده فى غمضة عين ..

فاستغرقت نفسى من جديد فى العمل الفنى . أن الخلق الفنى هو نوع من الولادة اليوميه ، فيه كل انواع السعادة والنشوة كما ان فيه المعاناة والعذاب الذى يجده الانسان فى الحب الكبير .

بعد وفاة حمدى تركنا انا ووالدتى شقة شامبليون القديمة لنسكن الشقه الجميله الواسعه التى استأجرناها فى الزمالك . كنا قد وافقنا أنا وحمدى على ان نعيش مع والدتى فى مسكن واحد بشرط أن تكون الشقه كبيره وأن تحتل والدتى جناحا وأقيم انا وحمدى فى الجناح الأخر . وعلى هذا الاساس استأجرنا الشقه

الجديده . وقد إستغرقت عملية تنظيم الشقه ودهانها زمنا طويلا لدرجة أن صبر حمدى نفذ من طول الانتظار . وهدد حمدى والدتى - قبل سفرنا الأخير الى اسكندريه - هددها بأننا سنسكن فى الشقه الجديده حـــالا وقبل تمام تشطيبها .

ولكن القـدر شــاء أن نسكنها أنا ووالـدتى وحـدنا وبـدون حمدى ...

ومن المميزات العديده لهذه الشقه اننى - لأول مرة فى حياتى أتمتع بمرسم خاص واسع وفخم ينزل عليه الضوء الطبيعى من كافة الجهات كما انه يتسع لتخزين اللوحات العديده التى انتجها . وكنت قد أنجزت فى المرحلة الماضيه عددا من اللوحات ذات الموضوعات السياسيه والقوميه تعكس المرحلة الوطنيه العظيمة التى عشتها وشاركت فى احداثها فى عامى ١٩٥٦و ١٩٥٧ ، منها لوحة بورسعيد التى فازت بجائزة فى صالون القاهره الذى خصص لموضوع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٧، وكذلك لوحة ترحيل المعتقلين اليساريين الى الواحات وقد غيرت اسمها حينئذ فاسميتها الندابات . وقد فازت هذة اللوحة فى صالون القاهرة لعام ١٩٥٨ . واتذكر اننى لم احضر افتتاح الصالون لعام ١٩٥٧ ظنا منى ان لجنة التحكيم لن تعطينى جائزه بسبب اتجاهاتى السياسيه . لكنى فوجئت ليلا بمن

يخبرنى اننى فزت بالجائزة الأولى . أما لوحة المقاومة النسائيه الشعبيه ، وهى عزيزة على جداً ، فانها تعبير عن استيقاظ الشعور الوطنى عند المرأة الشعبيه ، ومشاركتها فى المعركه لأول مره اشتراكا فعليا .

وكنت فى نفس الوقت اذهب كثيرا الى ميناء مصر القديمه وهو الذى يستقبل المراكب القادمه من الصعيد محملة بالمحاصيل المختلفة المتنوعه ومنها القصب والتين الذهبى والفخار والبطيخ والشمام ... الخ .

كنت أحمل علبةالوان الزيت وكل لوازم الرسم والتقط حركتهم ومجهودهم فى عز العمل والنشاط .

ومن اروع الرحلات الفنية التى اتذكرها ، والتى أنجزت فيها مجموعة من اللوحات الهامه عن الصيادين والبحر ، رحله بلطيم ، التى قمت بها مع الفنان بورشار سميكه فى سبتمبر ١٩٥٨ . كان قد انتهى موسم الصيف فى بلطيم ، فكنا نستمتع بهدوء كامل على طول الشاطىء الصافى .

أما من الناحيه السياسيه فكانت سنه ١٩٥٨ تتميز بنشاط مكثف فى الحقل النسائى شمل ميادين متنوعه وهامه . فكان الاحتفال لاول مرة بالثامن من شهر مارس وهو عيد المرأة

العالمى . وكانت الحمله الواسعه لانقاذ جميله بوحريد بطلة الجزائر الثائره . كما كان تاسيس الجمعيه النسائيه القوميه ، حصيلة لنضالنا طوال خمسة عشر عاما .

الاحتفال بعيد المرأة العالمى لأول مرة .

الثامن من مارس هو يوم المرأة العالمى ، هو رمز كفاح المرأة فى جميع انحاء العالم . ومنذ مدة طويله ، اى منذ عام ١٩٥٦ ونحن نجاهد لجعل هذا اليوم عيدا معترفا به فى مصر ، تحتفل به رسميا نساؤها ، ويرفعن فيه صوتهن عاليا لابراز اهم مطالبهن جنبا الى جنب مع ملايين النساء فى انحاء العالم . ولكن لماذا الاحتفال بهذا اليوم بالذات ؟

لهذا اليوم قصة يرجع تاريخها الى عام ١٩٠٨ . فى ٨ مارس من ذلك العام ثارت عاملات النسيج فى الولايات المتحده الامريكيه احتجاجا على اوضاعهن الظالمه ، وطالبن بتحسين ظروف العمل والاعتراف بحقوقهن المشروعه .. كانت ثورتهن من القوة والتصميم بحيث هزت الرأى العام الامريكى والعالمى هزه كبيرة ادت الى اتخاذ القرار بتخليد ذكرى ذلك اليوم .

واصدر هذا القرار مؤتمر نسائى عالمى انعقد فى كوبنهاجن ، فأصبح اليوم رمزا لنضال المرأة من اجل حقوقها ومن اجل الدفاع

عن السلام.

فى ٨مارس استطعنا أن نقيم احتفالا كبيرا فى نقابة الصحفيين.

وجعلنا شعاره يدور حول مولد الجمهورية العربيه المتحده وانقاذ جميله بوحريد فكان الشعار « المرأه العربيه تحتفل بمولد الجمهوريه وعيد المراة العالمى » وكان هذا هو عنوان خبر الاحتفال فى جريده المساء . وقد ابرزت الصحف اهمية هذا الاجتماع ونجاحه . قالت جريده الجمهوريه« نساء العرب يستنكرن المؤامرات الدنيئه لاعداء القوميه العربيه » وقالت الاهرام « المرأة العربيه تحتفل بعيد المرأة العالمى .

وفى مساء ذلك اليوم احتشد عدد كبير من النساءوالفتيات – اكثر من أربعمائه – فى دار نقابه الصحفيين فكان الاحتفال مظاهرة نسائيه عربية وطنية ضخمه.

بدأ الاحتفال بكلمة تحية للبطلة الجزائريه جميله بوحريد ، وقد القتها جاكلين خورى . وكانت نساء كل من الأردن والعراق وسوريا ممثلات فى الاجتماع حيث القت مندوبة عن كل منهن كلمة حماسيه .

ثم تحدثت الزميله عنايات أدهم وهى من المجموعة التقدميه ،

فعددت المكاسب التى يمكن أن تعود على المرأة من الوحدة ، ومن توحيد القوانين فى دولة الوحده . وفى الختام القت الدكتوره حكمت أبوزيد كلمة نيابه عن السيده سيزا نبراوى . فربطت كفاح المرأة فى الحاضر بكفاحها فى الماضى من اجل الحرية والعروبة والديموقراطيه . كما تكلمت عن الحملة من أجل وقف التجارب الذرية وحماية السلام العالمى ، وهى الحملة التى اشتركت فيهاالمرأة العربية اشتراكا مشرفا .

وهكذا اصبح هذا اليوم منذ عام ١٩٥٨ عيدا معترفا به كيوم أول مايو عيد العمال العالمى ، وتحتفل به المرأة المصريه فى كل عام .

سحب كثيفه تزحف على الساحه السياسيه .

عندما علمنا بأن المؤتمر الرابع لاتحاد النسائى الدولى الديموقراطى سينعقد فى فينا فى اول يونيه ١٩٥٨ ، سارعنا مع سيزا نبراوى بتكوين لجنة تحضيريه لهذا الموءتمر الهام ، لتعمل هذه اللجنة تحضيرا لاشتراك نساء أقليم مصر وتمثيلهن فى هذا المؤتمر على أوسع نطاق ممكن وللتعريف بأهدافه التى تخدم القضايا العربيه التحرريه ، وقضية المرأة العربيه المناضله من اجل المساواة ونيل كافة الحقوق .

اما الموضوعا ت الرئيسيه التى كان على المؤتمر أن يبحثها فهى مايلى :

١ – الاستقلال الوطنى والسلام العالمى .

٢ – حقوق المرأة والمساواة السياسيه ، وفى العمل والأجور . وقوانين الأحوال الشخصيه . وقوانين الملكيه . وحق المراة فى رعاية الأمومه والطفوله .

٣ – التعليم وضرورة اعداد المناهج التعليمية التى تكفل للطفوله والشبيبه تربية مشبعه بروح السلام والصداقة بين الشعوب .

وهذه مقتطفات من نداء اللجنه التحضيريه ، المنشور فى جريده الأهرام – عمود مع المرأة – فى مايو ١٩٥٨ :

« وسيكون المؤتمر منبرا دوليا عظيما لشرح قضايا الساعه التى تهم العالم العربى بشكل خاص وفى مقدمتها قضية الجزائر . وقضية فلسطين . وقضيةالوحدة العربية الشامله . »

« واللجنة التحضيرية للمؤتمر تدعو جميع المواطنات الى الاهتمام بهذا المؤتمر وأهدافه . وذلك عن طريق ارسال برقيات ورسائل التأييد للمؤتمر ولمطالب وفد الجمهورية العربيه المتحده فيه . »

وقد وقع عضوات اللجنة التحضيريه هذا النداء وفى مقدمتهن السيدات : زهرة رجب . زينب حسن . منيره عاصم ، مفيدة عبد الرحمن . سيزا نبراوى . عايده فهمى . ورفيقه غنيم .»

وطوال شهر مايو بذلنا نشاطا كبيرا وجهدا متواصلا للتحضير للمؤتمر .

وقد نشرت معظم الجرائد نداء اللجنة التحضيريه ، بعد مانجحنا فى استقطاب شخصيات نسائيه هامه حول الاشتراك فى المؤتمر وتأييد أهدافه .

وتكون الوفد المصرى برئاسة سيزا نبراوى .

ولكن فجأه جاء قرار المنع ... أصدره رئيس لجنة الشئون الخارجيه فى الاتحاد القومى (التنظيم السياسى للثورة فى ذلك الوقت .) وكان رئيس اللجنة ومصدر القرار هو انور السادات .

كان القرار بالمنع من السفر والاشتراك فى المؤتمر صدمه كبيرة . ولم تكن له مبررات أوأعذار .. وهكذا انتهى كل شىء .

من أجل إنقاذ جميله بوحريد .

كلنا نتذكر الحكم الظالم الذى صدر أثناء حرب التحرير الجزائرية باعدام المجاهده جميلة بوحريد . وذلك بعد محاكمة

صورية واعمال تعذيب وحشية قامت بها فرنسا ضد البطله الوطنيه المناضله من اجل الاستقلال .

لقد قامت حملة احتجاج عالميه هائلة من اجل إنقاذها . وهب الشعب فى مصر يشارك بقوة وحماس فى هذة الحملة لانقاذ جميله من الموت وقد نظمت جريدة المساء حملة واسعة لجمع الطلبات والتوقيعات المصريه لارسالها الى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحده داج همرشولد وأيضا الى الحكومة الفرنسيه . وقد شاركنا فى هذه الحمله وبذلنا جهودا ضخمه لأنجاحها .

كما نظمنا مظاهرة نسائيه عظيمة سارت من ميدان التحرير إلى مقرهيئة الأمم بجاردن سيتى حيث قدمنا احتجاجاً ضد الحكم وطالبنا بالافراج عنها فوراً . ولكن حدث بعد مرور بضع دقائق على بدء المسيره التى كانت فى منتهى النظام والانضباط ، ان تعرضت لنا قوات البوليس لمنع المظاهره وتشتيتها .. وازاء اصرارنا على المسيرة استخدم البوليس القوة والضرب ، فهرولت المتظاهرات جريا ووصل معظمهن الى حيث المقر بجاردن سيتى فدخلنه محتميات به . فحاصره البوليس من الخارج ثم اقتحم المكان وراح يضربنا بغير تمييز . وتعالت صرخاتنا وهتافاتنا « انقذ جميله ياهمشولد » عليك اللعنة يافرنسا » .

وقد نجحت أنا وبعض الزميلات فى الافلات من حصار

البوليس ، والاتصال تليفونيا بالاستاذ خالد محيى الدين حيث كان يرأس جريده المساء فى ذلك الوقت ، وطلبنا منه الاتصال بوزارة الداخلية لفك الحصار عن المتظاهرات واطلاق صراحهن .

ومن المفارقات العجيبة فى السياسة المصريه انه فى الوقت الذى كانت فيه الحكومه تضرب المظاهره النسائيه نشرت صحف الحكومة فى اليوم التالى خبر المظاهرة بأسلوب المباهاة والافتخار .

كان ما نشيت جريده الاهرام « الأمم المتحده تتدخل لأنقاذ جميله . ثورة فى جميع انحاء العالم ضد اجراءات فرنسا الوحشيه . مظاهرة نسائيه أمام مقر الأمم المتحده بالقاهره .» وجاء فى الخبر .. « خرجت سيدات مصر فى مظاهره ضخمة أمس ... من اجل انقاذ جميله ... الخ .

أما جريده المساء فقد قالت : « خرجت سيدات مصر أمس فى مظاهره ضخمة ... من اجل جميله بوحريد . الطالبه .. بنت البلد .. والأم التى تحمل طفلها ... والسيدة الحامل التى لاتقوى على المسير .. خرجن جميعا ليعلن على الملأ سخطهن على وحشية فرنسا .. وليضممن صوتهن للمجاهدة الجزائريه التى قررت فرنسا إعدامها . وفى مقر هيئة الأمم المتحده هتفت

المصريات يصرخن انقذ جميله ياهمرشولد . نحن فداء حريتك ياجميله .عليك اللعنة يافرنسا . كما كتبن برقية احتجاج الى سكرتير الأمم المتحده .. »

وشاءت الصدفة أن اشارك فى الحملة أيضا بفنى .

فقد طلب منى الأتحاد النسائى الدولى الديموقراطى ان اصمم رسما للمجاهده جميله لطبعه على كروت المعايده بمناسبه ٨ مارس ١٩٥٩ عيد المراة العالمى . وبذلك يساهم الاتحاد النسائى فى الحملة الى جانب مشاركته العظيمه الأخرى وقيادته للحملة العالمية لانقاذ جميله . وطبعت الكروت فعلا وعليها الصورة التى رسمتها من خيالى وإعتقد انها ناجحه لانها نابعه من حماسى الشديد . وكانت هذه الصورة تحمل توقيعى . وقد وزعت على جميع المنظمات النسائية المنضمه لعضوية الاتحاد فى شتى انحاء العالم .

ولكن يالعجائب الأيام .. فعندما وصلنا الى ذلك التاريخ .. مارس ١٩٥٩ كنت أنا قد أصبحت فى حالة غير طبيعيه.. كنت هاربه ومطلوب القبض على .. وكنت فى حاجة لحملة صغيرة لترفع الحكومه يدها عنى .. سأشرح ذلك فى موضعه فلا داعى لاستباق الأحداث !

أمل جديد . الجمعية النسائيه القوميه

نشرت جريدة الأهرام يوم ١٩٥٧/١٢/١٨ الخبر التالى :

الفت اللجنه النسائيه العامه للمقاومه الشعبيه لجنه متفرعه من اللجنة التنفيذيه لوضع مشروع برنامج ولائحه للهيئه النسائية الجديده التى قررت اللجنه انشأءها .

واخيرا وبعد هذه السنين الطويله من النضال الدءوب من أجل تكوين تنظيم نسائى ديموقراطى حقيقى ، استطعنا أن نكون الجمعيه النسائيه القوميه فى اواخر عام ١٩٥٧ تحت رئاسه السيده سيزا نبراوى .

واحب هنا ان اذكر القارىء ان تكوين هذه الجمعيه كان خلاصة وتتويجا للعمل النسائى والوطنى الذى بدأناه نحن النساء التقدميات والديموقراطيات منذ نهاية الحرب العالميه الثانيه ، اى منذ تكوين الرابطه المصرية لفتيات الجامعه والمعاهد .

وذلك فى نهاية ٣٩٤٥ . ومرورا بعدة لجان نسائه لم تعمر طويلا بسبب قرارات المنع أو الحل التى كانت تلاحقنا بها السلطه كلما انشأنا تنظيما نسائيا . وكنا ننتهز المناسبة لتكوين تنظيم جديد يحل محل التنظيم المصادر وذلك طبعا بقصد استمراريه الكفاح فى سبيل الاهداف النسائيه والوطنيه .

كانت اللجنه النسائيه العامه للمقاومه الشعبيه التى تكونت فى اعقاب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وتوقفت فى منتصف ١٩٥٧ بأوامر السلطه ، كانت هذه اللجنة العامه قد نجحت من خلال عملها فى جمع عدد كبير من الشخصيات النسائيه القديره التى تتمتع بالنفوذ الواسع والأحترام فى الحقل النسائى المصرى .

قوينا الأتصالات التى لم تتقطع مع هذه الشخصيات وامكننا إقناعهن بالاشتراك فى تكوين التنظيم النسائى المستقل والذى يمكنه بفضل مشاركتهن فيه الاستمرار فى العمل لقيادة حركة نسائيه ناجحه وبذلك نسد الفراغ الحاصل فى قيادة الحركة النسائيه فى تلك الفترة الهامه .

وقد وفقت الزميله الصحفيه جميله كامل فى بلورة هذه الفكره فى مقال نشرته جريده المساء يوم ١٩٥٧/١٢/٢٩ . وكانت الزميلة جميله من الشخصيات النشطه التى تعمل معنا . وتحت عنوان هيئة نسائيه جديده ، كتبت تقول :

«ومع كل هذا فان الحوادث الأخيره التى مرت بمصر أثبتت أن هناك فراغا فى قيادة الحركة النسائيه الشعبيه لم تستطع اية جمعيه من هذه الجمعيات ان تملأه . ومن ثم نشأت لجان نسائيه مؤقته مثل اللجنه النسائيه للمقاومه الشعبيه وغيرها من اللجان

التى كان دورها الرئيسى فى هذه الظروف هو توعية المرأه فيما يخص الشئون السياسيه .

واخشى مانخشاه ان تفتر حماسة القائمات على هذه اللجان بعد أن قل الخطر على البلاد وتتعثر هذه البدايه الحسنه التى تعتبر أولى الخطوات المجديه فى الطريق الصحيح والتى تحتاج المرأة الى عشرات غيرها فى كل الظروف . ان الذى نريده من الهيئة النسائيه الجديده ان تكون امتداداًوتدعيما لأعمال اللجنه المؤقته الموجودة الأن . فعلى هذه الهيئة أن تحول التنظيمات المختلفه الموجودة بالاحياء الى لجان دائمه تعمل على بحث مشاكل المرأة .

كان عدد العضوات المؤسسات ثلاثه وعشرين عضوة . وقد عقدن اجتماعا للنظر فى قانون الجمعية . وتم التصديق عليه . ثم جرى انتخاب مجلس إدارة الجمعيه المكون من ثلاث عشرة عضوة . وفازت كل من السيدات :

سيزا نبراوى . نفيسه الغمراوى . انجى أفلاطون . جاكلين خورى . وهؤلاء هن الحاصلات على اغلبية الأصوات أى ١٦ صوتا لكل منهن وكذلك فازت السيدات : زينب حسن . نيره محمود . عزيزه رضوان . عنايات أدهم . د. حكمت أبوزيد .

عايده فهمى . وفيقه غنيم . ليلى الخطيب . زكية الأمير .

وقد انتخب مجلس الادارة سيزا كاول رئيسه للجمعيه باجماع الاصوات .

وهكذا قامت الجمعية فى اوائل عام ١٩٥٨ ، وتم تسجيلها فى وزارة الشئون الاجتماعيه .

وقد حرصنا فى لائحة الجمعية على قواعد واسس الديموقراطيه ، التى غابت غيابا مطلقا من جميع لوائح الهيئات النسائيه الأخرى ، مما جعلها مقفوله على زعيمتها ومجلس إدارتها وحدهن . وجعلتها تدور فى حلقه مفرغعه ، ترفض الدم الجديد وتخاف من مبدأ الانتخاب أشد الخوف . أما جمعيتنا الجديده فقد نصت لائحتها على مجلس المندوبات ، وهو مجلس آخر بجانب مجلس ادارة الجمعيه ، مكون من المندوبات المنتخبات عن الفروع المحليه التى قد تنشأ ، وطبعا لابد من الفروع – فى الاحياء والمدن والقرى اوفى محل العمل ، والشرط الوحيد إلايقل عدد العضوات فى أى فرع عن عشر عضوات أما عن مجلس إدارة الجمعيه ، فقد نصت الماده الخمسين من الائحه على مايلى : تقوم المؤسسات باختيار اول مجلس ادارة مؤقت لهذه الجمعيه على ان يتم انتخاب مجلس الادارة التالى بعد انقضاء سنه من اختيار المجلس المؤقت الذى تسقط العضويه عن جميع عضواته .

وتتم انتخابات مجلس الادارة التالى بحسب القواعد المقررة فى هذا القانون .

وتنص الماده الثانيه والثلاثون على أن : تسقط العضويه عن ٧ من عضوات المجلس بعد مضى سنة على انتخابات اول مجلس ادارة بعد المجلس المؤقت ... وبذلك ارست هذه المادة قاعدة التجديد النصفى فى كل سنه ويوضح ذلك مدى رغبة الجمعيه فى توسيع التمثيل للقاعده الواسعه حتى تستطيع ان تشارك بالفعل فى القيام بالمسئوليه وبالقياده .

كذلك بدأت الجمعيه نشاطها بارسال خطابات دوريه الى الجمعيات النسائيه المصريه لتختار كل جمعيه مندوبتين اثنتين لتكونا حلقه الاتصال مع جمعيتنا حتى يتم التعاون والتنسيق للمصلحه العامه . كذلك ارسلت الجمعيه خطابات إلى جميع المنظمات المشابهة فى العالم لتخطرها بأهداف الجمعيه واوجه نشاطها وبالعنوان وذلك لايجاد الصالات والتعاون .

واصدرت السيده سيزا نبراوى رئيسة الجمعيه النسائيه القوميه بيانا بمناسبه الذكرى العاشره لاغتصاب فلسطين أعلنت فيه مشاركه سيدات . ج ع م (مصر) لشعب فلسطين فى احساسه العميق بالجرح الدامى ، كما اكدت التضامن معه

لتحقيق أمله الجديد فى العودةوالتحرر . وقد نشرت جريده المساء فى ١٩٥٨/٥/١٥ هذا البيان تحت عنوان « حداد وأمل »

كان من حقنا – بعد طول المعاناة – ان نفرح بالنجاح الذى حققناه وبالأمكانيات العظيمه التى اصبحت متاحة لنا ، بعد تسجيل الجمعيه وتحقق الشرعيه القانونية لعملنا ، وتجاوب الجمعيات النسائية معنا والترحيب الذى قوبلت به جمعيتنا من الجمعيات النسائية العالمية .

لكن الفرحة لم تدم وتمتعنا بها لم يكتمل لقد تسلمنا برقيه من وزارة الداخليه تخطرنا « بحظر نشاط الجمعية لأسباب متعلقه بأمن البلاد »

وفى اعتقادى أن هذا الحظر المفاجىء الذى وقع على رءوسنا كالمطرقه لم يكن غريبا على طبيعة السلطه الحاكمه ، ولاعلى الحكومة الوطنيه التى كانت حينئذ مصابه بمرض مزمن خطير هو عدم الثقة بالناس والخوف من أية استقلالية فى المنظمات الجماهيريه والنقابات المهنية . هذا المرض جعل السلطه المصابة به تتآكل من الداخل وتتفتت رويدا رويدا ... لدرجة انها إنهارت امام اول ضربة وجهت اليها ولم تستطع أن تصمد امام الثورة المضادة فيما بعد :

ولا شك أن هذا الاجراء التعسفى الذى اتخذ ضد الجمعية النسائية القومية دون ادنى مبرر ، والذى جاء بعد منع سفر الوفد النسائى المصرى الى مؤتمر الأتحاد النسائى الدولى الديموقراطى فى فينا ، هذا الاجراء التعسفى كان يمهد لحملةالاعتقالات والأرهاب الواسعه لليسار المصرى ، والتى شملت لأول مرة السيدات الى جانب الرجال فى فجر السنة الجديده ١٩٥٩

حملة الاعتقالات ١٩٥٩

الإعتقالات التى جرت سنة ١٩٥٩تمت على دفعتين . الحملة الأولى كانت فى أول يناير . أما الثانية فتمت فى ٢٧ مارس . ومن الطبيعى أن ترتبط الحملة فى ذاكرتى بليلة رأس السنه . فقد احتفلت بها مع أصدقاء عديدين وفى اكثر من مكان . فى تلك الليلة عدت الى منزلى قرب الفجر . وفى الصباح ، فى الساعة الثامنة من أول يناير نهضت من الفراش على صوت اختى بولى تنادينى ، وتستحثنى على النهوض بسرعة ، وكانت فى حالة نفسية سيئة للغاية حيث قبض على زوجها الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله . قمت مسرعة الى التليفون للاتصال ببعض الزملاء لمعرفة ماذا حدث بالضبط .

ولكن كانت جميع الخطوط التليفونية التى لجأت اليها

مقطوعة . ذهبت الى نادى الجزيره وقابلت خالد محيى الدين ، وكان معه بعض الاصدقاء اليساريين .

وعلمنا أن عددا كبيرا ممن نعرفهم قد تم القبض عليهم . فأدركت مدى خطورة هذه الحملة وانها قد تكون أقوى ضربه توجة للشيوعين ، ولقوى اليسار بشكل عام . فقد قبض على جميع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى فيما عدا الرفاق الذين تمكنوا من الهرب . وكذلك قبض على اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (حدتو . الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى) الذى كان قد انقسم بعد الوحدة فى سنة ١٩٥٨ كما ذكرت من قبل .

وفى مثل هذه الظروف والأحوال تقع جميع المسئوليات فى التنظيمات على عاتق من هم خارج السجون . وعلى ذلك قام الصف الثانى فى الحزب بتشكيل لجنة جديدة لتنهض بمسئوليات اللجنة الأصلية . فتتولى اعادة تنظيم الحزب وضمان استمرارية العمل ، وحماية الهيكل السرى فى حالة حدوث ضربة جديده . . . الخ .

وللمرة الثانية وقع على وعلى الزملاء الذين لم يعتقلوا القيام بهذه المهام الخطيرة . وكانت المرة الأولى كما سبق ذكره فى عام ١٩٥٥ واستمرت حتى عام ١٩٥٨ ، عام الوحدة . وطبعا كان

العمل فى هذه الظروف ، ظروف معاداة الشيوعية وجو الارهاب والمعتقلات ، فى منتهى الصعوبة ويتطلب أعصابا من حديد .

كان على الاتصال تنظيميا بالرفق ابو سيف يوسف ، الذى اختفى كيما يستمر فى مزاولة العمل الحزبى ، كما كان على الاتصال بعدد من الرفاق الغير « محروقين » اى الغير معروفين للأمن ، سمير أمين ومصطفى صفوان ود . فوزى ولم يكن حزبيا بل كان يساريا ديمقراطيا ...

فى هذه الاتصالات كان على أتخاذ احتياطى دقيق . كنت أركن سيارتى السوداء السيتروين فى موقف السيارات وآخذ الأوتوبيس لمسافة ما ، ثم انزل لأركب اوتوبيسا آخر ، وذلك حتى اتأكد من عدم تتبعى من المباحث .

وكنت ازيد من الاحتياط فى مقابلاتى مع الرفيق أبوسيف يوسف ، كنت اقابلة فى كازينوهات . بعيداً عن العيون ، فهو رفيق قيادى ممتاز مطلوب القبض علية ، وعلى ان احمية ، وفعلا لم يقبض علية الابعد فترة طويلة .

وانا حتى اليوم عندما اسمع صوت الاوتوبيس اتذكر على الفور تلك الأيام والمقابلات السرية مع الرفاق .

المعرض للوحاتى .

بعد شهريين من حملة يناير ، اى فى نهاية فبراير ١٩٥٩ ، قررت فجأة اقامة معرض فى أتلية القاهرة ، وهذا القرار كان نتيجة لشعور غريب احسست به وسيطر على بشده ، هو اننى على وشك الاعتقال . وبالتالى قد يمر وقت طويل قبل ان اتمكن من اقامة معرض . وطبعا كان القرار غريبا وفيه جنون الفنان وجرأته اذ كيف فى هذه الظروف افكر فى اقامة معرض فنى ؟ هذا ما حصل . اقمت المعرض وكان ناجحا للغايه . وقد طبعت فى كتالوح المعرض المقدمة التى كتبها الفنان المكسيكى المشهور سيكروس .

كما أن استاذى كامل التلمسانى زار المعرض وابدى اعجابه واسعده أننى تلميذته وعبر عن ذلك مداعبا « ماذا تريدين بعد ذلك يا انجى ؟ »

وللأسف كانت هذه هى المرة الاخيرة التى رأيت فيها كامل التلمسانى..

حدث فجأه أثناء اقامة معرضى الفنى أن القى الرئيس عبد الناصر خطابا اكثر حدة وعنفا من خطاباته السابقة التى دأب على القائها فى تلك افتره . فهاجم اليسار والشيعوعيين العملاء

والاتحاد السوفيتى هجوما فيه فظاظة وقسوة زائده . فأكد ذلك شعورى السابق بأن لابد من حملة جديدة يعدونها .

وفى هذه المرة لن تفرق الحملة بين المرأة والرجل ، خصوصا واننا نحن النساء قد أكدنا دورنا فى الحزب الشيوعى ، وفى الحياة العامة ، وفى الحركة النسائيه المصريه .

قلت لنفسى ستشملنا الحملة ولن نفلت نحن النساء من الاعتقال .

وبعد تفكير طويل محاط يتمزق وخوف شديدين اتخذت قراراً خطيراً ،

كان من اخطر القرارت التى اتخذتها فى حياتى . هو قرار الهروب والاختفاء والاستمرار فى مزاولة العمل السرى السياسى قرار عدم الاستسلام للاعتقال وبطش السلطة وكل ما يصاحبه من تعذيب وارهاب فى السجون والمعتقلات . كنت مدركة إدراكا سياسيا عميقا بأن الهدف من هذه الضربة هو تحطيم الحركة الشيوعيه والتقدميه تحطيما شاملاً ونهائيا . وانهم سيلجأون إلى أقسى الوسائل لتحقيق ذلك .

واعترف أننى لم يكن من الممكن أن أتصور هذا الذى حدث بالفعل . ودرجة التعذيب الجسمانى والمعنوى التى وصلوا اليها ،

كما سنرى فيما بعد .

وبناء على ذلك آثرت انهاء معرضى قبل موعده بيومين . فأعدت لوحاتى الى منزلى . وفى الطريق تركت فى متحف الفن الحديث لوحتين للأشتراك فى مسابقة المناظر الطبيعية التى كانت تنظمها وزارة الثقافه والأعلام .

الأختفاء وصعوباته

عندما قررت الاختفاء ، كان كل تفكيرى فى اللحظة الأولى يدور حول كيف أواجه أمى واخبرها بهذا القرار الخطير .

انها تعلم أن لى نشاطا سياسيا . وتدرك أن هناك اعتقلات وسجون لمن يعملون مثلى بالسياسة . فزوج ابنتها معتقل ، وكذلك معظم أصدقائى .ولكنها لم تتصور فى يوم من الأيام انى أنا ابنتها سأتعرض لمثل هذا الموقف .

فكان هذا الأحتمال بالطبع شيئا مرهقا . لنفسها ولاحاسيسها ومشاعرها كأم . ولكن لا مفر من مواجهتها .

تحدثت أولا مع اختى بولى ، فهى قريبه جدا منى ، وتدرك شروط ومشاكل العمل السياسى الذى بمارسة زوجها ، على الرغم من انها لا تمارسه . ولكنها تتفهم مثل هذه المواقف وتحسها بل وتتعاطف معها .

ثم اخبرت أمى بقرارى وشرحت لها شعورى وتوقعاتى حول الموقف وحاولت اقناعها بأن الاختفاء سيجنبنى مخاطر كثيره . رأيت فى عينها الدهشة والتساؤل والاحساس بكارثه ، إذ كيف يحدث ذلك ولماذا . . . ؟

حقا كان الموقف صعبا ومؤلما للغايه لنا نحن الاثنين ، وخاصة لأمى المسكينه ولكن لا مفر من تنفيذ قرارى .

وبالفعل تركت بيتنا وعشت عند اصدقاء حميمين ، يتمتعون بجرأة شديده ، لا ستضافتهم لى رغم الخطورة التى يمكن ان يتعرضوا لها بسببى .

وقد ترددت على اكثر من بيت حتى لا استقر فى مكان واحد فيسهل كشفى والقبض على . واتفقت مع اختى بولى على اننى لن اختفى اختفاء تاما ، فلربما لا يصدق شعورى بأننى سأعتقل . اتفقنا أنا وأختى وكذلك زميلتى أمينة رشيد ، وكانت طالبة فى الجامعة متعاطفة مع الحزب ، اتفقنا على انه اذا حضروا لاعتقالى أن يبلغونى تليفونيا وكانت كلمة السر هى أن اختى بولى حدث لها نزيف . وبهذا أعلم أنه صدر القرار با عتقالى ، فاختفى اختفاء كاملاً . ذلك اننى فى هذه الفتره كنت ازوال نوعا من الحياة التى لاتتفق مع الاختفاء الكامل .

كنت أسير فى الشوارع دون تخفى . وأحضر الاجتماعات ، واذهب إال بيتنا لأرى أمى وأخذ الملابس ، ولكن فى حذر إذ كنت ادرك انهم – زوار الفجر – لا يطرقون الأبواب إلى فى آخر الليل .

واتذكر واقعة طريفة . فقد ذهبت مرة لمنزلنا لأخذ بعض الأشياء ، فوجدت فى البيت جميل راتب الفنان الممثل – صديق الطفوله . فأمه السيده نايله سلطان ، كانت صديقة حميمة لأمى . وكنا نذهب كل يوم أحد لتلعب مع جميل واختيه زاهيه ومنى ، فى بيتهم بالجيزه وكان بيتا را ئعا بحديقة جميله ، وتشغله الأن السفارة البلچكية ، كنا نرقص ونغنى ونستمتع بالسعاده وبراءة الأطفال . وجدت جميل عندنا فى البيت وقال لى . . تقولين اختفاء هذا . . وأنا أراك هنا كلما حضرت . . وضحكنا .

ومضت الأيام على هذا الحال حتى كان يوم ٢٧ مارس . ففى الليل ، فى الساعة الواحده صباحاً رن جرس الباب ، حضرت المباحث العامه ، كانت أمى واختى مستعدتين نفسيا لإستقبال رجال الضبط . . كما تسقبلان الزوار العاديين . . . بناقص عبارت الترحيب وأهلا وسهلاً !

وأول شىء فعلوه زوار الساعة الواحدة صباحا هو قطع سلك التليفون . ثم اخذوا فى تفتيش البيت ، وعندما وصلوا الى حجرة أمى اعترضت على تفتيش الحجرة بقولها هذه حجرتى أنا ،

تبحثون عنها ، فتشوا عندها فوق حيث المرسم والجناح الخاص بها فى الدور الثانى من الشقه .

فصعدوا واجروا تفتيشا دقيقا . واثناء ذلك دخلت أمى حجرتها حيث يوجد تليفون ثان ، نزعت أمى فيشة ذلك التليفون ووضعت العدة داخل دولاب الملابس وبذلك انقذت هذا التليفون من القطع فظل صالحا للعمل وساعد هذا التليفون على الاتصال بى وإخبارى بما حدث كما تم ابلاغ الأصدقاء لأن البوليس راقب شقتنا لمدة يومين إثنين وكانوا يستجوبون الداخل والخارج من البيت . كما ذهبوا أيضا الى بلدتنا المنشية الصغرى مركز كفر شكر للبحث عنى . فقد قالت امى واختى لهم عندما سألوهما عنى بأننى فنانه أحب الريف وأسافر دائما للريف لأرسم .

كان على اختى أن تبلغ الصديقة العزيزة أمينه رشيد لتقوم أمينه بابلاغى تليفونيا بالخبر ، لكن ذلك لم يتم لأن تليفون اصدقائى الذين اقيم معهم كان قد تعطل.

وكنت فى هذا الوقت بالتحديد على موعد فى محل جروبى . وقبل مغادرتى المنزل بدقيقة واحده وصلت أمينه رشيد . واخذت تطرق الباب مثل المجنونه . فتحت الباب فاندفعت تقول لى بولى أصابها نزيف . فقلت لها أنا أمامك والحديث

وجها لوجه وليس فى التليفون . . . وضحكت . . . فحكاية النزيف كانت كلمة السر المتفق عليه لابلاغى بالتليفون كما سبق القول . كانت أمينه مضطربه ومتوتره . ولولا حضورها لذهبت الى الموعد فى جروبى ، ولكان قد قبض على غالبا فى جروبى أوفى الشارع .

وكلمة السر هذه لها حكاية طريفة أيضا مع جميل راتب . فقد أتصل جميل بأختى بولى فى نفس اليوم الذى تم فيه التفتيش ، وقال انه سيحضر للزيارة . فمانعت بولى فى حضوره . لكنه أصر . وازاء أصراره قالت له بولى لاتحضر وأنا عندى تزيف . فاندهش جميل وصمم على الزيارة لأنه أدرك ان الموقف غير طبيعى وربما قد حدث شىء يرتبط باعتقالى .

عندما علمت بصدور القرار بالقبض على ، اصبحت فى حيرة وقلق . فالحكاية جد والمشكلة كبيرة ، وتحتاج لترتيبات واحتياطات اكثر دقة وأمنا مما كنت اتخذه فى السابق ، كما تحتاج لسرعة التصرف حتى لا اكون سببا فى الأذى ينزل باصدقائى الذين عشت معهم . فكرنا معاً انا وامينه رشيد بحثا عن اجوبة لبعض الاسئلة الضرورية . اين اذهب الأن ؟ كيف اختفى اختفاء تاما ؟

وكيف أؤمن نفسى حتى انتقل لمكان آمن ؟ كانت نقطة البداية

أن اترك البيت الذى أنا فيه على الفور . اتفقت انا وأمينه أن أسافر الى السويس لأحل ضيقة عند اصدقاء لها هناك . هذا يتم غداً ولكن ماذا عن الليلة وكيف أدبر أمرى هذا المساء ؟

تذكرت وسط هذه المحنة صديقة حميمة من أيام الطفوله . كانت زميلة لى فيما اعتبره اول سجن دخلته فى حياتى . كانت زميلتى فى مدرسة القلب المقدس .

وصديقتى اسمها مارى فرازلى ، وهى شقيقة ايفيت فرازلى صاحبة مكتبة فرنسيه مشهوره بالقاهره . لكن كان قد مضى زمن طويل دون اتصال بيننا . فكيف اذهب اليها وانا لم أزرها ولم أرها من سنين ؟ . . وكيف سأمضى الليلة عندها وهى متزوجة وأم لأولاد . . ما هو المبرر لأبيت ليلة فى منزلها هى والعائلة لاسيما وانى لا اعرف زوجها ؟

الجأتنى الضرورة فلا محل للتردد والتساؤلات ، وقررت الذهاب إليها . فتحت خادمة المنزل الباب . . واستقبلتنى مارى بالعناق والقبل . واسرعت أنا بعمل حركة ما . . تعنى لمارى أن لاتذكر اسمى أمام الخادمة حتى لايذاع سرى وينكشف أمرى .

وادركت مارى ما تعنية الحركة التى قمت بها دون افصاح . كانت تعلم انى امارس نشاطا سياسيا . لكنها فرحت بلقائى

ورحبت بى كثيرا . اخبرتها برغبتى ان اقضى معهم الليلة وسأرحل فى الصباح . هى لم تمانع بل على العكس رحبت . ولكن المشكلة أن زوجها رجل عادى يشتغل بالتجاره وهو من أصل سورى ويعيش فى مصر بلا اى إهتمامات عامه ويخاف طبعا على نفسه وبيته .

جاء زوجها على الغداء وأكلنا وحمدنا الله . قالت له مارى بتلقائيه شديده وكانت مضطربه . صديقتى انجى العزيزه جداً هاربة من البوليس وتريد المبيت عندنا الليلة . قالت هذا وكان البوليس ورائى وسيتم القبض على فى بيتهم .

وتلون زوجها من الخوف . حاولت أن أوضح الموقف لتهدئة الجو وطرد الخوف .

قلت لها يا مارى . اسمحى لى . ليس الوضع كما يفهم من كلامك . انا كنت مختفية عند أصدقاء منذ مدة . ولا أحد يعرف اين كنت ولا من أين أتيت . وكل ما أطمع فيه ان اقضى الليلة وسأرحل فى الصباح .

قال الزوج طيب . لكن لا يوجد مكان عندنا تنامين فيه . هذه هى المشكلة .

وقررت الا أعطية أيه فرصة للتملص من استضافتى اذ ليس

أمامى حل أخر وأنا معرضة لأن يقبض على فى أيه لحظه أظهر فيها . قلت رداً علية متشكرة . انا لأحتاج إلا لكرسى أنام علية . وكانت مارى فى الحقيقة معى بقلبها . وأمضيت الليلة معهم بسلام . وفى الصباح جاءت أمينه رشيد لتصحبنى الى السويس حسب اتفاقنا حيث هناك سيكون الهروب والأختفاء الكامل .

فى السويس

عشت فى السويس خمسة واربعين يوما تقريبا ، الى أن رتب لى رفاقى بالحزب مسكنا بالقاهره لأعيش فية وأمارس عملى السياسى .

وكانت مدة اقامتى بالسويس فترة مملة تماماً ، وذلك على الرغم من رقة وظرف أصدقاء أمينه ، الذين اصبحوا اصدقائى أيضا . كنت اخاف عليهم مثل عينى وبكل احاسيسى اخشى عليهم . ففى ذلك الوقت كان أى شخص له علاقة باليسار أو يشتبه فى ان له باليسار علاقة ، كان يقبض علية .

كنت اخرج مع هؤلاء الاصدقاء الجدد قليلا . فمثلا ذهبنا معاً الى السينما مرتين ، وكنت اتخفى بتغيير ملامحى . وحدث مرة أن وضعت على شعرى بودرة التلك لأبدو سيدة متقدمة فى العمر . لكن هذه البودرة أكدت ملامحى أكثر . كانت حياتى

معهم لطيفة ولكنها لم تكن أمنه . فأنا لا افعل شيئا واتحرك بحساب وكنت افتقد حرية الحركة طبعا . وفوق ذلك كانت رغبتى فى الرسم تلح على دائما فى أوقات الاختفاء . فالرسم يساعد على اجتياز الازمات الى حد كبير ويطرد الملل الذى يطاردنى فحركتى كانت داخل حجرات فى شقة ، كنت اشعر بالوحدة وتوتر الأعصاب والاكتئاب .

ارسلت لى اختى بولى أدوات الرسم ، ورسمت صورتين من خلال المنظر الذى اشاهده يوميا من البيت الذى اعيش فيه . إذ كان امامه جزء من القناة وقطار يمر وبيوت على الطراز الفرنسى الجميل . وقد رسمت هذا المشهد الجميل ببيوته الفرنسية الطراز والتى اختفت تماما بعد حرب الأستنزاف حيث أصابها الدمار والهدم .

لبس الفلاحة

شبرا هى المكان الثانى والاخير الذى عشت فية مختفية إلى أن اعتقلت . لقد درس الحزب اثناء وجودى فى السويس كل الظروف التى تجعل إقامتى بالقاهره آمنه . وقع اختيارهم على مكان بحى شعبى ، فى شبرا جهة روض الفرج . وجهزوا لى الملابس التى تساعدنى فى التنكر والاختفاء . وذلك لتسهيل حركتى ومزاولة مهماتى السياسية.

اجرت غرفة فى شقة مكونه من ثلاث حجرات . هذه الشقة تستأجرها وتقيم فيها اسرة من شخصين . سيدة متقدمة فى العمر وزوجها وهو رجل عجوز . اسرة فقيرة . قلت انى هاربة من بيت الطاعة . وطلبت ان أقيم معهما فى غرفة . واغرتهما بالاتفاق عليهما . على أن اتكفل بجميع المصاريف .

وفرح الزوجان بذلك كثيرا .

وصلت الى شبرا فى الليل بصحبة أمينه رشيد ، وتوجهت للشقة . دخلت حجرة السيدة وزوجها فوجدتها ذات جمال خاص رغم بساطتها . كان بالغرفة سرير عروسة « بمبه » وطبلية للأكل عليها . وكليم يغطى الأرض غاية فى البساطه . وقد أغرانى جمال هذه الغرفة فرسمتها . فكانت هذه احدى لوحاتى الهامة التى أحبها . ثم دخلت الغرفة التى ساقيم فيها . فإذا بالسرير ملء بالبق وقد جلست طول الليل اقتل هذا الأكلان دفاعا عن نفسى . وفى الصباح اشتريت المبيدات لمحوه من الغرفه . كذلك اشتريت مرتبة جديده واشياء اخرى بسيطه ولكنها تغير وتبدل من كأبة هذه الشقه .

أما عن الزى الجديد ، فكما قلت أنا لست فقط معروفه لدى الحكومة ، ولكنى معروفة للكثيرين نتيجة الحملة الصحفية

القديمة على . هذه الحملة جعلتنى وجها معروفا فى الشارع . ولذلك كان من الضرورى تغيير مظهرى للتموية .

أعد لى الرفاق زى بنت البلد ، فلاحة جاءت الى المدينة. وكان هذا الزى غاية فى الاتقان والدقه . لم يكن زى الفلاحة القروية ولا هو زى سيدة المدينه .

كان يجمع بين الاثنين . عبارة عن جلابية « ماكس » ومنديل « بأويه » يقطع الجبهة وطرحه سوداء وشراب وحذاء سميكين ويمتازان بالمتانه .

وكنت اكحل عينى . وكانت المرة الأولى والبداية التى اضع فيها « المكياج » على وجهى .

وبسبب هذه الملابس المنسجمة كنت أتلقى المعاكسة فى الشارع من شباب الحى ورجاله وكثيرا ما قالوا بنت البلد البيضاء الحلوة . . . وكنت اضحك من كل قلبى على تعليقاتهم . أما زملائى فلم يكونوا يحتملون الجلوس معى وأنا لابسة المنديل والطرحه . وكانوا يطلبون منى العوده لطبيعتى المعروفه بكشف الرأس لأن شكلى متغير جداً . هكذا كانوا يقولون .

وكانت لهجتى فى الكلام مختلفة بطبيعة الحال عن لهجة أهل الحى . وحتى لا تفضحنى لهجتى كانت تصاحبنى فى الخروج

احدى الصديقات لتتولى هى الكلام والتزم انا السكوت .

ولم تعدم فترة اختفائى فى شبرا من أنباء ساره . فقد أخبرنى د . فوزى منصور أن الجرائد نشرت خبر فوزى بالجائزة الأولى فى مسابقة المناظر الطبيعية التى كانت قد اقامتها وزارة الثقافة والاعلام . وكنت قبيل اختفائى قد اقمت معرضا ثم انهيتة قبل الموعد المحدد ونقلت لوحتين من هذا المعرض للمسابقة ، وسبق التنويه بذلك . وعلى اثر نشر هذا الخبر عادت المباحث مرة اخرى للتفتيش عنى بمنزلنا . ربما تصوروا اننى أجلس فى البيت ممسكة بفرشتى وارسم مادمت حصلت على جائزه . ولكن التفتيش فى هذه المرة وكانت الثانية ، احدث ارتباكا وتوترا فى البيت . فاختى بولى كانت قد قامت بزيارة سرية لزوجها د. اسماعيل بالقصر العينى اثناء اجراء عملية الزائده له وهو معتقل .

تصورت انهم جاءوا للقبض عليها خصوصا وانهم اجروا تفتيش حجرتها فى البيت . ولهذا صرخت فى اضطراب واحتجاج . ولكن أمى هدأتها لأنها ادركت انهم إنما جاءوا للبحث عنى مرة أخرى بعد نشرخبر فوزى بالجائزه :

وسألتهم اختى انتم حضرتم لمن ؟ اجابوا لأنجى افلاطون

فهدأت وزال التوتر وسوء الفهم .

ومن الطريف ان الجائزة كانت مائة جنيه وكنت فى أشد الحاجة لأى مبلغ ولكنى لم اكن استطيع الحصول على المائة جنيه . كذلك حدث بعد نشر خبر فوزى بالجائزة أن خادمة المنزل الذى كنت اقيم فيه بمدينه السويس ، كانت تجلس مع بواب العمارة وهو يقرأ الخبر فى الجريده . فقالت بعد أن رأت صورتى انها هى التى كانت ضيفة عندنا . مع انهم كانوا يتادوننى باسم چى چى .

ولكن ربنا ستر . اذ لو كان أحد المخبرين يمر فى تلك اللحظة وسمع الخادمة لكان قد نزل على رءوس اصدقائنا فى السويس من العذاب والمصائب ما لا حصر له .

وفى شبرا كانت المشاكل تتوالى . فقد انتشر وباء الجدرى بمصر فى تلك الفتره . وهو مرض خطير بالفعل . ونظمت وزارة الصحة فرقا للتطعيم بالمصل الواقى .

وكانت فرقة التطعيم تدخل كل بيت لتأدية واجبها أما الست التى كنت اعيش معها فكانت تخاف من التطعيم . وكانت فى حالة رعب وقلق .

قلت لنفسى السيده العجوز ستعمل شوشرة وفضيحة عندما ما يأتون لحقنها بالمصل .

وسينكشف أمرى . مع ان احداً لم يشعر بوجودى لأنى كنت أدخل واخرج بحرص شديد . الحق أصبحت فى حيره . خرجت منها بأن قررت أن اعنف السيده واجيرها على الهدوء والاستسلام لمندوبى الصحة عندما يأتون . ومما قلته لها اقبلى التطعيم . رفضك التطعيم سيتفزهم وسيفتشون البيت فيرونى وينكشف الحال ويضيع كل شيء .

الى هنا والحل ليس كاملاً ، فللمشكلة باقية ، اذ كيف اختبىء أنا عن هؤلاء الزائرين الصحيين ؟ وانتهيت الى ضرورة البقاء خلف باب الحجرة . فاذا دخلوها فانى سأتصنع . سأبدو كأنى فلاحة ساذجة خائفة ومرعوبة من التطعيم . ولحسن حظى لم يفتحوا باب حجرتى . مع ان تفتيشهم كان دقيقا لدرجة انهم فتشوا تحت سرير الأسرة صاحبة الشقه .

لكن المشكلة لم تصل بعد للنهاية . فقد أصاب الجدرى الجيران الذين يسكنون فى الطابق الأعلى . وهنا اقترب الخطر واحسست به لأنى لم اتطعم . اتصلت بأمينة رشيد وطلبت منها ان تأتى لزيارتى مع دكتور صديق لحقنى بالمصل .

لم يكن من ذلك بد وأنا أعلم جيداً مخاطر هذه الزيارة على من يقوم بها لسيدة هاربه من مطاردة البوليس فى ذلك الوقت

الضعب .

جرى ذلك كله فبل العيد الكبير بوقت قصير . ولهذا قررت أن اشترى لحم بمناسبة العيد وبسخاء للست صاحبة البيت . وقد انتابنى شعور قوى بقرب اعتقالى . فقلت لنفسى فرصة لأكلة طيبة وبلحمة وفيرة قبل الاعتقال .

فى مساء ١٩ يونيه ١٩٥٩ ، وكان خامس أيام العيد ، كنت على موعد لاجتماع حزبى .

انتابتنى الرغبة إلا انهب لهذا الاجتماع . لكنى مالبثت أن لمت نفسى على هذه الرغبه ، وقلت يجب الا استسلم لشعور الخوف حتى لا يتمكن منى فيقعدنى عن عمل أى شىء . . وذهبت .

كنا ثلاثة فى هذا الأجتماع . كان معى ابو الفتوح واسمه الحركى حمدى . ورءوف وكان له اخ قهوجى ، معلم صاحب المقهى . فى اثناء الاجتماع تسلمت تقريرا عن اضرابات عمال الترام . ارسله إلى زميل اسمه الحركى فضل . والح أن اخذه معى لدراسته والمناقشة فيه . وكان التقرير ضخما . وكنت انا حريصة ألا احمل معى اوراقا مكتوبة طلبا للأمان . لكنى وبسبب الحاج مرسل التقرير فضل اخذت التقرير وخبأته فى « الكورسيه » الذى كنت ارتديه لمثل هذه المفاجأت . وكان الترتيب المعتاد أن يأتى

أحد الزملاء ليأخذنى بعد الأجتماع . لكن لم يأت أحد فى هذا اليوم . فلما انتهى الأجتماع نزل رءوف متوجها لأخيه القهوجى ليحضر منه نقودا ويستعير دراجته . وفعلا عاد ومعه النقود . ثم نزلت انا إلى الشارع واشرت الى تاكسى ماشى لانى كنت اتجنب التاكسيات الواقفة ==خوفا من أن تكون كمينا . وقف التاكسى لطلبى . وفى لحظه فوجئت بمجموعة من الرجال يهجمون على ويمسكوننى بقوه . . كبسة يعنى . . قلت لنفسى « خلاص » يا انجى . . ما فيش فايدة . وطبعا لم افكر فى المقاومه لا ستحالتها .

سألونى وهم فى غاية الفرح انت انجى أفلاطون . . !

فقلت لا.

اجلسونى فى الوسط وهم من حولى داخل التاكسى . والسائق مذهول من هذه المفاجأه . وكل دقيقة ينظر الى فى المرأه أمامه ويتحدث الى بعينية المليئة بالتساؤلات . ربما تصور انى تاجرة مخدرات لا رتدائى ملابس تنكرية ، ملابس الفلاحه .

فى هذه الدقائق الثقيلة ، كان عقلى يعمل بسرعة شديده بسبب التقرير الخطير الذى خبأته فى ملابسى ، فهو دليل قاطع على أنى فى قيادة التنظيم ، ويقودنى الى عشر سنوات سجن على الأقل . وقد ثبت أن فضل الذى ارسل التقرير عميل المباحث

مدسوس فى التنظيم .

كان معى فى الكيس ورقة فيها رموز مكتوبه مثل أ = ٢٠ – يعنى ٢٠ جنيه والف هى الحرف الأول من الأسم . والمكتوب فى الورقة أو رموزها لايمكن أن يعرف سرها أى شخص . والحقيقة أنها كانت بيانا بألاشتراكات النقدية دون ذكر أسماء اصحابها .

وعلى الرغم من سهولة التخلص من هذه الورقة الصغيره إلا انى قررت استخدامها لتحويل الانظار والانتباه عن غيرها . . . عن التقرير – فيتركز الاهتمام بها وينصرف عما عداها فأفلت بهذه الحيله من التفتيش الذاتى .

وحدث فى هذه اللحظات المشحونة بالتوتر ان توقفت السيارة التى تقلنا لمدة عشر دقائق تقريبا . وكنت افكر فيما ينتظرنى وارتب الجواب لكل سؤال . وفجأه ظهرت سيارة مليئة بالرجال وتحمل خلفها دراجة . اشارت لنا وأسرعت فأسرع التاكسى الذى نحن فية وراءها .

قلت فى نفسى هذه كبسة جامده بالتأكيد فقد قبضوا على زملاء كثيرين . ولكن لم يصح الظن . فقد اتضح أن الموجدين بالسياره من مخبرى البوليس ومعهم الرفيق رءوف وأخوه معلم القهوة . وكانت أيديهم مكيلة بالكلبشات .

دخلنا المباحث العامه بوازرة الداخلية تحت حراسة مشددة.

وكان المسئول عنى ضابط لطيف ومعه مخبران . وكان المعلم اخو رءوف منهاراً تماما ، وأغمى عليه عدة مرات . كان كلما أفاق من الاغماء ، يرى نفسه فى ايدى رجال الأمن ، فيصيبه الأغماء ثانية . لم يكن يتصور ما هو فيه إذ ليست له علاقة بالسياسة من قريب أو من بعيد . وقال الضابط بلغة انجليزيه فى ود وإنسانيه ان الرجل منهار وأخشى أن يعترف عليك . وكان ردى عليه لاتخف . انا لاأعرفه . وعموما لو قال أى شىء فسيذهب فى داهية .

ثم طلبنى حجازى ضابط المباحث المشهورفى قسم مكافحة الشيوعيه . هو يعرفنى جيدا لأنه سبق أن قام بتفتيش بيتى عدة مرات دون أن يعثر على شىء يكون سببا فى الأيقاع بى واتهامى نظر حجازى الى وقال أهلا أهلا . ما هذا اللباس الجميل – تفضلى للتصوير . وقادونى الى حجرة التصوير ، والتقطوا صورا من جميع الزوايا وانا بملابس الفلاحه ، ملابس التنكر والاختفاء . ثم اعادونى الى مكتب حجازى حيث بدأ التحقيق . اخذ كيسى الورقى وفتحه فبدرت علامات الرضا والفرح على وجهه لأنه عثر على الورقة الصغيره وفيها الرمز . ظن أنه أمسك بالدليل ضد إنجى افلاطون .

سألنى ما هذه ؟

قلت ورقه . سأل وما هذا المثبوت فيها ؟ قلت سأوضح هذا فى التحقيق امام النيابه . قال الوقعة هذه المرة حتميه . ثم طلب منى أن انهض ليرانى وانا واقفه لاحتمال أن يجد بروزا يكشف عن شيء مخبأ بين طيات الملابس . نهضت وناولته الطرحة ومنديل الرأس . وامسكت بجلبابى فنطرته كالعلم المفرود . لا يوجد شيء على الأطلاق . فحاول الرجل أن ينظر فى السوتيان ، حامل النهدين . فقلت بانفعال لا . اسمع بقى . . فجلس قائلا طيب ياست لا تغضبى .

واثناء ذلك كنت حريصة أن ابدو طبيعية ودون ادنى انفعال حتى لاأثير الشك .

وبعدها جلست دون أن اذهب لدورة المياه مع الحاجة حيث قررت ان اتحمل حتى تبدو الامور طبعيية . وبعد مرور عشر دقائق شعرت أن الوقت مناسب فسألت المخبر عن دورة المياه فرد بشهامه طبعا طبعا . . وعند دخولى الحمام مباشرة اخرجت التقرير وقمت بتمزيقه والقائه وجرفته المياه المتدفقة من السيفون فاسترحت كثيرا .

كنت فى حاجة لصابون لغسيل يدى من وساخة التواليت

حيث كان ورق التقرير كثيرا واضطررت إلى دفعة بيدى لأضمن اختفائه فى المجارى . وطلبت من المخبر أن يشترى لى سجائر وساتدوتشات وصابون . ولكنه قال الصابون ممنوع حتى لا اغسل وجهى فيزول الكحل من العينين . وهو لازم للتصوير وقد استمر التصوير مدة يومين كاملين لانهم اعتبروا الكحل وملابس الفلاحه دليل إدانه ضدى . انتهى الضابط حجازى من استجوابى . تم انزلونى حجرة فى البدروم ذات إضاءة قوية وسلمونى بطانية وأمضيت الليلة فيها . وفى الصباح إخذونى لحجرة مكتب فى المباحث وكنت فى غاية التعب بسبب المبيت فى الحجرة السفليه فجلست على مقعد ومددت رجلى على مقعد مقابل ، وحدث ان دخل اللواء حسن المصيلحى وكان هو رئيس قسم مكافحة الشيوعية بالمباحث وكان فظا غليظ القلب . وعند دخوله وقف الضباط احتراما وحيوه برفع اليد عسكريا . أما انا فلم اتحرك .

كنت جالسه ورجلى ممدودة ومتجاهلة لقدومه . فخاطبنى المصيلحى باللغة الفرنسيه قال :

ليه كده تبهدلى نفسك وانت من عائلة كبيرة ! فأجبتة أنا حره دعنى فى حالى .

وكان الضابط المتولى حراستى ظريفا ويرغب فى مساعدتى . اما العسكرى فكان خائفا طول الوقت ، حتى انى لما طلبت منه الاتصال تليفونيا بمنزلنا واخبار أهلى بالقبض على ، انتقض مذعوراً وهمس غير ممكن هذا فكل شىء مراقب .

بقيت جالسة فى المكتب انتظاراً لحضور النيابة ، حتى جاء الأستاذ أحمد موسى رئيس النيابه فى نيابة أمن الدوله . هو شخص واضح نبيل وأنسان . . .

يباشر عملة فى التحقيق بحياد ودون تشنج وبغير معاداة للفكر الماركسى . كان أحمد موسى مثال القاضى المتجرد العادل . وهذا رأى كل الزملاء الذين تولى هو التحقيق معهم . وبدأ معى التحقيق .

س . انت لابسه هكذا فلماذا ؟ كنت هاربه !

ج – والله أنا فنانه . وقد صدر قرار با عتقالى ، وانا غير موجوده بالبيت .

وانا لم أجد سببا قانونيا يدعونى لتسليم نفسى . الأمر أمر اعتقال وليس أمر نيابة وتحقيق . يعنى شىء غير قانونى . فهربت .

وانا شخصيه معروفه . فليست ملابس الفلاحه . وأنا احب

ارسم الفلاحين . واردت ارسم نفسى من المرآة وأنا بزى الفلاحه .

وعموما أنا حرة فى اختيار ملابسى . فليس هذا دليل يطلب منى نفيه .

فضحك المحقق احمد موسى وكان مسرورا من كلامى .

س. وما هى هذه الورقه . وماذا تعنى الرموز المدونه فيها ؟

ج . ليست رموزاً لشىء . المسألة أن بعض الوان الرسم ناقصه فى السوق ،

ورأيت أن اكتب النمر الخاصة بها . وهذا شىء لنفسى كيما اتذكر .

س. هل تعرفين رءوف ؟ ج . لا أعرف أحداً منهم .

س. واين كانت إقامتك مدة الاختبفاء ؟

ج. لما صدر القرار الجمهورى باعتقالى وهربت ، ذهبت عند ناس عاديين .

س. وهل تعرفين اناسا غير عاديين ؟

ج . آه طبعا . عاديين يعنى ناس لاصلة لهم بالسياسة . وأنا أعرف ناس لها علاقة بالسياسة .

وبعد فترة وجيزه من السين والجيم انتهى التحقيق .

أمضيت ليلة أخرى فى المباحث العامة . وفى الصباح أبلغونى انى سأرحل إلى السجن . وكنت فى غاية السعادة لأنى ساتخلص من الملل والأرهاق الشديد والتصوير والتحقيق وسألتقى بزميلاتى وبذلك يتحقق نوع من الاستقرار ومعرفة مصيرى الذى اجهله تماما . اندهش الضابط من فرحتى بخير الترحيل الى السجن . قلت لهم احسن من القرف الذى أنا فيه .

وعرض على ضابط حراستى الأنسان القيام بأى خدمه .

فرجوته ان يحفظ رقم تليفونى ويتصل لأخبار أهلى . فوعد وانجز وعده .

وهنا يحسن ان أسجل تجربتى مع ضباط البوليس الذين كانوا مكلفين بالحراسة الشديدة ، ، علينا اثناء نقلنا الى السجن أو الى المستشفى . إن غالبية هؤلاء الضباط يتسمون بالشهامه والطيبة والأنسانية ، بالروح المصرية الأصيلة . ولكنهم ملزمون بمراعاه التعليمات حيث لا يستطيعون التمرد عليها . ولكنهم كانوا يحاولون مساعدتنا بقدر الأمكان .

وصلت الى السجن فى الساعة العاشرة والنصف صباحا . وكنت كما أنا عند القاء القبض على . الكحل فى العين لكنه ساح على وجهى وملابس الفلاحة بالمنديل والطرحة . وكنت فى حالة

اعياء شديد . فلم تتعرف على زميلاتى اللاتى كن يسرن فى حوش السجن . لوحت من بعيد بحماس . ولكنهن ظنوا انى مسجونة تسول . ثم جاءت السجانة مهللة لا ستلامى وتوصيلى للعنبر . قالت أهلاً اخيرا وصلت انجا الا نفلوطى ! ؟

« عالم لم أكن اعرفه »

فى داخل السيارة (البوكس) التى حملتنى الى سجن النساء بالقناطر الخيرية . انتابنى شعور لا أعرف بماذا أسميه ، لم يكن خوفا ولاحزنا كان أقرب الى المزيج بين الراحة النفيسة والقلق الشديد !

الراحة النفيسية لأنى رأيت فى السجن شيئا أرحم من حياة الاختفاء وما يتبعه من توتر أعصاب وخوف دائم ، وذلك برغم ما قد يحدثه الاختفاء من شعور بالزهوو النجاح فى تحدى السلطة غير العادلة ، ولعل أيضا من اسباب هذه الراحة النفسية أن فكرة السجن لم تكن غريبة على نفسى فقد أصبحت واردة منذ أول يوم ما رست فية العمل السياسى السرى حيث أهلت نفسى له قبل ذلك بخمسة عشر عاما ، وهو تاريخ اعتناقى الماركسية واحترافى العمل السياسى .

أما شعورى بالقلق الشديد فكان منبعه خوفى وشكى فى

قدرتى على تحمل ظروف السجن القاسية ، فقد أصبحت إمام محك عملى ، هل سأنجح فى اجتياز هذه التجربة وأصمد أمام ظروف بالغة السوء لم تشهد الحركة الشيوعية واليسارية عموما لها مثيلا . . ؟ !

ووسط زحام الافكار كان يطالعنى حمدى زوجى وحبيبى ورفيق حياتى . كنت اتذكر رحيله المفاجىء وأتذكر سجنة بالقناطر وزيارتى الاسبوعية له على مدار عامين بلا انقطاع ، اننى اصبحت أعرف تقريبا كل ضابط وسجان وأحفظ ،٠كل جدار وسلك شائك فى سجن الرجال .

وهمست أناجى حمدى لأهون على نفسى قائلة :

« على الأقل يا حمدى نجوت أنت هذه المرة من سجن أبى زعبل اللعين ومن عذاب الفراق بيننا ومن الحزن على وأنا نزيلة سجن النساء »

فقد كان حمدى يخشى على دائما أن أمر بهذه التجربة ، وبالفعل لم تحدث لى أثناء حياته القصيرة ولكن حلت على بعد أن رحل بعيداً عنى !

وعند وصولى الى السجن كنت خائفة من عدة أشياء لانه على الرغم من إنجازنا لوحدة الحزب فى ١٩٥٨ ، الاأن الزميلات

ينظرن لى بتوجس وكان منبعه أننى ارستقراطية . ولا أحد يعلم إن كنت سأستطيع تحمل ظروف السجن أم لا ؟ ، وصحيح انهن رحبن بى ولكنة ترحيب لا يخلو من هذا التوجس

وهنا أستطيع القول باننى خضت هذه التجربة بنجاح كبير..

واجهت أمرين هامين : أولهما : نظام الحياة الجماعية الذى نظمته الزميلات والمعمول به فعلا

وثانيهما : الظروف المحيطه بهذه الحملة وما فرضتة من وضع خاص داخل السجن .

فقد كانت هذه الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ تمثل حملة شرسة على الحركة اليسارية عموماً والشيوعية تحديدا ، كانت محاولة لتحطيم الحركة الشيوعية والقضاء عليها ، فبالنسبة للمعتقلين الرجال فقد تعرضوا ، كما هو معروف ، لا بشع انواع التعذيب الجسمانى والاشغال الشاقه ، أما بالنسبة للنساء فكانت هذه أول مرة يتم فيها اعتقال نساء وقد حرصت السلطه على إخفاء خبر اعتقالنا وكانت الأوامر حاسمة يمنع نشر أى شىء يتعلق بهذا الموضوع فى الجرائد ووسائل الاعلام وقد اعتمدوا على نوع آخر من التعذيب ، انه التعذيب المعنوى الذى يهدف إلى تحطيم اعصابنا واضعاف معنوياتنا وذلك بعزلنا عزلا تاما عن

كانت هناك محاولة لقتلنا قتلا بطيئا ، فالا عتقال كما هو معروف يجعلنا نخضع لسلطة وزارة الداخلية والمباحث العامة ولا تخضع للقوانين واللوائح الساريه على المسجونين العاديين وكانت الأوامر التى صدرت لإدارة السجن كما يلى :

*عزلنا فى عنبر منفصل عن جميع السجينات الجنائيات ، ومنعنا من الاتصال بهن وذلك تجنباً « لبث افكارنا المسمومة لديهن »

* اغلاق العنبر طوال ٢٤ ساعة باستثناء ساعة فى الصباح للذهاب لدورة المياة ، وقضاء الفسحة وساعة فى المساء قبل غلق العنبر للتموين بالماء وتنظيف الجرادل ساعة تمام السجن

* الزيارة ممنوعة منعا باتا .

* ممنوع الجرائد والكتب والكتابة وحيازة الأقلام وهى أشياء حيوية بالنسيبة لأى مثقف

* ممنوع مزاولة أى عمل من الأعمال التى تزاولها بقية السجينات كمحو الأمية أو التطريز أو تدريس الموسيقى

وقد أستطعنا ممارسة معظم هذه الممنوعات بمرور الوقت باستثناء الزيارات طبعاً . . وذلك بجهودنا الخاصة .

ولهذه المجهودات قصة طويلة وظريفة فقد اكتشفنا أنه بنصف علبة سجائر «وينجز يمكن الحصول على اشياء كثيرة مثلاً « المراتب » وقمنا بتشكيل لجنة قيادية منتخبه راعينا فيها الأتجاهات السياسيه تحقيقا لوحده الحزب وحفاظا عليها .

قامت الجنه القيادية بتنظيم برنامج تثقيفى وتعليم اللغات وأشياء أخرى .

وبالتدريج امكننا الحصول على كتب من مكتبة السجن مقابل السجائر أيضا . . وقد اكتشفت ان بين الكتب الموجودة بالسجن الكتب التى كنت ارسلها لزوجى وقد أسعدنى هذا جدا ، وأسفت لان بعض الكتب كنت استردها ثانية بعد أن يقوموا ، وزوجى وزملاؤه ، بقراءتها ، فلم أكن أعلم اننى سأكون يوما ما فى أشد الحاجة لمثل هذه الكتب القيمة . .

اما الجرائد فكانت مشكلة كبيرة ، فلا أحد يقرأ الجرائد فى سجن النساء ولو تم ضبط « جورنال » واحد لأصبح مكشوفا أنه يخصنا ، وقد وصل ما ندفعه ثمنا لجريدة الأهرام إلى « جنيه » كامل وذلك عن طريق مدرس الموسيقى وقد تم ضبطه فيما بعد .

كانت المشكلة كيف سنخفى كل هذا ، كتب وجرائد ، وأيضا اشغال ابرة ، وقد تعلمتها ، وقد كنا نسمى « القفة » التى بها

الإبر والخيوط والكتب « بالقتيل » وكانت السجينات تقدمن المساعدة لنا ولم يكن يفهمن لماذا نحن مضطهدات لهذه الدرجة . .

اما الميزات القليلة فتتمثل فى أنهم تركوا لنا ملا بسنا التى تأتى عن طريق مصلحة السجون وكذلك الطعام الذى يحضره متعهد اسمه « فهمى » كانت المباحث تدفع له فى اليوم ١٧ قرشا عن كل معتقلة وهوطعام أفضل كثيرا من الطعام الغير آدمى الموجود بالسجن

وكنا نعطى منه للسجانة التى تقف على عنبرنا وللزميلات المحكوم عليهن ونعيد طهيه مساء . .

وفى الحياة العامة كنا شركاء فى كل شى ما عدا شيئين : (١) السجائر: لان هناك زميلات لا يدخن . (٢) الشاى لان هناك زميلات يسرفن فى شرب الشاى كثيرا .

وكانت السجانات يستغربن من هذه الحياة الجماعية . . ثم بعد فترة استوعبن هذه الفكرة التى سببت لى بعض المشاكل فى البداية حيث كان على أن أقنع السجينات العاديات أن ما معى ليس ملكا لى ولكنه ملك الحياة الجماعية . . وقد أشتركنا نحن جميعا فى الحياة الجماعية ماعدا زميلتين لم تكونا عضوتين فى الحزب .

وقد استطعنا تهريب النقود بعد أن قامت المباحث العامة بتخفيض المبلغ المسموح بوضعة فى الامانات من عشرين جنيها الي جنيهين فقط للفرد فى الشهر وكان الهدف من القرار تضيق الخناق علينا حيث كان بيننا من لا ياتيها أى مبالغ من الخارج ، هناك زميلات أزواجهن فى السجن أيضا وأطفالهن بالخارج ! فكانت المبالغ الكبيرة فى الامانات تكفى الجميع . ولهذا انقصوها للتعجيز . كنت مقتنعة أن الاعتقال سيدوم مدة طويلة وذلك لان الارهاب الخارجى كان فى منتهى العنف ولان الوضع السياسى بكل تفاصيله لا يبشر بخير .

لقد وصلت السجن فى ١٩ يونيو ، وفى ٢٣ يوليو كانت هناك حالة خاصة ، حالة من الترقب وأنتظار أى قرار بتخفيض المدد أوبالافراج وذلك بالنسبة للمسجونات العاديات ، ودون أن نشعر أنتقلت الينا هذه العدوى ، رغم تفكيرنا وتحليلنا المنطقى للظروف السياسية السائدة التى تتنافى مع هذا الاحساس .

فكنت اقول للزميلات : هذا جنون ، فلن نخرج حاليا . . أمامنا فترة طويلة . . واتهمننى بأننى متشائمة ، والحق انه لم يكن تشاؤما ولكن الوضع السياسى وقتها كان لا يسمح أبداً بالافراج . . ورغم كل هذا كان بصيص من الامل يداعبنا بمناسبة يوم ٢٣ يوليو . . ثم لايلبث ان يتلاشى ويحل محله احساس

عميق بخيبة الأمل . . وبعد ذلك خرجنا فعلاً فى ٢٦ يوليو ولكن عام ١٩٦٣

بعد حوالى شهرين أوثلاثة من وصولى الى السجن تولدت داخلى الرغبة فى الرسم ، وعدم الاستسلام للأمر الواقع . . وحاولت أن أجد حلاً . . كان مدير سجن النساء « حسن الكردى » رجلا طيبا يتمتع بقدر كبير من الانسانية . وكان يحب الرسم ويمارسه فى شكل لوحات تقليدية كان ينقلها من الكتب والمستنسخات وكان يحرص على عرضها على لأخذ رأيى فيها ، وطبعا كنت أجامله مجاملة كبيرة فقد كان أهم شئ عندى أن يساعدنى على الرسم . .

وفعلاً الحمد لله نجحت . أفصحت له عن رغبتى فى الرسم ، فقال : انت تعلمين ان هذا ممنوع تماما بأمر المباحث ، قلت له : أنا مستعدة أرسم لصالح السجن ، تحضروا لى الأدوات والاوراق وبعد ذلك تبيعون اللوحات لصالح السجن . . كنت وقتها قد حصلت على جائزة فى الرسم قدرها مائة جنيه وقد سبب هذا حالة الاحترام داخل السجن والاحساس باننى فنانه كبيرة ، ووافق « حسن الكردى » ، واحضر لى مجموعة ألوان سيئة جداً وقماش من أرخص الأنواع ، طلب منى ألا أرسم السجن ، ووقعت فى حيرة ماذا سأرسم ؟ !

كنت أصعد فوق « سطح » المبنى لارسم أى شىء . . فى البداية كانت الرسومات سيئة . . ولكن بالتدريج بدأت اتجرأ وارسم السجينات ، وكان مدير السجن يأخذ ما أرسمه ويعود بعد فترة ليخبرنى بأنه لا أحد يرغب فى شراء لوحاتى لانها كئيبه . شعرت بالخوف الشديد وأحسست أن فرصة الرسم ستضيع منى ، وبسرعة اقترحت علية بأن اشترى اللوحات أنا وزميلاتى من فلوس الامانات وكنت أطالبه بعمل تخفيض خاص باعتبارى أنا التى رسمتها ، كان ثمن اللوحه محددا باثنين أوثلاثة جنيهات فكنت أشتريها بعد التخفيض بجنيه ونصف ولكن هذه العملية أصبحت متعبة ومكلفه لى جدا . . أرسم ثم أشترى لوحاتى لقد ضقت بذلك .

حق الرسم داخل السجن :

فى نفس الوقت كانت بولى أختى تتحرك من أجل «أسماعيل» زوجها ومن أجلى ظلت نتحرك هنا وهناك حتى تمكنت من الحصول على تصريح لى بالرسم . . وكانت تمدنى بالادوات المطلوبة ، ومفروض أن تتسلم اللوحات عن طريق المباحث تم مصلحة السجون . . الحقيقة أن «بولى » كانت هائلة واليها يرجع الفضل الاكبر فى أكتسابى حق الرسم داخل السجن !

بعد فترة أكتشفت أن هناك أحدى عشر لوحة تمت مصادرتها . . كدت أجن وقررت أن أقوم بتهريب الصور . . وبدأت أواجه مشكاتين :

الاولى : كيف أعمل وأين أرسم ؟ حيث كنت أرسم داخل عنبر ضيق بداخله عشرون زميلة فكانت الصورة تقع كل ٥ دقائق . . وقد استطعت بعد فترة أن أحصل على مكاسب من عباس قطب مدير عام المنطقة وكان رجلا ذكيا وقوى الشخصية ، كان يأخذ بعض اللوحات ليضعها فى منزله مقابل بعض المزايا والتسهيلات لنا مثل ترك باب العنبر مفتوحا ، وعدم التشديد علينا ، وكان يتركنى بعد ساعة الفسحة فى الفناء لارسم أو أذهب الى المغسل لارسم هناك فكان رجلا محبا للفن ولكنه كان يستغل وضعى وأنا سجينة . . وبعد قليل أصبح عندى أحتاج شديد لمثل هذه الميزات لكى استطيع أن أحرك ريشتى .

ان عند (عباس قطب) هذا مجموعة هائلة من أعمالى ..

المشكلة الثانية : كيف سيتم تهريب الصور ، كنت أنتظر حتى تجف اللوحة ثم أنزع القماش من لوح الخشب وأعطيه لأحدى السجانات .. كانت تلفه حول جسمها تحت ملابسها ، كنت أخشى أن يكتشفوا مسألة التهريب هذه لان هذا قد يترتب عليه حرمانى من الرسم تماما ، وهو حق أكتسبته بمعجزه ...

كانت هناك سجانة متخصصة نسميها « القطار السريع » كانت تقوم بتسليم الصور لاختى مقابل مبلغ من المال .. كما ساعدنى بعض الاطباء حيث لم يكن عليهم تفتيش .

ولكن كان أكثر ما يقلقنى هى القيمة الفنية لاعمالى ؟ الزميلات لم تكن لديهن خبرة جمالية وفنية كافيه كانت كل اللوحات عندهن جيدة وناجحة ولذلك كنت أطلب من أختى عن طريق الخطابات السرية أن تعرض الاعمال على فنانين ومتخصصين وطمأنتنى بالفعل أنها عرضت بعض اللوحات على الفنانة تحية حليم وأنجلو دى رفر وأخرين وسعدوا بها كثيرا وأثنوا عليها .

كنت اريد أن أرسم السجن لولا تحذير مدير السجن لى . وقد حدث ذات مرة أن جاء ضابط كبير منهم لاأتذكر اسمه ليفتش على السجن وطلب مقابلتى وسألنى عما ارسمه وهل ارسم السجن أم لا فقلت له أن مدير سجن النساء يمنعنى من رسم السجن فقال له : عندك انجى افلاطون ، هذه فرصه العمر ، دعها ترسم كل شىء بحرية كاملة ، هذا أمر ومن يومها انطلقت بلا قيود أوتردد أرسم وأسجل كل ماأريد داخل السجن ، ومن أهم ماصورت داخل السجن ، انشراح وكان محكوما عليها بالاعدام وتأجل تنفيذ الحكم عاماحتى يبلغ طفلها الفطام ، وطبعا

المحكوم عليهم بالاعدام بوضعون فى زنزانه بحراسة خاصة لكى لاينتحرون ويرتدون ملابس حمراء . وطوال فترة انظار تنفيذ الأعدام على انشراح كنت اشعر بالمأساة الكبرى وراء قصتها فقد قتلت وسرقت تحت ضغط الظروف القاسية والبؤس الفاحش ، ولما طلبت رسمها قال لى المدير « حسن الكردى » إن هذا شىء كئيب ، وفعلا رسمتها هى وابنها ، وكانت هذه الصورة من ضمن الصور التى صادرتها المباحث ، اما الصور الثلاثة التى أفلتها من المصادرة فهى : ١ - الطابور - ٢ - اليمخانة(حجرة الأكل) ٣- شراع الفجر .

وتغير الحال فأبلغنى المدير الجديد بورود إشارة بمنع الرسم لاسباب أمنية .. كدت أجن ، وقررت الابتعاد عن الطريق الرسمى ، وان اقوم بتهريب ما ارسمه ، وبدأت فترة الاعتقال تكتسب اهمية كبيرة حيث بدت كأنها فترة لمزوالة الرسم فكثيرا ماكنت اقول لزميلاتى أتركونى فلا وقت عندى ، ورحت ارسم بلهفة . وبعد فترة احسست بعدم رغبة فى رسم السجن والسجينات وانتابتنى حالة قرف من السجن وبدأت ارسم الطبيعة من وراء القضبان حيث هناك حدائق واشجار وورود ، واهتممت جدا بتصوير شجرة قريبة من اسلاك السجن الشائكة .. كنت ارسمهاكل موسم وقد علمنى هذا التدقيق فى الشىء الواحد

كثيرا ، لاننى لو كنت خارج السجن لما رسمت شجرة واحدة فقط فمجال الاختيار كبير جداً ، وقد سمت زميلاتى هذه الشجره باسمى «شجرة انجى» ..

شىء آخر اثار فى الرغبه فى التصوير ، كان خلف السجن فرع صغير من فروع النيل تعبر فيه مراكب شراعية ، كنا من داخل السجن نشاهد الاشرعه وهى تتحرك وقد تسلقها بعض الرجال ليربطوا القلاع .. كانت حركة الاشرعة تثير فى اشجاناً كثيره ورغبة جامحة فى الحرية والانطلاق كنت مندهشه : الأشرعة تتحرك وتمضى فى طريقها ،نحن ثابتون فى هذا المكان اللعين ، وقد حصلت على اذن من مدير المنطقه عباس قطب للصعود فوق سطح المغسل حيث تتاح رؤية أفضل ، وقد أثار هذا اهتمام السجينات بالمنظر ، فكن إذا ماظهرت المراكب يصحن :« المراكب وصلت » وقد رسمت صوراً كثيرة للشراع تصور ثباتنا وحركة الأشرعة ..

* اما صورى فى المرحلة الاولى فكانت تعبيرا عن السجن ومأساته الكبرى .. حيث اناس يتكدسون فوق بعضهم داخل عنابر قذره يعانون من المعاملة الرديئه .. كان لكل سجينة مأساة اجتماعية ، مثلا تاجر مخدرات يتزوج ويقوم بتشغيل نسائه فى عمليات نقل وتوزيع المخدرات ، وعندما يقبض عليهن يحكم

عليهن «بتأبيده» .. وهكذا يدفعن من حياتهن عشرات السنين . لحماية زوجهن تاجر المخدرات الذى ينعم بالحرية . ومثلا فتاة صغيرة مقبوض عليها فى قضية دعارة ، يستلمها اللصوص ويعلمنها السرقة ..

وكانت الحاصلات على حكم بالمؤبد سواء لمخدرات أولقتل يعشن كملكات للسجن ويحتقرن صاحبات قضايا الدعارة والسرقة ، ويتعاملن معهن على أساس انهن حثالة المجتمع .

وكانت القوادات يحاولن استمالة وتجنيد السجينات الشابات وذات مرة قرر مأمور السجن عز لهن فى عنبر منفصل يقع جوار عنبرنا ، وهنا ثارت مشكله فكلما خرجنا من الحمام وجدناهن يقمن بمعاكستنا بطريقة سافره فشكونا لمدير السجن فضحك وأعتذر ونقلهن إلى مكان آخر ، وكانت غالبية القوادات «إيطاليات ويونانيات» .

وكانت هناك فئة تسمى « عمد السجن » هن السجينات المحكوم عليهن بمدد طويله ، فهن يكتسبن بطول المدة خبرة وتجارب كثيره تجعلهن قادرات على السيطره داخل السجن على بقية المسجونات . وذلك بمساعدة رئيسة السجانات واسمها عليه . كانت عليه شخصيه ظريفه وطيبة القلب . وقد ساعدتنا كثيرا لانها كانت تكن لنا مشاعر حب . ولكن كانت هناك باش سجانه

اسمها ام البرنس . كانت فظة قاسية القلب . فكانت تغلق علينا الابواب ولاتفتحها إلا فى الميعاد الرسمى المحدد . ولاتستجيب لأى رجاء أو عذر منا . وكانت تخاف من نفسها . فترفض أن تاكل أى طعام نقدمه لها ، وذلك حتى لاتضعف فتلين معنا وتعاملنا بانسانيه .

وقد علمتنا الحياة فى السجن اشياء كثيره وغريبه . فمثلا كلمه . اختى لها دلالة خطره . فهى تعنى العشيقه التى تقوم بينها وبين مسجونة أخرى علاقه جنسيه وهذا شىء متعارف عليه بين السجينات . سألتنى احداهن مرة اين اختك فأجبتها انها خارج السجن ، فاندهشت . وبعد فترة أدركن ان مثل هذه العلاقات لا تنشأ بيننا .كذلك كن يستغربن كثيرا من فكرة الحياة العامه . إذ لاتوجد ملكية خاصه بيننا . كل واحدة منا تملك شيئا فهو لنا جميعا .وقد زاد هذا كله احترامهن لنا ، بالاضافه ، الى ان علاقاتنا بهن كانت طيبه .

الفلاحه فتحيه :

اذكر من بينهن فتاة فلاحة رائعة الجمال اسمها فتحيه .قتلت فتحيه والدها لانه حاول أن يزوجها بالقوة من رجل طاعن فى السن . كانت فتحية تخبىء الجوابات المرسله لنا من

الخارج . وتسلمها لنا لنقرأها قبل أن تعطيها للمكتب . ونردها لها فتعيدها هى الى المكتب كأن لم يحدث شىء . وتمكنت من ذلك لانها كانت تقوم بتنظيف مكتب مأمور السجن .

وكانت فتحية الجميله هذه على علاقه حب مع سيده مدمنة فى العلاقات الجنسيه مع الستات . وكانت هذه المرأة ترتكب السرقه أو الضرب لتدخل السجن وتقيم علاقات مع المسجونات وكانت قريبة الشبه بالرجال وتدعى «نأطة» فهو اسم الشهرة وكانت نأطة هذه ترسل بالنقود لفتحية وتعولها وهى خارج وداخل السجن ، وفى فترة ما تأخرت نأطة فى إرسال النقود لفتحية فأقامت الأخيرة علاقة مع سجينة أخرى ، وعلمت نأطة بهذه الخيانة ، وفى يوم كنا نجلس على المصطبة قبل التمام نتحدث ونتفرج على الايراد الجديد (أى المسجونات الجدد) وإذا بصوت يصرخ والجميع يجرى ويقولون بصوت عال«نأطةوصلت» ثم جاءت الباش سجانة لتدخلنا العنابر وتعلن حالة الطوارىء لمدة أسبوع وتخزين فتحية أى رجعوها إلى العنبر وعدم نزولها الحوش ، وأقسمت نأطة أنها ستقتل فتحية الخائنة ! ولكن الباشسجانة أستطاعت أن تهدىء من روعها وذلك بتزويجها من سجينة جديدة صغيرةوجميلة أيضا ، فقد كانت السجانة تقوم بتزويج وتطليق المسجونات وعندما صدر الأمر

بتخزين فتحية توترنا بشدة لمسألة الجوابات ، ولكن بعد زواج نأطة من السجينه الأخرى عاد الوضع الى ماكان عليه . ،

القصر العينى

لم يكن المأمور حسن الكردى معنا طوال فترة الاعتقال بل كان فى سنه(١٩٥٩/ ١٩٦٠) فقط ثم جاء عبد القادر فهمى الذى تحدثت عنه من قبل سنه(١٩٦٠-١٩٦٢) تقريبا فكانت مرحلة توليه المعتقل من أسوأ المراحل التى عشناها .

وفى هذه الفتره أحسسنا بالملل وطول الوقت ، ولم يكن من الممكن أن يساعدنا أحد سوى الاطباء فهم الذين يستطيعون أن ينقلونا إلى المستشفيات ، وقررنا أن نذهب إلى المستشفيات طالما أن الأتصال بالخارج والزيارات أصبح مستحيلاً ، وبذلنا مساعى كثيرة ، وأدعيت أننى مصابة بمرض جلدى خطير وبالفعل نجحت عائلتى بالاتصال بطبيب بالقصر العينى والاتفاق معه على بقائى للقيام بتحاليل لأن المرض خطير !! كان ذلك فى عام ١٩٦٠وكان هذا الدكتور الذى وافق على بقائى فى القصر تحت مسئوليته هو عبد المنعم المفتى وكان رجلاً شجاعاً وإنساناً بحق ، فهو لم يخف كبقية الأطباء الذين كانوا يتهربون من «بولى» أختى اذا طلبت منهم أى شىء .

وكان فى القصرعنبران مخصصان للمعتقلين السياسين ، أحدهما للنساء والأخر للرجال وكان كل من العنبرين محاطاً بحراسة مشددة إذ خصص له ستة عساكر وضابطين يتغيرون كل ست ساعات ، وكانت الحياة بالقصر العينى ممكنه وبشروط أفضل بكثير من السجن فكنا نستطيع أن نرى أهلنا من الشبابيك ونرى الزملاء المعتقلين وكان الأكل أفضل من الطعام فى السجن كما كنا نقرأ الجرائد والكتب .

وعندما كنت فى القصـر حدث شىء هام هو اعلانى بالقضية ، كانت تهمتى أنى أحد قيادات اللجنه المركزية للحزب الشيوعى وتهمة القيادة معروف حكمها ، عشر سنوات كما حدث مع كثير من الزملاء . إذ تراوحت الأحكام بين ثمانية وعشرة أعوام ..

وكان المحامى الموكل للدفاع عنى محامياً شهيراً هو الاستاذ /محمد عبد الله وسبق له أن دافع عن اسماعيل صبرى عبد الله عام ١٩٥٦ ، ويعرفنى جيداً وزارنى فى القصر العينى وقد أخذ الإذن من النيابه ولكن كان لابد من وجود الضابط اثناء مقابلته لى فرفضت ولكنه أقنعنى بأنه لامفر خاصة أن القضية بعد أسبوع واحد وضرورى أن نتناقش معاً ، وتكلمنا معاً بالفرنسية لكى لايتابع الضابط الحديث ولكن بعد دقائق فوجئنا

بالضابط يتكلم هو الأخر الفرنسية !!

وقال الأستاذ محمد عبد الله إنه ليس هناك شيء خطير على سوى شهرتى ووصفى السياسى وأن دفاعه الاساسى سيكون مبنياً على فكرة انى سيدة فرنسية التكوين ولاأعرف العربيه وقال لى أنهم وجدوا فيما أخذوه من عندى ورقه مكتوبة باللغه العربية ولكن بحروف لاتينيه وعليها حرف (ع) والاتهام يقرر أن اسمى الحركى «عنان» وكان هذا صحيحاً . ولكن «عنان» هذا من الممكن أن يكون أسم رجل أيضاً وكانت هذهالورقه هى أخطر شيء وجد لدى لانها توضح اننى عنصر قيادى لم يكن أمام الأستاذ سوى انكاره معرفتى تماماً باللغه العربية وكنت فى الحقيقه أرغب بشدة أن اتحدث باللغه العربية التى تعلمتها وكنت فخورة بذلك بعدما كنت أتكلم فقط باللغه الفرنسية ، وطلب منى أيضاً ألا أقدم دفاعا سياسياً ولا ديمقراطيا نسائيا ،فهذه تزيد من التهمة ، وتجعل وضعى اسوأمما أنا عليه ، وقررت ألا اتحدث نهائيا لاباللغة الفرنسية رلا العربية وبعدأسبوع نقلونى إلى المحكمه ، كانت محكمة أمن دولة والجلسه علنية وليست سرية ، لكن لايحضرها غير أهل المتهم وغير مسموح بحضور الجمهور أو الصحافة ، وهناك فوجئت بالزميل الذى كان معى فى الاجتماع وقبض عليه ، فتظاهرنا بعدم معرفة أحدنا بالأخر .

حضرت جلسة المحكمة أمى وأختى وجاءت معهما سيزا نبراوى وجلسنا نتحدث معاً إلى أن يأتى دورقضيتى التى كانت فى آخر الجلسة وخاصة أن فى هذا اليوم كانت الجلسة مليئة بأصحاب القضايا وكانت القاعة غاية فى الصخب ولم استطع

سماع أسمى عندما نادى الحاجب على قضيتى التى نظرتها المحكمة فى أول الجلسة على الرغم من أنها كانت فى آخر كشف القضايا (الرول)ولما سمعت أسمى بصعوبة حاولت أن أذهب عند منصة القضاء لكى أقف داخل قفص الاتهام ولكننى لم أستطع لكثرة الموجودين داخل القاعة ولم يكن هناك طريق لكى أصل إلى هناك فأشرت بيدى وفهموا اننى غير قادرة على الوصول اليهم ، فجاءنى عسكرى وأفسح لى الطريق .

ويومها كنت أرتدى «تايير» بسيط وشيك ، ووقتها كان عضو النيابه طوال الوقت لايكف عن سبنا وأهانتنا كأنها قضية شخصية بينه وبيننا ، وكان اسمه «سمير ناجى» وبدأ كلامه إلى قائلا : تصور ياسيادة الرئيس أنهم يقولون أن عبد الناصر ديكتاتور !!

فوقف محمد عبد الله مقاطعاً قائلا :

أنا أعترض على كل هذه الاهانات والشتائم التى تمس رئيس

الجمهورية.

فأرتبك سمير ناجى تماماً وتوتر بشدة وقل حماسه واندفاعه وامتلأ وجهه بالعرق وبعد ما أنهى دفاعه ، فجأة طلب التحدث دقيقه واحدة ليطلع القضاة على صورتى وأنا مرتدية زى الفلاحة كدليل قوى على التنكر فنظروا إلى الصورة واندهشوا ثم ضحكوا وهم ينظرون لى وإلى الصورة الطريفة وبدا عليهم التعاطف معى ، وانقلب الموقف لصالحى على عكس ماتصور رئيس النيابه .

وعندما تحدث محمد عبد الله الذى كان بارعاً فى دفاعه عنى قال :

إن هذه السيدة ذات ثقافة وتربيه فرنسية ، ومن المستحيل أن تكون هى كاتبه هذه الورقة المدونه باللغة العربية .

وكان محمد عبد الله يبنى دفاعه على أساس هذه النقطة .

ولم أسمع الحكم الذى صدر من شدة الصخب وبصعوبة سمعت رئيس المحكمة وهو يشير إلى سنحكم عليك بسنتين سجن وقد قضيت المدة وكان يخاطبنى كأب يتحدث مع ابنتة ويحثها على عدم الشقاوة !!

ولما خرجنا سمعنا زغاريد كثير من الناس وطلبوا من أمى

نقوداً لإن أى متهم بالشيوعية عندما يحكم عليه بسنتين يعنى ذلك إنها افراج !

* ذهبت بعد ذلك إلى القصر العينى ورحلونى بعد يوم وكانت تصلنى رسائل من الزميلات تحذرنى بعدم الرجوع إلى السجن فى هذا الوقت لأن المامور الجديد فظيع وظروف السجن سيئة للغاية وغير محتملةولكن الملل تملكنى ولم يكن لدى أى استعداد للبقاء فى القصر العينى وقد ساعد على ذلك ان الدكتور حسن الذى كان يباشرنى أقنعنى بضرورةالعودة إلى السجن والابتعاد عن هذا التوتر ومحاصرة المباحث الشديدة للقصر العينى والضغوط التى كانو يفرضونها علينا فذات مرة ونحن نيام تماما ، جاءت المباحث ودخلت العنبر وقامت بالتفتيش دون مراعاة لأى اعتبار فهم يفعلون أى شىء وفى أى وقت ، وكان الاطباء الذين يباشروننا يساعدوننا كثيراًوخاصة أطباء الأمتياز ، فذات مره اعطانى د. حسين دواء لأنام ، ثم دخل ليوقظنى بعد فترة ويسأل عن صحتى وكانت الحجرةمظلمة وكنت نائمة نوماً عميقاً من أثر الدواء ، ففتحت عينى فوجدت بجانبى رجلاً وتصورت انه مباحث ، فصرخت فأندهش فقال . جرى أيه وجرى ، فضحكت ضحكة هيسترية وحاولت أن أشرح له الموقف وجاء الضابط ليسأل عن ماحدث ؟

فقلت له إنى كنت أحلم ، وعلى أثر هذه الحادثه أحسست بشدة أن اعصابى تزداد توتراً يوماً بعد يوم مما جعلنى أيضاً أقرر العوده الى السجن

قبل ذلك أيضا كانت قد حدثت حالة وفاة محزنة ومؤسفه لأحد الزملاء الرجال ، كان اسمه «سيد»وكان عاملاً بسيطا نقلوه إلى المستشفى من معتقل الفيوم مصاباً بقرحة متقدمة فى المعدة وينزف دائماًوكان سيد شخصاً شهماً ومرحاً وأحبه الجميع ، ودخل فى غيبوبه طويلة وبقى إلى جواره عدد من الأطباء يحاولون اسعافه ومساعدته ونحن حولهم لخمسة ايام وليالى طويله ولكن دون جدوى . وقد كان فقد سيد على هذا النحو صعبا ومؤثرا فى نفسى . والعجيب اننى لم أجد ما أفعله لكسر هذا الحزن سوى أن اسجل هذا الوضع المأساوى لمناضل شاب فى ربيع عمره . جلست ارسم وقلبى مليىء بالشجن والحزن ودموعى تتساقط على ورقى .

العودة الى سجن القناطر .

بعد صدور الحكم بالسجن تقرر ترحيلى من القصر العينى الى سجن النساء بالقناطر . وقد استرحت لقرار الترحيل لانى طهقت من الجو فى القصر العينى . واستعداداً للرحيل طلبت من

اختى أن تحضر شيكولاته وحلويات من جروبى .

كان ذلك يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ وكنت انوى الاحتفال مع الزميلات برأس السنة فى السجن .

القطه مطالب .

وكانت عندى قطة صغيره احببتها وسميتها مطالب لانى كنت كلما اعطيتها اللبن تقول هل من مزيد ووضعتها فى جيب جاكتتى لانها كما قلت صغيره . وكنت اتحدث مع الضابط فى السيارة التى رحلتنى للسجن فسمع الضابط مواءها وتساءل فأخبرته الحقيقه وانى انوى تهريبها معى داخل السجن وعلى فكره توجد بالسجن قطط متوحشه مثل المؤبدين المحكوم عليهم بالسجن المؤبد فلما وصلت للسجن جاءت احدى الملاحظات واسمها كاميليا فرحت بها لأنها ستساعدنى فى تهريب الحلويات للداخل لكن كاميليا فاجأتنى بالخوف والهلع . قالت انك لاتعرفين هذا المأمور مأمور السجن الجديد ، لوعرف فسيرمينى فى داهيه . طمأنتها وهدأتها .ووعدتها بهديه حلوه وفتحت حقيبتى. كان فى الحقيبه هديتان من فرنسا من خالتى انجى ، اخذتهما كاميليا وتشجعت . وأوصتنى بأكل الحلويات فوراً لأن المأمور لن يتوانى عن تفتيش العنبر بنفسه . كان الجو فى السجن مغايراً لما كان سائداً من قبل أن اغادره الى القصر العينى الجو

الأن كله إرهاب وخوف . أسرعت فى حوش السجن مع الملاحظه كاميلياومعها الحلويات الى العنبر واستقبلتنى الزميلات بسيل من الاسئله . ولما علمن بأن الحكم قضى بسنتين قلن مبروك .. سلمتهن الحلويات وبسرعة رجعت الى البوابه (مدخل السجن).والمأمور سألنى أسئله كثيرة تماما كما يفعل رجال المباحث .ووجد خطابا عاطفيا مخبأ فى علبة السجاير ، قلت له انه خطاب عاطفى شخصى وخاص وبعد التفتيش والاسئله السخيفه أجاز المأمور دخولى . ووجدت الملاحظه كاميليا تحدثنى بالأشاره وهمست تقول سيأتى خلفنا .

كنت سعيده لأنى اعتقدت انى فى هذه المره سأسكن فى «الهيلتون» . فى حجرة بسرير خاص بى فى مبنى مستشفى السجن ، وليس فى عنبر المسجونات تحت التحقيق أو المحكوم عليهن ولكنى فوجئت بأن ادخلونى فى حجرة مزدوجه . وفيها زميلات قبض عليهن فى حملة جديده اثناء غيابى فى القصر العينى . وكانت الحجره مزدحمه بسراير ذات الادوار الثلاثه . ومن الزميلات الجديدات زينات المهدوى ومعها طفلها طارق وكان عمره ثلاث سنوات .

وايضا نوال الحملاوى. وثريا أدهم صديقتى حيث تغير مركزها من معتقله الى متهمه تحت التحقيق . ووجدت ثريا

لاتستجيب لندائى متظاهرة بالنوم . وأشارت لى ان نومها خداع . وكانت على حق فقد دخل المأمور ورائى وتظاهر بالأنسانية قائلا سلامتك ياثريا .. ولما خرج المأمور قامت ثريا وكانت تخبىء الحلويات معها وهى تتناوم وبهذه الطريقه انقذتها من يد التفتيش .

وفجأه تذكرت القطه . نسيت (مطالب) .

طلبت من السجانه البحث عنها . وفى الصباح احضروها لى . جهزت لها علبة وفرشتها بالرمل . كانت صغيره جداً ولا تقوى على القفز من الحواجز ووقت التمام كان فى الساعه الخامسه بعد الظهر حيث تغلق الأبواب حتى الصباح . وحدث أن مطالب تأخرت فى الحوش . وجاءت بعد غلق الباب كنا فى الشتاء . وخوفا عليها من البرد طلبت من السجانه رعايتها وتغطيتها معها .

كانت السجانة تنام فى الممر . وأبواب الممرات تغلق كعنابر المساجين فى الصباح سلمتنى القطة ولكنها كانت تسب وتشتم لأن القطة وسختها . بسرعة تعودت القطة على نظام السجن . فقبل غلق الأبواب كنت أناديها .. مطالب .. مطالب .. فتأتى كالريح .. وكان المساجين حين يسمعون ندائى ترتفع أصواتهم ضاحكة وينادون الست مطالب .. الشيوعية مطالب ..

وحدث مرة أن قررنا الوقوف فى باب حجرتنا لسده حتى لا يحاول المأمور دخول الحجرة أثناء جولة تفتيشيه . وقفت مطالب معنا انتباه . فلما رآها المأمور قال عجيبه هذه القطة ليست من قطط السجن . قلت ياسلام .. العجيبه ان يكون للسجن قطط خاصه : وبصراحه ياحضرة المأمور انا ادخلتها معى خفيه . فاذا رأيت انى استحق التأديب على هذه الفعله فانا مستعده . وانتهت المسأله بسلام لأنى رسامه .

ونادرة اخرى ظريفه لمطالب . كان لاحدى المسجونات القوادات قط مشمشى خفيف الحركه وكان يطارد قطتى ، لكنها كانت نافرة منه ورافضه لصحبته . وكثيرا ما اصابها بجروح من مهارشته . عملت زميلاتى من الحكاية مادة تسليه .. لأن ابن القواده يريد الزواج من بنت انجى افلاطـــــون .. ولاطبقات فى الحب .. !!

بعد فتره ضاقت زميلاتى بالقطه ومشاكلها وخوفا من جروحها وخطرها على الصحه قررن ضرورة الخلاص منها . كنت حقا حزينه لذلك ولكن ما باليد حيله . اعطيت القطه لعسكرى ليبعدها بعيدا وانتهينا .

ولكن لا . فبعد شهر تقريبا عادت مطالب الى السجن والقت

بنفسها فى حجرى .. كيف عادت وليس صحيحا القول بان القطط خائنه .

واخيرا جاءت الفرصه . كانت احدى الزميلات ذاهبه لمستشفى القصر العينى فاخذت معها القطه حبث تخلصنت منها فاستراح الجميع إلا أنا فقد وجع قلبى فراقها وبكيت . ولكن للضرورة أحكام .

الحياة الجماعيه .

حياتنا فى السجن جماعيه . نعيش معاً ليلا ونهاراً شركاء فى كل شيء ، فى المأكل والمشرب فى المعاناة وتحمل الأذى .

فى الحرمان والقلق ، وحتى فى الحمام فا لأدشاش مرصوصيه بلاسواتر فنذهب جماعه ونخلع الملابس ونستحم عرايا كلنا معاً . لاشيء يخفى من شخصية الانسان ومن طباعه ، كله علي المكشوف وبصراحه . وطبعا توجد فروق فى السلوك والاهتمامات ومن الصعب ارضاء عشرين إمرأه . ثم ان المرأة عموما تتكلم بصوت عالٍ . وهذه العاده كانت تجننى أنا . ولم أكن وحيدة فى ذلك . كنا مدركات أننا سنقضى فى السجن مدة طويله . ومن المهم ان تحافظ الواحدة منا على نفسها صحيا ومعنويا . وأنا كنت خائفه من ناحية العصبيه لان الحياة توتر شديد فى

السجن . فى السجن مثلا الف امرأه .وأصواتهن رنانة . وكان بجوارنا عنبر المتسولات يجمع فيه الايراد الجديد ثم يصير توزيعه . وطول الليل كنا فى ضجيج يصل للسماء . الجو كله ملوث بالضجه والصراخ . قلت لابد من تنظيم حياتنا لاننا سنعيش هنا مدة طويله . لادخل للتشاؤم لكن التنظيم ضرورى . كله بالمواعيد . مواعيد للهدوء والتأمل ، وليكن الحديث همساً . ثم القراءة والدراسه ولو بالمناقشة الخافته . ابواب العنابر تفتح فى الساعه السابعه صباحا فلابد من تحديد ميعاد للنوم . كان نور العنبر يطفأ فى الساعه ٢ صباحا . فقررنا أن يكون الاطفاء الساعة ١١ مساء . واتفقنا أن ننظف العنبر بعد الغذاء مع فترة هدوء وسكوت لمده ساعه للراحه ظهراً.

ساعدتنى فى هذا كثيرا زميلتى صهباء زوجه الشاعر / معين بسيسو الله برحمه . وهى سيده ممتازه من أحسن الزميلات فى السجن من ناحيه الرقة والصمود . وكمال الاخلاق والظرف . وكان زوجها يرسل لها الخطابات وفيها قصائد شعريه . وكنا نطلب منها ان تقرأ لنا بصوت عال إفه شعر وفن وأدب . مكثت صهباء معنا سنة ثم أفرج عنها .

العمل الحزبى . وحرص على الوحده .

كانت الزميلات جميعا حريصات على استمرار العمل الحزبى الحزب تكون بعد الوحده ثم حدث انقسام وخرجت أقلية هى حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى) . وكان دائما فية أزمات ، وكنا نعقد اجتماعات حزبية باستمرار لحل الخلافات ومواجهة الصعوبات وكانت معنا زميلتان من الاقلية المنشقة . كانت واحدة معتقله والأخرى محكوم عليها بالسجن ٥ سنوات وهى مارى بابا دبلو ، زميلة يونانية . وقد رحلوهاالى اليونان بعد انتهاء مدة الحكم . هاتان الزميلتان لم تكونا عضوتين فى الحزب فلا تحضران الاجتماعات . لكنهما كانتا من احسن الزميلات وكانتا تحرصان على مشاركتنا فى المواقف التى نقررها على أساس انها قرارات الأغلبية الساحقة .

وانا كنت حريصة على وحدتنا نحن المسجونات .

كانت تصلنا من زملائنا فى سجن الرجال المجاور قرارات حزبيه . منها قرار بالأضراب ينفذوته بعد يومين وطلبوا منا الاضراب معهم .

قلنا لا . الاضراب سلاح يستخدم فى المشاكل الهامة جداً ولايجب حرقه . لكن تضامنا معكم سنكلف ثلاث سيدات

ليضربن عن الطعام معكم لمدة يومين فقط .

رد زملاؤنا بقولهم ان هذا أمر ولا بد من الالتزام بتنفيذه .

وكان جوابنا أن لجنتنا القياديه هى التى تقدر صلاحية قرارات سجن الرجال وهى التى تقرر ماايناسبنا تنفيذه . وان غالبية الزميلات غير مقتنعات بصحة الأضراب . ونحن حريصات على وحدتنا . وقراراتنا تصدر بالأغلبية بعد أخذ الأصوات التزاماً بالديموقراطية.

من أساليب ادارة السجن . عادة ما يحدث الاحتكاك بين المسجونين وإدارة السجن . وكان هذا يحدث معنا أيضا . فمرة حاولت أدارة السجن ان تحصل منا على طلبات بالأفراج عنا على اساس أن الافراج ممكن .

وكان هذا بعيدا عن الواقع . ولو صحت الأمكانية لتولته المباحث العامه وليس إدارة السجن . كل ما فى الامر أن المأمور كان يحاول اثبات قدرته لجهاز المباحث يبدأ بطلب الأفراج لينتهى بالاستنكار واتفقنا على تفويت هذه الفرصة علية .

وقفلنا الموضوع معه بلباقه . زميلتنا نوال الحملاوى كان قبض عليها مع زينات ومجموعه . وأتمت مدة العقوبه وتقرر الافراج عنها .

لكنها عادت فى اليوم التالى للسجن لانهم طلبوا منها ان تكتب اعترفات واستنكار فرفضت .

مأمور السجن هذا كان عبد القادر فهمى ، وكان هو ايضا المأمور لما انتهت المدة المحكوم بها على . ويومها عملت نكته . حركه مسرحية .

اخذت الكرسى وقعدت فى وسط حوش السجن . وجاء حضرة المأمور متسائلا ما الحكايه وماذا أفعل ؟ قلت مدة سجنى انتهت .

وانا منتظره أروح لبيتى أو أروح للمعتقل أو اخرج للحبس ثلاثه شهور لعدم دفع الغرامة المحكوم بها على . طبعا كنت متأكده انه لن يحدث الأفراج . لكنى كنت الهو . قال المأمور لم تصلنى تعليمات .

وبعد ساعة تقريبا نادى على واخبرنى أن أمر اعتقالى وصله . وانه قرر حرمانى من حق الرسم وسحب فعلاً ادوات الرسم منى .

قلت له كيف ذلك وانا متمتعه بحق الرسم وبطريقة مشروعه .

فقال لابد لك من أمر جديد باعتبارك معتقلة . المهم جاء الأمر

وبعد ذلك تم نقل هذا المأمور واسترحنا منه .

الافراج عن خمس زميلات :

اروى الأن واقعه هامه جداً حصلت سنة ١٩٦٢ بعد ثلاث سنوات تقريبا من اعتقالنا . فلأول مرة فى تاريخ السجون النسائية تقوم المباحث العامة بكبسة ليلية للتفتيش . كان باب العنبر قد أغلق كالمعتاد فى كل ليله على ان يفتح فى الصباح . لكنهم فى تلك الليله فتحوه فجأة ثم اعلنوا الافراج عن خمسة زميلات وهن اجلال الحسينى – إنتصار خطاب – ليلى عبد الحكيم – ليلى شعيب – ليلى الشال .

فرحنا للخير لكن تدفق الفرحة لم يكن قويا كعادتنا .

ظهرت بعض ظلال اليأس العابره . إفبعد سنوات ثلاثه فى السجن يتم الافراج عن خمسة فقط ؟ ثم لماذا لم يكن الافراج للجميع ؟

مضت زميلاتنا الخمسة وكان الوداع عاطفيا مؤثرا .

لكن الحكاية عاشت معنا أياما . وفكرنا هكذا . لوانهم افرجوا عن خمسة كل ثلاث سنوات ، فستبقى منا زميلات فى السجن لمدة عشرين سنه حتى يأتى عليهن الدور .

فألاعتقال يتم بأمر رئيس الجمهورية وهو غير محدود المده.

سيحصل لنا ما حصل للمناضلين فى اسبانيا على يد فرانكو. دخلنا المعتقل ونحن شبات لنخرج منه عجائز نستند على العكاكيز!

وازاء هذه الحالة النفسية السيئه كان لابد من عمل شيء لطرد الكآبه ورفع الروح لمعنويه :

قررنا إقامة حفلة للزميلات اصحاب الاحكام . ندعوهن للمبيت معنا ونطهو الطعام ونعد الشاى وننطلق لتسود البهجة . كانت هذه الليلة الموعودة بعد خمسة أيام من خروج الزميلات المفرج عنهن . وكانت هى ايضا من ليالى البو سته .

كان لنا اتصال بزملائنا المعتقلين فى الواحات . كنا مشغولين على الآخر . نحضر للحفلة ونكتب الخطابات . هربنا وابور جاز لنعد عليه الطعام بدلا من الطوطو وانطلقنا نعمل .

وساد جو المرح ونحن فى امان الله بقمصان النوم والأرواب .

وفجأه انفتح باب العنبر ودخلت الباش سجانه وهى تحاول ان تخبرنا بحركات الوجة فقط أن كارثة حصلت . وفى ثوان تبعها خمسون رجلاً من المباحث العامه للتفتيش .

طبعا كل الممنوعات عندنا كانت مكشوفه . وفى ٣ دقائق كان رجال المباحث ينتقلون فوق الاسرة كالقرود بحثا وتفتيشا .

وكانت الزميلة ثريا أدهم مشغوله بكتابة رسالة للدكتوره حكمت ابوزيد بمناسبة تعيينها وزيرة الشئون الاجتماعية .

كنا قد كلفنا ثريا بكتابة الرسالة لشرح مانعانيه ولطلب مساعدتها فى الافراج عنا . وكان أملنا فى الوزيرة كبيراً لانها تعرفنا وسبق أن اشتغلنا معها فى الحركة النسائية وفى الانتخاب . ولكن فوجئت ثريا بالمباحث قبلعت الرسالة .

وكان عندنا مخبأ نخفى فيه الأوراق الحزبيه .ولكنهم لحسن الحظ لم يعثروا على هذا المخبأ .

ولو كانوا عثروا علية لراودنا الشك فى الزميلات الخمسة المفرج عنهن . وفى رجل السرير الخاص بزميلتنا ميرى بابا دوبولو اليونانيه عثروا على بعض التقارير السياسية . كما عثروا عندنا على خطابات عاطفيه استدلوا منها بوجود اتصال مع زملائنا فى معتقل الواحات .

وكذلك عثروا على كتب وعلى أقلام .

وكان مع رجال المباحث بعض السيدات استعداداً لتفتيشنا شخصيا بدقه . لكننا رفضنا بشده وهددنا بالمقاومة حتى النهايه. وتحت هذا التهديد عدلوا عن التفتيش وانصرفوا . فى الصباح توجهنا لادارة السجن للاحتجاج على التفتيش لأنه اعتداء على

حرفة المرأه .

الإضراب .

فى وسط الجو المتوتر بدأنا نحن نفكر فى القيام باضراب عن الطعام حتى تمام الافراج . أما المطالب العاجله فكانت السماح لنا بالحصول على الكتب والصحف وكذلك الزيارات والسماح لنا بتحضير طعامنا بأنفسنا .

ان إقناع الزميلات بالإضراب هو ضمان النجاح . ولهذا حرصنا على استمرار المناقشة وصولا للاقتناع الكامل .

كان قرار الأضراب هو قرارنا ليس بتعليمات حزبيه . ونحن حددنا البداية . اتذكر جيدا ان الاضراب كان قبل انقلاب عبد السلام عارف ضد عبد الكريم قاسم فى العراق ومذبحة الشيوعيين على يد حزب البعث .

فى السجن لا يعرف أحد التاريخ باليوم والشهر ، فلأيام تمضى متشابهة كما تمضى الشهور كذلك . اما تحديد ميعاد الوقائع فيتم بربطها بأحداث عامه مشهوره . وعلى هذا الأساس يكون تعيين موعد الأضراب بأنه كان فى شهر ديسمبر ١٩٦٢ .

وكان هو أول اضراب سياسى فى تاريخ السجون النسائيه المصرية .

وقبيل بدء الاضراب تمكنت من الذهاب لمستشفى القصر العينى وهناك التقيت بأختى بولى وإخبرتها بالاضراب لتعمل على توصيل الخبر للخارج حيث كانت لها اتصالات بالمنظمات الديمقراطية واوصينها ان تهتم بالاتصال بالاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى لان هذا الاتحاد كان فى ذلك الوقت بقود حملة دولية للمطالبة بالافراج عنا .

فى اليوم السابق على الاضراب ارسل زملاؤنا فى سجن الرجال المجاور نصائحهم بأن نشرب الشربة كثيرا وتمتنع عن بذل أى مجهود كيما يطول الاضراب . فى الليلة السابقة على بدء الاضراب اكلنا كثيرا وشربنا كثيراً وكنا جميعا فى غاية الحماس وعلى اتم الاستعداد .

وحل اليوم الموعود . لكن صبحة طلع على مأساة جعلت السجينات جميعا يندبن ويصرخن . عليه ماتت .

كانت عليه سجانه محبوبه جدا فى السجن . ماتت فى المستشفى أثناء الولاده وهى أم لعيال صغار . وبكاها السجن كله. وكان عطفها علينا شديدا وكنا نحبها جدا لطيبتها وذكائها وعطفها . كان موتها كارثة لنا أيضا وبخاصه أن الوفاة جاءت يوم الإضراب . فلما جاءوا لنا بطعام الافطار قلنا للباش سجانه اننا

مضربات .

قالت مستنكرة كفاية . . عليه ماتت وأجهشت بالبكاء . لم يكن من الممكن تأجيل الاضراب . فخير الاضراب قد وصل مقدما لجميع السجون والمعتقلات وللخارج أيضا .

كان الضابط صاحب الوردية محبا للفن وكان يقدرنى ويحترمنى وكثيرا ما كان يحضر لى كتبا فنية صغيره . طلب الضابط وفداً منا . وكنت ضمن هذا الوفد . وقد اخبرناه بأننا مضربات حتى الافراج . وعددنا مطالبنا السابق ذكرها . سأل ومن المضربات . كلنا طبعا . قال أريد الأسماء . كلنا مضربات . سأل حتى حدتو ؟ قلت لا أعرف عما تتكلم حضرتك . لكن كلنا مضربات ماعدا المسجونه زميلتنا ميرى بابا دوبولو . فعلق الضابط بقوله براڤو . أول مرة حدتو نشترك فى اضراب . امسكت نفسى حتى لا يغلبنى الضحك لتعليقه هذا ، وتظاهرت بعدم الفهم ، ورجوته ابلاغ النيابة .

بعد قليل انقلبت الدينا . كل شويه زياره . وضابط من مصلحة السجون . . وبعده ضابط أكبر فى الرتبه . . وجاء مدير المنطقة ونادراً ما كان يمر على السجن . وهو يعرفنا كما نعرفه كان رجلا صعيديا فى غايه الجمال والوسامه . شكله مثل چيف شاندلر الممثل الامريكى المشهور . ولكنه كان شديد الحياء كمثل

البنت العذراء . وعرفنا فيه هذا الطبع كنا نعاكسة . نقول اثناء مروره . تضعنا الحكومة فى السجن ، وتجعل المسئول عنا هذا الرجل الحلو ! حكومة لا تعرف العيب

جاء هذا المدير يناقشنا فى الاضراب . ويظهر خوفه الشديد على صحتنا ويعد بالأفراج عنا . وكنا نرد عليه بأن الحبس والأفراج ليس من اختصاصه . وليعلم اننا لا نأكل من هذا الكلام . وكان يقابل كلا منا بالكسوف والاستغراب .

وكان المفروض أن تحضر النيابه للتحقيق فى اليوم التالى لبدء الاضراب . لكنها لم تحضر الا فى اليوم الخامس . كان وكيل النيابة بتمتع بقدر كبير من السخافة . جاء ومعة اثنان . تنبهت زميلتنا فاطمة زكى وسألت من هما .؟

قال الاثنان انهما مع النيابة . طلبنا الإطلاع على تحقيق الشخصية . فظهر أن الاثنين من المباحث رفضنا حضورهما فخرجا من العنبر .

سجلنا احتجاجنا على سياسة القهر ولم تقبل فك الاضراب وكان شعارنا الافراج أو الموت . وطلبنا الافراج الفورى واتهمنا وكيل النيابه بالتواطؤ مع المباحث وبالتآمر فى التحقيق .

إلى المستشفى .

بعد ذلك صدر الأمر بنقلنا الى مستشفى السجن وكل نصف ساعه يجرى الدكاترة علينا الكشف والوزن وقياس الضغط . . الخ وعطف الدكاترة كان علينا كبيرا . وكان احدهم يوصينا بأخذ معلقة سكر ليلا وعلى رأيه لن يرانا أحد . يا سيدى اضرابنا جد فيقول غير معقول هذا . فيه حاجه من الناحيه الكيماويه . رائحة الغرفة ليست طيبة . . !

كنا نشرب المياه بالليمون وندخن السجائر . وظهر أن النحيفات اكثر تحملاً من السمينات .

وان الوزن ينقص فى الثلاثة أيام الأولى ١٨ كيلو جرام واكثر ما عا نينه هو احساسنا بأن الوقت لا يمر . ما اثقل الاحساس بأن الزمان تجمد . كنا نقول أن الاهتمام بالطعام وعملية تحضيره عامل مهم فى مرور الوقت . لقد قال الزملاء المجربون ان احساسنا بالجوع سيكون فى البدء ثم بعد ذلك لن نشعر بشىء .

وظهر لنا ان هذا الكلام غير صحيح . فطول الوقت كنا جائعات ، كنا نحلم بالأكل ونتكلم فى الأكل . . مع قليل من السياسة .

فى ذلك الوقت حصلت مسألة مثيره . اولاد الكلب عملوا

عملية لكسر الأضراب . ونادوا على ثريا شاكر زوجة فؤاد حبشى . لك يا ثريا زياره .

انتعشنا للخبر واسرعت ثريا للأدارة . وجدث ابنها البالغ عمره ١٣سنه . رتبوا هذه الزياره ليقنع الولد أمه بوقف الاضراب بعد أن افهموه أن أمه فى خطر .

وكان الولد يبكى بحرفه خوفا على حياة أمه . وهى سيده منا ضلة عظيمة . لكنها كانت فى حالة صعبة . فزوجها هو الآخر معتقل . والأولاد محرومون من الأب والأم . وكانت احيانا نشعر بالأغماء . الأمر الذى بعث على الشك بأن القلب يعانى . لكن ظهر بعد ذلك انه سليم . اصرت ثريا على مواصلة الاضراب ورفضت ان تشرب عصير الليمون الذى قدموه لها ضاغطين عليها لتشربه .

وقد اهاجنا هذا الحادث واندفعنا للادارة واخذنا الولد فى أحضاننا . كان يقول انتن فى صحة لكن امى تعبت ومعرضة . . . قلنا له لا تصدتهم ، هدأت نفسه وانتهت الزيارة على خير .

كنا نقدمنا للمأمور فى بداية الاضراب بمذكرة أعلناه فيها اننا ترفض جميع الزيارات طالما نحن مضربات . لكنهم رغم ذلك رتبوا هذه الزيارة المشبوهة والحمد لله لم ينجحوا .

ان الاضراب عملية ليست سهله وتحتاج لتجميع الارادة مع الشعور بالتحدى . بعض الزميلات كانت تطرأ عليهن حالات ضعف واغماء . وفى هذه الحالة كنا ننفذ وصبة زملائنا اهل الخبرة بأن نيلل اللسان بالماء والملح . وكنا نخشى نقل هذه الحالات للمستشفى لان عددنا كان قليلا بعد الافراج عن الزميلات الخمسة فضلا عن العدد الذى كان يعالج بالقصر العينى أما زميلتنا ميرى اليونانية فلم تكن مشتركة فى الاضراب لكنها كانت تقدم لنا جميعا كل المساعدات وتقوم على خدمتنا خير قيام وقد حاولت أمى المساعدة ، على طريقتها كانت مدعوة لحضور حفلة كبيرة . واخبرتها اختى بولى انها تستطيع ان تتحدث مع من ترى فى الحفلة حول الأضراب وسوء المعاملة .

وقابلت امى فى الحفلة صديقه حميمة لى هى اسماء حسن زوجة طيب حسن سفير باكستان . وكان صديقا لجمال عبد الناصر .ارادت امى افهامها الوضع . لكن اللغة المشتركة مفقوده بينهما فلا امى تعرف الانجليزية ولا اسماء تعرف الفرنسية . فما كان من امى إلا ان لجأت للأشاره ، واستعانت باسم غاندى الزعيم الهندى المشهور .

كان غاندى يستخدم سلاح الاضراب عن الطعام فى كفاحه ضد الاستعمار البريطانى . وكذلك انجى لا تأكل فى السجن

وفهمت اسماء واظهرت انزعاجها بسبب ما انا فيه . ووعدت بأن تخبر زوجها وستبذل كل ما تستطيع للمساعده .

واخيرا حان الوقت لمناقشة انهاء الاضراب . كان شعارنا الاضراب حتى الافراج . وتمسكت بعض الزميلات بهذا الشعار .. حتى الافراج . لكنى استطعت بصعوبة اقناعهن بوقف الاضراب حرصا على حياتنا ، وخوفا من أن يحدث ضعف أوتأثير يؤدى للخروج من الاضراب ونخسر كل شىء وقد ساعدنا ان الزملاء فى سجن الرجال كانوا يلحون علينا فى فك الاضراب . وكان تقديرهم منذ البداية ان مدة الاضراب لا يجب ان تتعدى ستة أيام لكن اضرابنا النسائى الأول فى تاريخ السجون استمر سبعة عشر يوما بالتمام .

بعدها أعلنا انتهاء الأضراب وطلبنا تحرير محضر .

فحضرت لجنه من مدير المنطقة وضابط من السجون وضابط من مباحث أمن الدولة . واجلنا شرب الشاى الى ما بعد تسجيل المطالب .

مطالبنا كانت الافراج . والسماح بزيارات أهلنا لنا فى السجن التى حرمنا منها مدة ٣ سنوات . والسماح بقراءة الصحف وايضا بطبخ طعامنا . نستلمة من المتعهد غير مطبوخ لتقوم نحن

بطهيه مع السماح لنا بحيازة وابور الجاز .

كنا فى غاية السعادة لنجاح الاضراب فقد صمدنا بالأجماع المدة الطويلة . نجاح قوى روحنا المعنوية وضاعف فينا الثقة والأمل . وكذلك تحققت مطالبنا ما عدا الافراج . ولم يكن فى استطاعتنا اجبار الحكومة علية . وما الاضراب إلا وسيلة لاحراج الحكومه وتحريك الرأى العام للضغط عليها مع التعريف بالأهداف النبيلة التى نضحى من أجلها .

ولقد كنا فى ذلك الوقت – فى نهاية سنة ١٩٦٢ – نقدر أن الظروف ناضجة للافراج . لكن حدثت احداث العراق . الانقلاب ضد عبد الكريم قاسم ومذبحة الشيوعيين . وكانت حكومتنا مع حزب البعث وتؤيد الانقلاب .

ولا انسى ما اظهرته المسجونات نحونا . لقد نسبب الاضراب فى تعظيم احترامنا والاعجاب بنا . حتى انهن يوم فك الاضراب حرمن انفسهن من الحلو – البرتقال – وارسلنه الينا هدية .

الرأى العام العالمى .

كان لوقوفه معنا وتأييدنا ومطالبته بالافراج عنا ، اكبر الأثر فى تشجيعنا على الصمود والتحدى .

كنا نعلم أننا لسنا وحدنا وأن العالم كله يهتم بقضيتنا . وكما

ذكرت كان الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى يقود حمله واسعه للأفراج عنا وكم أسعدنا أن نعلم فى بداية الأضراب ان اكبر منظمة عالمية تدافع عن حقوق الالنسان ، تقوم بحملة دولية للأفراج عنا .

وهى منظمة العفو الدولية ومقرها فى لندن . أما كيف وضل الينا هذا الخير ، فكان بفضل فتحيه الفلاحة المسجونة التى سبق ان مر ذكرها . كانت فتحية تتولى تنظيف حجرة المأمور يوميا فى الصباح الباكر قبل تشريفة . . وكانت تبادر باحضار البوسنه لنا للأطلاع ، ثم نردها فتعيدها لمكتب المأمور .

فى ذلك اليوم كان ضمن البوسنه خطابات كثيرة مكتوب عليها انجى افلاطون . سجن القناطر . القاهره . كلها متشابهة وبداخل المظروف بطاقة عليها اسم الجمعية ، جمعية العفو الدولية وعنوانها فى لندن . وعليها ايضا صورة عدد من السيدات وراء السجن . تم سيدة تقف خارج القضبان وتطالب بالافراج عن المسجونات . وتحت هذه العبارة توقيع السيده مرسلة الخطاب .

احتفظنا بثلاث خطابات من هذه الرسائل للذكرى وعاد الباقى لمكتب المأمور . وطبعا سيرسل المأمور هذه الخطابات لمباحث أمن الدولة . ومن هنا ستعلم الحكومة بالحملة من أجلنا .

اليس هذا مدهشا ؟

نعم . وقد انعش فينا الأمل .

الزياره .

فى صباح يوم من الأيام ، وبينما كنا نتمشى فى فناء السجن جاءت السجانه عليه لتخبرنى بالتوجه لادارة السجن .

وكان هذا يحدث عادة لأمور تتعلق بالرسم المرخص لى بمزاولته .

توجهت معها لمكتب المأمور . لم يكن هو موجوداً . كان عدد من الرجال يجلسون فى الحجرة . خاطبنى أحدهم طالبا أن اذهب معهم لأن فيه زيارة خاصة لى .

تساءلت ولماذا لا تتم هذه الزيارج هنا فى السجن ؟

وكيف اذهب معكم والى أين ؟

قالوا امك واختك فى وزارة الداخلية ينتظران هناك اتمام الزيارة . انتابتنى الشكوك . والسجانه نفسها ابدت اعتراضها . . . يا بك انا لا استطيع تسليم المعتقله ! انها مسئولية على .

قلت للمأمور بالنيابه وهل ذهابى هذا قانونى ؟ وكان الجواب بلا . هذه زيارة استسنائية . استولى على الخوف .

لعلنى ذاهبة الى التعذيب . فقد كان التعذيب على اشده فى كل السجون والمعتقلات . وكانت تصلنا اخبار التعذيب فى سجن ابى زعبل حيث يضم مئات الزملاء المعتقلين .

كان هذا فى سنة ١٩٦٠ . ما العمل ؟ لاأعرف قلت اذهب للعنبر لا حضار حقيبة يدى . لم تكن لدى حقيبه . لكنى أدعيت ذلك للذهاب ومشاورة زميلاتى .

لكن هؤلاء الرجال رفضوا ذهابى للعنبر واصروا على ذهابى معهم كما أنا . الأمر لله . اخذونى وتوجهنا للسياره . لم تكن (بوكس) البوليس المعتاد . كانت عربة ليموزين وكان عدد الرجال خمسة . . ازدادت مخاوفى . .

وظهر شعورى هذا على وجهى . قالوا لاتخافى . انت فى طريقك للزياره . وقفت السيارة فى شبرا الخيمه .

قلت ليست هنا وزارة الداخلية . لفتوا نظرى الى اللافته المكتوبه على المبنى . . . المباحث العامه ، فرع شبرا الخيمه . انا لا استطيع المقاومه . فليكن مايكون . . . دخلنا المبنى الحقير ، وفجأه وقع نظرى على امى واختى جالستان فى غرفة صغيره مع رئيس المباحث بالمنطقة . هذه هى الزيارة الاستثنائيه اذن .

أخبرنا الضابط أنه قاعد ليسمع كل كلمة تقال . قلت اهلاً

وسهلاً كانت الزياره فى تلك الظروف عجيبة حقاً . كيف حصلت الأسرة عليها . . كيف تم التصريح بها ؟ !

اختى بولى ظلت تسعى وراء الزيارة ظلت تلح عليها ولم تيأس وداومت على ارسال التلغرافات للرئيس عبد الناصر لتتمكن من زيارة زوجها الدكتور اسماعيل ولزيارتى انا ايضا ، وكان عبد الناصر قد أصدر قرارا بتعيين اسماعيل مستشاراً اقتصاديا له ثم صدر قرار اعتقاله . ولعل هذا هو الذى جعل قلب عبد الناصر يلين ويأذن بالزيارة . وعلمت انها زارت اسماعيل فى اليوم السابق فى معتقل أبى زعبل ، وكانت قد حصلت معركة هناك واسماعيل اصابه جرح فى رأسه .

فى هذه الزياره كان لابد أن يتشعب الحديث وان يمتد الى الحالة فى البلد . . . . لكن الضابط جالس يرصد كلامنا . . هنا قامت أمى بدور تغطية حديثى مع أختى . شغلت الضابط بحديث متصل . توزع بذلك اهتمامه بين حديث ماما وحديثى مع أختى . . وبذلك تمكنت من معرفة اشياء وأخبار تهمنى .

وفتحت لفة الطعام . تفاح وفرخة محمرة . . . سال لعابى .

لكنى قلت سأخذه معى للسجن .

قال الضابط لازم تأكلية أمامى هنا .

كيف اتناول الغداء فى الساعة العاشره صباحا ؟

وطبعا أنا جائعه لكن حملت هم زميلاتى . لكن حضرة الضابط اصر على رأيه .

وقالت اختى لازم المحافظة على الحياة والبعد عن الاستفزاز لأن الحالة سيئه والجو بشع والمقاومة مستحيلة. وفى معتقل ابى زعبل يجرى التعذيب يوميا والضرب مستمر والحرمان شديد .

واخذت التهم الطعام التهاماً . نظرت أمى بعينيها الواسعتين نظرتها القوية الحادة . وقالت . كيف تأكلين بيديك الاثنتين ! لما ترجعى للبيت سترين ماذا سأفعل . .

وكان جوابى جملة قاسية جداً قلتها بتلقائيه . . لسه بدرى . . وظهر على وجه أمى الأسى . . لكنها الحقيقه.

وانتهت الزياره ونبه البوليس على كتمان أمر الزيارة وضرورى ان تبقى سراً حتى يمكن أن تتكرر تساءلت كيف اخفى الخبر وسكت فلم تجر مناقشة .

لما رجعت للسجن حكيت للزميلات كل شىء طبعا .

وارسلت الزميلات خطابات وتلغرافات كثيره يطلبن فيها زيارة مثل انجى .

هذه الزيارة جرت فى نهاية سنة ١٩٥٩ أوبدايه سنة ١٩٦٠

التفتيش والتأديب .

التفتيش اجراء طبيعى فى السجون . ويجرى بشكل روتينى من وقت لأخر . وبالنسبة للمسجونين السياسين فان التفتيش كثيرا ما يتم ليس فقط بحثا عن ممنوعات . وإنما لمضايقة السياسيين حيث تتابعه المباحث العامة وتشدد عليه . فكان مأمور السجن نفسه يحضر التفتيش فى كثير من المرات . السجانات يقمن بالتفتيش تحت رقابتة . كن يتصنعن الدقة والصرامه . طلبت احداهن منى مرة أن اخلع الحذاء لعلها تضبط فية شيئا من الممنوعات . خلعت الحذاء والقيت به فى العنبر بعصبيه شديدة . نظرت السجانه لى نظرة عتاب وانتقلت تفتش غيرى . . نحن نعرف انها سجانه طيبه وظريفه .

ولهذا تساءلت الزميلات لماذا فعلت انا هذا . قلت لهن تضايقت من وقفة المأمور يتفرج علينا ويتأمل ملابسنا الداخلية المعلقة . على السراير . وكان هذا المأمور يبالغ فى تنفيذ تعليمات المباحث . وموقفه منا عموما كان استفزازيا يجنح للشدة والصرامه .

ولهذا طرحت فكرة وافقت عليها الزميلاث . ان نحتج على حضوره التفتيش وبذلك تتخلص من رذالاته . وانتظرنا المناسبه حيث جاء مدير عام المنطقة للمرور على العنابر وبصحبته المأمور

وسألنا حضرة المدير هل لكم طلبات يا شيوعيه . قلنا آه .

كنا قد اتفقنا على أن التفتيش بالشكل الذى يجرى به يعتبر خدشاً للحياء . واخترنا اكبرنا سنا زميلتنا انتصار خطاب للتحدث نيابة عنا .

وقالت المرحومه انتصار خطاب نحن نحتج على التفتيش . فقال المدير . التفتيش يتم بناء على تعليمات المباحث العامه .

فقالت انتصار التفتيش ما شى . لا مشكله . لكن المشكلة هى فى دخول المأمور للفرّجة والبحلقه فى قطع ملابسنا الداخلية المعلقة على أعمدة السراير والتقليب فيها باليمين وبالشمال . . .سمع المأمور ذلك فانتابته حالة عصبيه وراح يصيح منكراً ومستنكراً . . أنا . . أنا . . بينما راح المدير يسأله . . هكذا فعلت يا عبد القادر فهمى !

وانتهت شكوانا بعدم الاعتراض على التفتيش وانما انصب الاعتراض على دخول الرجل . . اى رجل ليحضر التفتيش الذاتى ونجحت الخطة . وتخلصنا من رذالة المأمور . . حرم على نفسة حضور عملية التفتيش ..

تأديب ٣ أيام .

نظام الامانات معمول به فى السجون .

من حق نزيل السجن أن تكون له فلوس فى الامانات .

يسدد منها ثمن ما يطلبه أو يشتريه مما هو مباح فى السجن مثل المأكولات والسجائر والأدويه . . .

وحدث فى بعض الأوقات ان حرمونا من هذه الامانات .

جمدوها ومنعوا السحب منها . وكا لعادة كنا نقابل ذلك بالتحايل . فتصلنا بطرق خفية الفلوس من أهالينا .

وبذلك نتمكنِ من شراء مايلزمنا بالواسطة أى بالطرق الخفية أيضا وهى دائما متاحة فى السجون .

فى احدى مرات التفتيش ضبطوا معى ومع ثلاثة من زميلاتى ممنوعات . ضبطوا معى مبلغ خمسة وعشرين قرشا وكمية من الشاى .

وجرى معنا تحقيق . اعترفت بحيازتى لما ضبطوه عندى . قلت للمأمور أنتم جمدتم ودائعنا فى الامانات . صادرتم حقنا فى الصرف منها . وهذا ضد القانون . وطبعا ستكون معنا دائما الفلوس . ولولا اننا فى آخر الشهر لوجدتم عندى مبلغاً محترماً.

غضب المأمور من هذه الجرأة فى القول . وقال لا يمكن ان تكون الأمور سائبة فى السجون . السجون نظام . . ضبط وربط قلت الشطارة كلها علينا . . وكل ما نملكه هو الشاى والقروش

المفروض ان شطارتكم تكون على الأهم والأخطر . . .على الحشيش .

السجن مليان حشيش . ويباع فى السوق السوداء . طبعا أنا قلت الحقيقة المؤلمه . وكان جزائي وجزاء زميلاتى الثلاثة ان اصدر المأمور قراره بحبسنا ثلاثة أيام فى التأديب . وبذلك ننتقل من العنبر الى الزنزانه .وفور نطق المأمور بقرار التأديب علقنا بقولنا برافو . . هذا تغيير طيب بالنسبة لنا . وفى تحد واضح للمأمور قلنا لابد ان يكون التأديب نظيفا جداً طبقا للائحة . . وإلا فالأضراب . . وفعلاً قاموا بتنظيف زنزانة التأديب ووضعوا سريراً بثلاثة أدوار .

وانتقلنا للتأديب تنفيذاً لقرار المأمور .

أما الزميلات فكان وداعهن لنا بالأغانى الوطنيه والحماسيه . وكلها اشياء تشد العزم وتقوى الروح المعنويه .

واخيراً دخلت عنبر المدد الطويلة.

أربع سنوات تقريبا مضت علينا فى هذا الاعتقال .

وكان الرسم هو شغلى الشاغل . أما العمل السياسى والحزبى فكان قليلا ، وقليلا جداً . فى هذه المدة الطويله اتيح لى ان ادخل عنابر السجن المختلفة ، سجن النساء طبعا ، ما عدا عنبرا

واحدا كان محرما على دخوله . هو عنبر المدد الطويلة .

عنبر النساء المحكوم عليهن فى جنايات القتل والاتجار فى المخدارات . . وما اشبه من الجرائم التى يقضى فيها بالسجن سنوات أوبالمؤبد . ولم أيأس . كنت أجدد طلبى بالسماح لى بدخول عنبر المدد . اشتدت رغبتى أن استكمل تجربتى للتعرف على هذا الوسط ، الذى لايتاح لمثلى الاختلاط به فى الحياة العادية

وفى عام ١٩٦٣ سنحت الفرصه . فقد تولى رئاسة السجن مأمور جديد . كانت خطته أن يعمل كل ما يريحنا فى حدود سلطته . اذن لى هذا المأمور الطيب بدخول عنبر المدد لأرسم .

قال إن الخوف عليهم من العدوى السياسية كلام فارغ .

وفى عنبر المدد اكتشفت حياة عجيبه . فسراير العنبر من ذوات الادوار الثلاثة . لكن السرير تستعمله مسجونتان فقط.

تستعملانه كبيت للعائله . نعم الاثنتان تكونان عائلة واحده

فيضعان تحت السرير الطعام والطوطو - وهو بديل من اختراع السجون لوابور الجاز . كما يضعان الملابس وما اشبه فى دور من السرير ويناما ن فى الدور الأول ، ويستعملان ملاءة أو جلابية كستارة . .

ووجدت فى العنبر عائلة عجيبه . ثنائى ظريف جداً .

فقد تبنت المسجونتات طفلا من أبناء المسجونات فى قضايا الدعاره . وضعته امه فى السجن ولم تكن راغبة فى الاحتفاظ به . فتبنته مسجونة المدد لتكون أمه. وطبعا تبنته بموافقة زوجها . وزوجها هذا ليس رجلا فلا رجال فى سجن النساء . هذا الزوج امراه مسجونه ايضا .

الاثنان تتعاطيان الجنس فى شذوذ . وتعيشان عائلة مستقرة . الزوجة والزوج ، الأم والأب ، والطفل وكانت لديهم ايضا قطة !

المرأه الرجل تلاعب الطفل وتدلله . ولكن حين يبكى مثلاً لأنه جائع وحين يبل ملابسة ويلزم تنظيفه فان هذا الأب يعطى الطفل للمرأة الأم فهذا شغلها . المرأتان تحترمان تقسيم العمل داخل الأسرة ، لا نقاش فى هذا أبداً .

والمرأة الزوجه يقال لها فى السجن الأخت . المسجونه التى لا تملك نقوداً فى الامانات تسعى لتكون الأخت لمسجونة اخرى غنية تتولى النفقة وتحل عقدة الجنس بالشذوذ هذا نوع من العلاقات فى ظروف استثنائية فهن يعشن عمرا طويلا فى السجن وللضرورة احكام .

ولم تكن هذه العلاقات الشاذة قاصرة على المسجونات بل

كانت موجودة ايضا بين السجانات والمسجونات . ان السجانات يعشن طبعا عيشة الكفاف بالمرتبات البسيطة .

ومنهن من كانت تحضر طفلها معها كل يوم وتسلمه لمسجونة ترعاه طول النهار حتى تأخذه الأم وهى منصرفة الى بيتها .

فاطمه كانت سجانه تتميز بالجمال والرشاقة وخفة الدم . وكانت داخلة فى علاقة ومعاشرة مع مسجونة اسمها عايده ، محكوم عليها فى جريمة قتل .

وكانت السجانه فاطمه شابة محبوبة لطيبة قلبها . وقد امكننا التأثير عليها لتقطع علاقتها بعايده المسجونة النوبية الجميلة والشرسة فى الوقت نفسه.

كانت عايده تهرب من عنبرها فى الليل بمساعدة فاطمة

لتختلى بها وراء الحائط . السجن كله كان يعرف هذه الحقيقة.

وفى مناقشتنا مع فاطمة لقطع العلاقة قالت انها تتمنى قطعها .

لكنها خائفة . واخيرا تشجعت وتمت القطيعه.

لكن عايده لم تسلم بذلك . اكلتها الغيرة على فاطمة كالرجال

الحمقى سواء بسواء . افترست عايده خليلتها فاطمة فدكتها دكا وقطعت اصبعا من اصابع رجلها ، قطعته كليا من جذوره . واستدعى انقاذها كونسلتو من الأطباء . وبذلك انتصرت عايده فعادت فاطمة الى أحضانها .

المرأة ماتت . .

حادثة كانت مهمة جداً لى لانها اثرت فى نفسى تأثيرا قويا لازمنى طويلا . فى احدى الليالى سمعنا عنبر التسول - المحبوسات فى قضايا التسول - ينادى يا سهارى . . . يا سهارى فتحنا الشباك وسألنا ما الخبر . هل عندكم مريضه تطلبن لها النجده . قلن نعم .

إمرأة تموت . انضممنا نحن لهن فى النداء على السهارى ولكن لم تحدث استجابه . ثم توقف النداء وانقطعت الاستغاثه . تم انطفأ النور فى عنبر التسول وساد الصمت . نادينا عليهن فلم تتلق رداً . القينا على شباكهن صفيحة فارغة رنت على الشباك . فتحن الشباك وسألنا هن هل جاءت السهارى . قلن لا . المرأة ماتت . واغلقن الشباك استعداداً للنوم .

فى الصباح علمنا ان المتوفاه بنت عمرها ١٩ سنة كانت مريضة بالقلب وداهمتها الازمة وكانت تحتاج لاسعاف سريع .

لكن السهارى لم تحضر . اننا هنا فى عالم القيود والسدود . عالم لاقيمة فيه للحقوق . ولا قيمة فنية لحياة الأنسان . .

هذه الحادثة صارت مثلا . . فكلما صاد فتنا صعوبة أو مشكلة ثقيلة كنا نقول وايه يعنى . . المراة ماتت فيهون علينا الصعب .

الموسيقى والطرب .

النفس البشرية تحتاج للترويح والطرب وطبعا الامكانيات فى السجن للتسامى بالفن والطرب قليلة بل معدومة . فكان لابد من خلق جو المرح لتعلو ضحكاتنا وتستريح النفوس .

كنا نعمل تمثيليات ، منا الممثلات والمتفرجات أيضا وكانت الزميلة محسنه توفيق ممثلة موهوبه . لم تكن قد حققت شهرتها بعد وكانت تمثل كانها على خشبة المسرح حقاً .

لذلك كانت محسنه تغنى وصوتها حلو وقدرتها ممتازة فى الغناء ايضا . كانت تغنى أغانى ام كلثوم فاحببناها جداً لأنها مشحونة بالعاطفة . فكانت تلف نفوسنا بثوب وردى فتطلق الاحلام وتستدعى الربيع ضاحكا . كذلك كنا نردد كثيرا اغانى سيد درويش فنتعشنا وتسلينا وتحمسنا أيضا .

اما الموسيقى العربية فقد اندمجت فيها واحببتها جداً .

كذلك كنا نردد أغانى واناشيد الكفاح العالمية المأخوذة عن الأغانى الاوربية . وكانت تثير فينا القوة والعزم .

وفى احدى هذه الاغانى كان يتردد مقطع المجرمون الطغاة .

ومن الطريف أن المسجونات فى عنبر المدد ظنن فى بادىء الأمر اننا نقصدهن فتعالى احتجاجهن . واخيراً عرفن الحقيقه .

وفى سجن النساء حجرة مخصصة لتعليم الموسيقى . تتولى مهمة التعليم مسجونات متطوعات . وكانت الحجرةامام عنبرنا نحن المعتقلات السياسيات . لكن لم تكن لنا بهذه الحجرة صلة لانها مخصصة فقط للمسجونات .

وكنا نسمعهن يرددن أغانى صلاح جاهين وعبد الحليم حافظ مثل دقت ساعة العمل الثورى وقلنا هانبنى السد وغيرها من الاغانى الوطنية . لكن هذه الاغانى كانت بالنسبة لى كلبوسا ثقيلا لانها تتعارض مع ظروفنا وأوضعانا فى المعتقل .

وكانت لنا زميلة مسجونة وليست معتقلة . هى ماجده . سيده يهوديه من مواليد اسكندرية وتحمل الجنسيه الايطاليه . كانت مناضلة فى الحركة الشيوعية المصرية كما كانت موسيقية موهوبه وقد تطوعت لتعليم المسجونات العزف على الكمان .

ورغم اخلاصها وصلابتها فى النضال ، فان الحظ السيئ

لازمها فى حياتها الخاصه . كان معروفا انها زوجة الزميل كمال عبد الحليم . وقد حكم عليها فى قضية شيوعية بالسجن مدة ثلاث سنوات . وتم ترحيلها بعد انقضاء المدة الى ايطاليا .

لكنها عادت لمصر واستأنفت كفاحها السياسى . . حتى تم ضبطها فى قضية وحكم عليها بالسجن لمذة سبع سنوات . وقد أهملها زوجها وانقطعت علاقته بها تماما . فكان تأثير ذلك عليها شديداً.

كانت ماجده تعيش فى السجن فى غرفة (شيك أوى) مع اثنتين . هما مارى بابندوبلو ومارسيل لين .

مارى يونانية الجنسية ومناضلة فى الحركة الشيوعية المصرية . وكان محكوما عليها بالسجن وتم ترحيلها بعد قضاء العقوبه الى بلدها اليونان حيث تعيش الان .

أمارسيل لين فكانت صهوينية كبيره ، حكم عليها بالسجن فى قضية صهيونية شهيره ومعروفة بمؤ امرة لافون.

وقد تم اعدام ثلاثة من المتهمين فى هذه القضية .

كن الثلاثة يعشن حياة جماعية مشتركه . وهى حياة تقوم على المشاركة فى كل شىء دون اعتبار للملكية الخاصه .

وقد اعترضنا نحن على هذه الحياة المشتركه بشده ، فلا

يجوز ان تعيش ماجدة ومارى المناضلتين الشيوعيتين فى حياة مشتركة مع الصهيونية الكبيره مارسيل لين . ولم نقبل ما قيل لنا من ان مارسيل اعترفت بالخطأ ونقدت نفسها نقداً ذاتيا. كانت مارسيل تعمل لحساب الصهيونية ولذلك لم نختلط بها واقتصرت علاقتنا على الناحية الانسانية بعيداً عن السياسة .

وكنا نرسل لماجده ومارى من طعامنا واشيائنا النافعة .

لكننا لم نشرك مارسيل ابداً فى أى شىء .

وقد تم الافراج عن مارسيل بعد النكسة عام ١٩٦٧ وقبل ان تكمل مدة العقوبه . وكان هذا الافراج مقابل الافراج عن مائة أسير مصرى .

وقد تزوجت فى بلدها اسرائيل من ضابط كبير وحضر فرحها موشى ديان .

– تم القبض على انجى فى يونيو ١٩٥٩

– وتم الافراج عنها يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٣ مع زميلاتها المعتقلات .

– وهكذا أنهت انجى مذكراتها ، فقد كان تصميمها منذ البداية أن المذكرات حديث عن الذات والمجتمع ، بالكفاح وبالعمل ، وبانتهاء ما هو عام ، ينتهى هذا الحديث .

الخطابات .

اول خطاب من داخل المعتقل . تاريخه ٢٦ يونيه ١٩٥٩

عزيزتى ماما وبولى

أنى آسفه لسؤ الحظ الذى جعلنى أكتب اليكم من هنا .. طبعاعلمتم بالقبض على اثناء سيرى فى الشارع . اخذونى الى الداخليه (المباحث العامة) حيث تم التحقيق معى لمدة يومين ولم يثبت ضدى اى شىء . فحولت الى معتقل القناطر حيث وضعونى مع المعتقلات فى عنبر واحد . اطمئنوا على صحتى فهى جيده وكذامعنوياتى . وقد سررت جدا لما وصلتنى الملابس والأدوية والسجائر .. اما الخطابات فيمكن ان تكتبوا الى كما تشاءون ولكن باللغه العربيه . أما أنا فمسموح لى ان اكتب لكم مرتين فقط فى الشهر .

اما حياتنا فهى محتمله . نحن نستيقظ فى الصباح الساعه ٧ ونخرج الى دورة المياه ثم الطابور ..ثم يقفل علينا الباب حتى الساعه ٤ بعد الظهر . ثم يفتح باب العنبر ونخرج لدورة المياه والطابور مرة أخرى . وهكذا ينتهى اليوم . ونحن ننام على سرير مكون من ثلاثه ادوار . وأنا اخترت آخر دور . ولكل واحدة ثلاث بطانيات . استعمل واحدة كمرتبة وواحدة كوساده والثالثه

الغطاء . وانى فى حاجه شديده الى قبقاب لمواجهة تدفق المياة فى الدورة .

ومن اكثر الاشياء هنا زيارة القطط لنا فى العنبر . فهى تدخل وتخرج كما تشاءوتذكرنى بقططنا وخاصة قطتى زيزيت فكيف صحتها . ارجو ان ترسلوا لى ادوات الرسم والقبقاب ومخده ومعها كيسها وكبايتين من البلاستك وطبقين من البلاستيك وشوكه ومعلقه وقطعتين من صابون الوجه وزجاجة كولونيا وعشرين علبه سجاير .

كما ارجو ان ترسلوا خمسة جنيهات على الامانات .

وعنوانى هو .

المعتقلة انجى أفلاطون

المباحث العامه ، مكتب شئون المعتقلين . سجن القناطر للنساء .

٢- الخطاب الثانى بتاريخ ١٩٥٩/٧/١٤

عزيزتى بولى

لايمكنك ان تتصورى فرحى حين وصلنى جوابك المؤرخ ٦/٢٧ . كان أول اخبار تصلنى منكم بعد اعتقالى ..

قبل كل شىء اهنىء ماما بمناسبة عيد ميلادها .. أنا فى صحه جيده . وقد تعودت على الحياه هنا بشكل عام باستثناء الأكل لانه فى مستوى اقل من المعقول وكميته قليلة جدا . اننى اكتب لكم الأن من برجى العالى فى الدور الثالث من السرير . حيث اصبحت رياضيه من الدرجه الأولى بسبب الطلوع والنزول . اننى سعيده لحسن اختيارى لهذا الدور الثالث لأنى استطيع ان اعتكف فيه عندما تكثر الدوشه فى العنبر تصورى عشرين سيده فى عنبر واحد طول الليل والنهار يأكلن ويشربن ويتكلمن ويلعبن ويهزرن هزاراً وينامن معاً !! ومهما كانت محاولتنا لتهدئة الجو والاصوات فى بعض الفترات من النهار فمن الصعب جداً تنفيذ ذلك .

اما أثناء الليل .. فنفاجأ بزيارة القطط التى تحاول ان تسرق ماتبقى من أكلنا . وعادة لايتبقى شىء طبعا فتصاب القطط بحالة عصبية وتوقع على الارض كل مايصادفها .

فنهب من نومنا وأحلامنا لنطاردها بأدب طبعا (علشان ماتزعليش) أما الصراصير والناموس فقد تعودنا عليها ..

ارجو ان تسعى لدى المباحث كى يوافقوا على تسليمى ادوات الرسم .. يمكن ان تذكرى موضوع الجائزه التى حصلت عليها اخيرا لتعزيز الطلب . كما ارجو ان تكتبى لى كثيرا . مره فى

الاسبوع على الأقل . وان ترسلى اخباركم كامله وان تحدثينى عما تفعلين وكيف حال كتاباتك ومؤلفاتك فى الشعر وماهى الافلام التى شاهدتها اخيرا وعرفينى باخبار زوجك العزيز هل قطتى زيزى تنسانى وكيف حال بوسى وابنها الأسود ؟ لاتظنى أن هذه الاخبار تافه فهى مهمة جداً وأنا هنا بعيدةعنكم وهى تساعدنى أن أحس بأنى قريبة منكم .

عزيزتى ماما وبولى . انى آسفه جدا للتعب الذى سببه لكم اعتقالى . ولكن واثقة من قوة احتمالكم وشجاعتكم فى هذه الظروف الصعبه . واننا سنتقابل جميعا من جديد وتعوض مافاتنا من أيام سعيده . وانا متألمه لانى لن استطيع أن احضر ذكرى مرور سنتين على وفاه زوجى حمدى . ولكنى مطمئنة على انكم ستقومون بدلا منى بالواجب ..

وصلتنى اليوم حوالة العشرة جنيهات ...

٣- الخطاب الثالث بتاريخ ١٩٥٩/٧/٣٠

اختى العزيزه بولى . وصلنى خطابك الثانى باللغة العربيه ..

وطبعا سررت جدا ولوانى تصورت عذابك لاضطرارك لكتابته بالفرنسيه ثم ترجمته للعربيه .

وهذه فرصةلكى تتعلمين اللغه العربية وتيذلين مجهوداً

جديا فيها . وكذلك فهى فرصه لى لكى اتقدم فيها أيضا .

اما الخمسة وخميسه التى ارسلتها لى مامشكا العزيزه فقد سببت ضجه كبيره فى العنبر .. انى فرحت جداًبها لأنها جعلتنى اشعر بقوة بقربكم كأنى بينكم

وذكرتنى بأيام زمان السعيده ..

ولكن هذا لم يمنعنى من ان اتساءل . ياحسرة ها انحسد على ايه ؟ هو المعتقل يتحسد الواحد عليه ؟

٤ – الخطاب الرابع بتاريخ ١٩٥٩/٨/١٥

عزيزتى ماما وبولى

لادرى فى هذه المرة عما احدثكم وقد وصفت لكم فى خطاباتى السابقه(٣) حياتنا هنا فى السجن ، وهى حياة مملة رتيبة بطيئة الحركة لاجديد فيها بل كل شىء قديم ومكرر . وبالرغم من ذلك فنحن قادرات على ان نخلق من كل شىء عادى شيئا جديداً ولذيذا ، وان نتسلى بأصغر المشاكل واتفهها وان نبتكر البدع من لاشىء . هكذا الانسان يستطيع أن يتأقلم ويتكيف مع اى ظروف صعبة تحيط به طالما هو قوى وطالما هو إنسان . اما عن الجديد هنا فقد بدأت لعب الرياضه بانتظام كل يوم اثناء الطابور (وأتزعم) بحماس فريقا للفولى بول . اما اكثر

شىء اثر على هنا القصص الانسانية المؤلمه التى سمعتها عن المسجونات العاديات . قصص بطوله تعبر عن تضحية المراه ، تضحية كاملة خالصة من اجل الحب . وقصص إنسانية تعبر عن تعاسه المرأه فى مجتمعنا .

فمثلاحكم على امرأة بالسجن خمسة وعشرين سنه فى قضية مخدرات . وهى تحملت التهمه وحمت زوجها المجرم حبا فيه .

ثم علمت وهى فى السجن انه تزوج وانجب أطفالاً..

كما حكم على امرأه اخرى فى غاية الجمال وفى عز الشباب فلم تبلغ بعد سن الرشد ، حكم عليها بالسجن عشرين سنه لاشتراكها مع اختها وأخيها فى قتل ابيهم لانه كان يعذب امهم تعذيبا بشعا وحشيا .

وكم انا آسفه لانى لست اديبه مثلك يابولى فاكتب كل ماأرى هنا من مآس واقعية وأمثلة عن الحب الحقيقى .

انى أفكر فيك كثيرا يابولى العزيزه فى هذه الايام لانى أعلم ان زوجك الحبيب سيقدم للمحاكمه ولو انى لاأعرف متى ولكنى مطمئنة الى صلابتك وشجاعتك مع مواجهة الصعاب كما انى مطمئنة الى ان العدالة لابد أن تنتصر مهما كانت شدة الظروف

وقسوتها .

.. فى الليل الهادىء وانا مستلقيه على سريرى الخشن فى الدور الثالث القريب من الشباك استطيع ان ارى السماء الصافيه التى تضيئها نجمتى العزيزه (فأنا كما تعرفين املك نجمه) . وانى استطيع ان اشبع من نور القمر الجميل الذى يوقظ الذكريات السعيده ويبعث الآمال الحلوه .

انا مشتاقه جدا لسماع اخبارك واخبار مامى واختنا زهره .

مشتاقة لمعرفة قراءاتك الجديده من روايات وشعر وأدب واخبار الافلام الجديده . هل كتبتى القصيده الشعرية عن لوحتى(السرير) والتى حدثتينى عنها فى خطابك السابق ؟

٥ - خطاب بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٩

حبيبتى بولى . لقد وصلنى من اسبوع خطابك المؤرخ ٧/٢٧ وقد ملأ قلبى دفئا وسرورا . ان خطاباتك جميلة جداً..

وعاطفية . كشعرك ونفسيتك .. وكيف لا أتأثر من ذكريات الماضى السعيد الحافل بالحياة والاحداث المثيرة الحية . هل تذكرين طفولتنا وشبابنا السعيد بفضل امنا العظيمه المضحية كلية بنفسها من اجلنا فقط ؟

حبيبتى . اتذكرين الماضى القريب الحافل بالأيام الحلوة

والصعبة فى نفس الوقت والغنية بالكنوز المليئه بالذكريات الرائعة النادرة فى تنويعها وتشعبها وجمالها .. اتذكرين الايام الرومانسيه ثم رحلة الصيف الماضى الى البحر الهادىء . اتذكرين جنـون رحلتى الفنية الى بلطيم ذات النخـل الرشيق والتلال العجيبه .. ثم المعجزة التى تلتها على الفور فى حياتى الفنية . اتذكرين سهراتنا الممتده فى ليالى القمر فى الأماكن البسيطةعلى شاطىء النيل الساحر . مئات ومئات من الذكريات الحية التى لايمكن ان ننساها والتى تساعدنا على احتمال ما نتحمله الآن من مشقة وصعوبات .

اننى انفرد ليلا وأتأمل .. تستريح عينى الى منظر قطعة من شراع المراكب النيلية من بعيد .. من وراء الأسوار الغليظة ، انها تثير عندى فكرة السفر والتنقل وتملأ قلبى املاً وفرحاً .

اما شوقى للرسم فقد بلغ الزبى . على رأى المثل . إن يدى الاثنتين تأكلانى من هذا الحرمان القاسى والغير إنسانى . كما أن شوقى كبير جدا الى قراءة الكتب الجيدة من الشعر الساحر ياحبيبتى.

شوقى الى إليوت وايلوار .. (عينيك التى ننام فيها نحن الاثنين .. فوق معجزات الليالى . فوق الخبز اليومى .

فوق المعقول المتزاوجة .. اكتب اسمك .) شوقى الى عمر الخيام (كوبا من الخـــمر وقطعة من الخبز . كتابا وانت ياحبيبتى) .

٦ – خطاب بتاريخ ١٩٥٩/١١/٧

عزيزتى بولى . اشواقى الحاره لك ولماما الحبيبة ...

صحتك ليست فى حالة جيدة . تواجهين كل هذه المشاكل والصعوبات وحدك . ولكن روحك المعنوية العالية تطمئنى من جديد عليك وتزيد فخرى بك .. انت يابولى مقسمة بين زوجك الحبيب واختك المعتقلة .

تجرى من مكتب الى مكتب من أجل راحتنا وحل مشاكلنا ..

لقد بدأت انتج ثلاث لوحات حازت اعجاب العنبر وكم انا حزينة ان هذه الصور تأخذ ها مصلحة السجون وستبيعها فيما بعد .

اما عن الجو هنا فبدأ يتحسن .. قل عدد الناموس ولكن زاد عدد الذباب .. مما جعلنا ننظم حملات لطرده من العنبر . ولكن اكتشفنا انه بدلا من ان يخرج فإنه يلتصق بالسقف ويشكل بقعا سوداء ..

وخبر مهم جدا . لقد أصبح فى وسط عنبر المعتقلات رجلا

صغيرا اسمه ياسين . وهو ابن احدى الزميلات ولدته فى السجن .

ان وجود هذا الطفل بيننا يبعث فينا كلنا شعورا مليئا بالحنان والحب ويثير فينا الأمل ان نصبح نحن أيضا امهات فى يوم ما . ياترى سنلحقه يابولي ؟

٧- خطاب تاريخه ١٩٥٩/١١/٢٠

عزيزتى الحبيبة بولى .

لقد تألمت جدا لوفاة قطتك العزيزة بوسى لأنى ادرك انها تمثل اشياء كثيرة عندك مليئة بالذكريات السعيدة . ولكن اعرف فى نفس الوقت انك لابد قد تغلبت على حزنك لانه لايقاس بجانب المحنة التي تمرين بها هذه الأيام ياحبوبة ياشجاعة ..

أما تعليق الناقد الفنى مانرو بأن « من كبار الفنانين المشهورين انتجوا احسن صورهم فى شيخوختهم وقبيل موتهم » فهذا يعزينى ويملأنى املا ان انتج صورا ذات قيمه فنية جديدة .

اننى احس ان رسمى قد تحسن قليلا هذه الأيام . وبدأت فعلاً انتج صورا ذات قيمة فنية . ولكن مع الأسف هذا الشعور ملئ بالعذاب والمرارة لأنى اعرف ان هذه الصور ليست ملكى بل

تتملكها مصلحة السجون . أنا ارسم للسجن . حكم القوى فى الضعيف المسجون . على كل حال وكما قلت لك من قبل فهذا احسن من مافيش . ولعلهم مستقبلاً يوافقون على أن ارسم لنفسى أيضا .

لقد فرحت جدا للنجاح الباهر الذى احرزه معرض صالحه . اننى لم اكن اشك فى هذا النجاح قبل وصفك الممتع للعرض الذى اقيم فى فندق سميراميس . وكم وحشتنى ماما الحبوبة وشخطها فىّ وفى شقاوتى .

أما قصيدتك – قصيدة الأخت لأخيها الغائب – فهى جميلة جداً يابولى انها حافلة بالشعور والانفعالات والصور الناجحة .

أما هنا فى سجننا الكئيب فلا شئ جديد كل شئ كما هو بإستثناء شئ واحد . سماء القناطر . كل يوم السماء شكل ولون جديد وتعبير جديد . وليس هذا بالقليل بالنسبة لنا . فهو المنظر الرئيسى للوحاتى فى الرسم (سمـــاواتى فى صورى تقدمت جداً) وكذلك فهذا المنظر هو المهدئ الأسهل للنفوس المقيدة ، وانه الباعث المستمر لأمل فى المستقبل ..

ولكن لماذا توقفت عن حديثك الادبى الممتع عن ادبائى المفضلين كشكسبير واليوت .. هل لانك كنت فى اسكندرية

وبعيدة عن مكتبتك الغنية بهذه الكنوز ؟

٨- خطاب بتاريخ ١٩٥٩/١٢/١٩

عزيزتى الحبوبة بولى . ألف شكر للخبر الهائل بحصولك على التصريح لى بالرسم لنفسى الى جانب رسمى لحساب السجن كان هذا احسن خبر منذ زمن بعيد فقد جعلنى سعيدة ومطمئنة جداً فشكرا ياعزيزتى .

أما ما ارسم هنا ياحبوبة فاشياء كثيرة من وجوه السجن .

أما المناظر الطبيعية فتنحصر فى منظر واحد ولكنه متنوع جداً .

منظر المراكب الكثيرة التى تمر أمامنا من بعيد . ومراكب بشراع أبيض طويل وشامخ كأنها تمد ذراعيها للسماء كيما تحتضنها . والسماء ملتهبة بشفق أحمر وبرتقالى وتقطعها غيوم بنفسجية قاتمة .

ياعزيزتى سيصلك هذا الخطاب فى اثناء الاعياد . عيد ميلاد اسماعيل والكريسماس ورأس السنة . تحياتى الغالية القلبية لكم وأجمل تمنياتى للسنة الجديدة - ١٩٦٠ - ارجو ان تعود السعادة لبيتنا المهدوم وتنتصر العدالة . وانى مليئة بالأمل والتفاؤل بالسنة الجديدة .

الحمد لله ان هذه السنة السوداء انقضت . شاهدنا هنا فيلم دعاء الكروان . وانا قرأت الكتاب من مدة قصيرة واعتبرته من اروع كتب طه حسين القديمة . الجو هنا جميل جداً هذه الأيام . والشمس لذيذة وأستمتع بها فى طابور الصباح (على فكرة لم اعد ألعب القولى بول لانهم اخذوا الكرة منا ..)

أما ما أحتاج إليه فى شهر يناير من الأشياء والملابس الادوات والادوية فهذا بيان بها ..

٩- خطاب بتاريخ ١٩٦٠/١/٣

عزيزتى بولى

كم اشكرك على مفاجأة رأس السنة الجميلة ، أى على الزيارة الخاصة التى نجحت فى الحصول عليها فى هذه المناسبة . انها بغير شك أجمل هدية يمكن أن تقدميها لى فى هذه الظروف فشكرا يا أختى العزيزة . ولأنى بعد الزيارة أجد نفسى متأسفة لأشياء كثيرة لم افعلها ولم أقلها لكم ، لأن المفاجأة كانت هائلة وانا كنت مذهولة ...

ومارأيك فى لوحاتى المعروضة الآن فى سوق الإنتاج . انى متشوقة جدا لمعرفة رأيكم الصريح ورأى الناس المهتمين بالفن .

فأنا كما تعلمين لا أخشى النقد ، بل هو اساس لى ولتطورى

فاكتبى لى بالتفصيل وبصراحة عن كل الآراء .

أما عن كتاباتك وشِعرك فانى مدركة تماما كم هو صعب التأليف أو العمل فى هذه الظروف القلقة . ولكن ستجعلك كل هذه الصعوبات والآلام التى تقاسينها أكثر نضجا وغنى بالموضوعات الحية للكتابة فى المستقبل بشكل أعمق وأكثر إنتظاما ..

١٠- خطاب بتاريخ ١٩٦٠/١/١٦

حبيبتى بولى

أخيرا وصلنى كارت رأس السنة وهو جميل فعلاً فشكرا .. أما فى عيد ميلادك فأتمنى لك اجمل الامانى وتتلخص فى الافراح عن اسماعيل وطبعا الافراج عن اختك ايضا ..

وفى هذه المناسبة سأفتح علبتين مربة بلح للعنبر . وهذا أحسن مانتمناه وسنغنى لك عيد ميلاد سعيد وبالأنجليزية سنغنى .

ولابد أن اصف لك حفلة رأس السنة التى ابتكرناها وضعنا العشاء ... كالعادة على المائده ولكن بشكل فنى جدا وقطعنا الخبز بشكل جديد .. مزخرف ووزعنا المربى بالمناسبة كعلاوه . وتوهمنا اننا نأكل عشاء فاخراً .. من هذه الاصناف البعيدة عنا .

وغنينا ولعبنا حتى لايتغلب علينا النوم قبل منتصف الليل فلما كانت الساعة ١٢ بصقنا على سنة ١٩٥٩ واستقبلنا السنه الجديده بآمال عريضة .

أما عن الرسم فأشك ان الآلام كما تقولين تنضج الأنسان ، وتزيد من موهبته ، وانا موهوبة جدا فى هذه الأيام .

١١- خطاب بتاريخ ٣٠/١١/٦٠

حبيبتى العزيزة بولى .

اليوم يوم جميل لأن الشمس مشرقة ودافئه وابننا ياسر الطفل الصغير يبتسم لى ابتسامة بريئة وحلوة للغاية ، تجعلنى اشعر بسعادة وتفاؤل رغم كل الظروف والاخبار المحيطة بنا .

وربما كان مصدر هذه السعادة ايضا الصورة التى رسمتها لطفلة صغيرة (امورة) واقفه وراء الجدران والاسلاك الغليظة والقبيحة ، ونظرات الطفلة تخترق كل هذه العوائق لتصل الى الدنيا ، دنيا الاحياء والحرية ...

إنى ارسم كثيرا هذه الأيام بالرغم من قلة الألوان خاصة الوان السجن .

وبالرغم من عدم وصول التصريح الخاص بى حتى الان . وقد انتهيت من ثلاث صور على لوحاتى الخاصة لان المأمور وافق

على ان أحتفظ بها . وسأرسلها غدا أو بعد غد الى مصلحة السجون لعرضها على المباحث العامة ثم تسلم لك . فارجو ان تكونى على اتصال بهم .

وقد بدأت صورة جديدة تصور منظرا طبيعيا سيشتريها السيد عباس قطب مدير المنطقة هنا . وهى مبشرة جداً بالنجاح لانها مبتكرة وجميلة .. اما صحتى فتحسنت قليلا لأن البرد الذى اصابنى لمدة شهر أوشك ان ينتهى . ولكن لازال جلد وجهى ملتهبا نتيجة سوء التغذية ... أما الشراب الأسود الذى أرسلته فلا يفيد إلا فى الحفلات التنكريه التى نقيـــــمها فى بعض اعياد الميلاد ...

أما أنا فمازلت محتفظة بأناقتى !

وفيما يخص الألوان اشكرك جدا على كل ما اشتريته لى من الموجود فى المحلات لحين تستطيعى ان تحصلى على الالوان الجيدة من الخارج . وقد ارسلت لك القائمة الكاملة بالألوان التى أريدها .

ياحبوبة انى لست فى حاجه لأن أذكرك بان عيد الأم فى ٣/٢١ قد اقترب . ولابد ان تفتح لنا الجهات المسئولة باب الزيارة فى هذه المناسبة السعيدة او على الأقل يسمح بالزيارة للأمهات

اللاتى حرمن من رؤية أولادهم . فأرجو أن تجتهدوا فى الحصول على هذا الحق فى هذا العيد السعيد .

.. ماذا تفعلين الآن وماذا تقرأين ؟

هل انتهيت من قراءة الجزء الأخير من رواية الفرسان الثلاثة التى تذكرك بشبابنا وطفولتنا المرحة ؟ وهل مازلت تقرأين رواية لمن تدق الاجراس .. واين الجزء الثانى من قصيدتك ؟

وماهى اخبار المعارض . وهل أعجبت زوزو بصور الفنان سيف وانلى فى معرض البينالى ؟

وأخيرا هل عندك أخبار عن اسماعيل ؟

والآن اتركك وماما العزيزة حتى الخطاب المقبل ، واعانقكما عناقا حلوا مملوءا بالحب والحنان والتقدير لكل ماتقومان به نحوى .

ارجو ان ترسلى لى ١٥ جنيه . وهاهى قائمة الاشياء التى اريدها لشهر مارس وكذلك قائمة الادوية ..

١٢- خطاب بتاريخ ١٢/٣/١٩٦٠

حبوبتى بولى . لا ادرى عما احدثك هذه المرة ...

انتقلنا الى فصل الربيع .. فصل الزهور الجميلة والنسيم

الرقيق ، فصل الحب والحبايب وهذا خبر خطير جدا لأن كل هذه الاشياء الجميلة تزيد من اشواقى الحارة للأحباب ، لكم انت ومامى وكل الاصدقاء والاقارب الاعزاء ، والسجن الممل الرهيب يحرمنا من الاستمتاع بكم وبالعالم الخارجى ، عالم الاحياء!.

لكن ماذا يمكن ان نفعل ؟ لاشئ إلا الإعتماد على الصبر ، والاختزان منه اكثر واكثر . والنظر الى المستقبل بأمل جبار وساحق .ومع مجيء الربيع والحر ظهر الذباب من جديد .. اما بقية الحشرات فنحن فى انتظارها .

وهكذا ظهر الربيع فى السجن بحشراته ، وأشواقه ولذاته !

أما رابطة النكت البايخة فهى تكاد تشمل العنبر بأكمله ،

والمستوى ارتفع الى درجه خطيرة جدا كادت تقتلنا من الضحك .

نسيت اخبرك ان القطة سمارا على وشك الولادة .. لرابع مرة منذ دخلنا السجن . مسكينة ياقططى توتون وزمزيت وياحسرة عليكم .

أما عن الرسم فقد أصابنى الكسل قليلا فى هذه الايام .. هل معرض صالون القاهرة افتتح فى هذا الشهر كما حصل العام الماضى؟

وهل ذهبت لزيارته ؟ لاتنسى ان تعطينى رأيك عن احسن الصور فى المعرض .

السجن يستعد لعيد الأم . وستقام هنا حفلة كبيرة سيحضرها المدير العام لمصلحة السجون اللواء زكى شكرى . وباب الزيارة سيفتح لجميع المسجونات فى هذا اليوم . وكلنا أمل ان يفتح لنا ايضا باب الزيارة بعد أن مر على اعتقلنا عام كامل بلا زيارات .

الف ألف قبلة ربيعية طعمها كطعم النسيم الجميل ولونها لون السماء الشفافة التى تظهر هنا من بعيد ومن وراء الأسوار .

١٣ – خطاب بتاريخ ١٩٦٠/٥/٧

اختى العزيزة بولى .

وحشانى جدا . متى ستنتهى هذه الايام السوداء التى تبعدنى عنكم كل هذا البعد . على كل حال الصبر طيب وانا تعودت ان اكون صبورة جداً .

حياتنا هنا كالمياه الراكدة. لاحركة . لاتغيير . لاحياة ..

اماعن الترفيه فأولا نظمت حفلة لطيفة وناجحة فى عيد ميلادى وابدعت فرقه التمثيل فى هذا اليوم . والفرقه تضم عددا اكبر من عدد المتفرجات : لم احدثك من قبل عن فرقة التمثيل

التى تكونت فى العنبر وتقدم روايات لطيفة من وحى الزميلات مليئه بروح الفكاهة والنكت . قدمت الزميلات هدايا رمزية لى فى حدود الامكانيات . بيضه . برتقال . زيتونتين اثنتين .. اما هديتك وهديه خالتى فقد لبستها بكل فخر وحازت اعجاب الجميع .

وبهذه المناسبة ارجو ان تبلغى زوزو شكرى العميق على هديتها الهائلة .

شاهدنا فى السجن فيلم حماتى قنبلة ذرية . لابد انه صنع فى القرن التاسع عشر .

لكن القعدة فى الهواء الطلق والليل الجميل تحت ضوء القمر (وضوء نجمتى أنا) عوض هذا وجعلنا فى غاية السرور .

■ دار سعاد الصباح

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلي نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرةوبين كبار المبدعين وشبابهم وهى نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة.





إنجي افلاطون

حاولت والدتي اقناعي بالسفر إلى فرنسا لاستكمال دراساتي الفنية . وكذلك حاول كل أفراد العائلة . لكنى رفضت . بإصرار وعزم رفضت .

كان قرارى بالرفض منسجما مع ما استعد له من حياة جديدة ، يقتسمها النشاط السياسي والأجتماعى ، إن لم يشغلها لأبعد مدى .

لم يكن مقبولا ولا معقولا أن أترك مصر وأذهب لعدة سنوات إلى بلاد الخواجات ، وأنا أفكر بكل وجدانى فى عملية تمصير طويلة وقاسية للنفس ، لى شخصيا . أنا التى اتكلم الفرنسية .

ضاعت من عمرى ثمان عشرة سنة فى هذا المجتمع المغلف بالسلوفان ، حتى لغتى القومية لا أملكها . أى بؤس يحسه الأنسان المعقود اللسان ! حتى السابعة عشر كانت لغتى هى الفرنسية . وحين بدأت أحتك بالناس ، لم استطع أن أحل العقدة من لسانى .

مقطوعة أنا من شجرة إذن ؟

